Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

Richard Gottheil

كتاب

كليلة ودمنة

لبيدبا الفيلسوف الهنديّ

عرّبه عن البهلوية المنشئ. البليغ اللغويّ المشهور
عبد الله بن المقفّع

نقّحهُ وضبطهُ وعلّق حواشيهِ الشيخ خليل اليازجي اللبناني
عفي عنهُ

حقُّ طبعهِ محفوظ

طبع في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٨٨٤

893.7
013

مقدّمة المنقّح

بسم الله العليم الحكيم

وبعدُ فيقول الفقير اليه تعالى خليل بن ناصيف اليازجي اللبناني لا يخفى شدَّة افتقار المدارس في هذه الايام الى كتاب فصيح العبارة يليق ان يتحدَّاه التلامذة في النثر المرسل مشتملٍ على كثيرٍ من الالفاظ اللغويَّة الفصيحة المتداولة بين الكُتَّاب لتجري على اقلامهم ويقتبسوا سرَّ وضعها في مواضعها ذاهبين المذاهب المختلفة في ضروب الكتابة من حقيقةٍ ومجاز واطناب وايجاز الى غير ذلك مما يتدربون به على الخوض في اساليب الكلام. ويكون مع ذلك لطيف الموضوع مناسبًا لاذواق التلامذة على اختلاف درجاتهم في السنّ والمعرفة منطويًا من المعاني على المفيد لعقولهم المهذّب لنفوسهم المدرِّب لهم في سيرتهم وتصرُّفهم بين الناس حتى لا تكون فوائده مقصورةً على اللفظ فقط

وقد وجدت كتاب كليلة ودمنة المشهور الواضع له بيدبا [1] الفيلسوف الهندي والمعرَّب بقلم الشيخ البليغ عبد الله بن المقفَّع [2] ابقى كتاب لهذه

---

(1) كان في القرن الرابع قبل المسيح

(2) هو عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور بالبلاغة صاحب الرسائل البديعة واسم ابيه داذويه من اهل فارس والمقفع لقبٌ غلب عليه لان الحجاج بن يوسف الثقفي ضربه بجناية ارتكبها فتقفعت يداه اي تشنجت فقيل له المقفع وقيل بل الذي ضربه ابو الحجاج المذكور

كانت اقامة عبد الله المذكور بالبصرة وكان كاتبًا لعيسى بن علي عمّ المنصور الخليفة العباسي وبها توفي. وكانت وفاته قتلاً قتله سفيان بن معاوية امير البصرة بامر المنصور في حديث طويل ليس هذا موضعه * وكان معاصرًا للخليل بن احمد صاحب العروض ولعبد الحميد الكاتب المشهور. ومن حديثه مع الخليل انه اجتمع به مرةً فلما افترقا قيل للخليل كيف رايت ابن المقفع فقال علمه اكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رايت الخليل فقال عقله اكثر من علمه. وكان بينه وبين عبد الحميد صداقة شديدة حتى ان السفاح لما طلب عبد

الغايات جميعها فانه جامعٌ لهذه المقاصد باسرها متكفلٌ بالاتيان عليها لما هو معروفٌ به من فصاحة العبارة ورشاقة اللفظ وعلوّ الطبقة في اساليب الانشاء بحيث يصح أن يكون دستورًا للكتابة يُنسج على منواله ويُجرى على مثاله. متضمّن من فكاهة ظاهره ونفاسة باطنه شيئًا كثيرًا في كونه مخرجًا مخرج قصص لطيفة جارية على افواه البهائم وألسنة الطير يتخللها من الآداب والنصائح والمواعظ والامثال والحكمة والفلسفة والتهذيب والتدريب في الدنيا والدين معًا الى غير ذلك ما يصح ان يسمى به مرآة الزمان على ما هو غنيٌّ عن البيان . فهو للصغير كتاب تهذيب وتدريب وللمتعلم سِفْرُ بلاغة وانشآء . وللمنتهي مجموع قصص ونوادر وللمتبصر مجلة حكمة وفلسفة فيصحّ ان يصحب التلميذ في جميع أطوار دروسه فلا يعدم من فوائده في كل حالة نصيبًا

وقد وُفقت الى الظفر بنسخة من هذا الكتاب قد خُطّت من نحو ثلاثمئة سنة فوجدت بينها وبين النسخة المطبوعة في مصر فروقًا كثيرة منها بالزيادة

الحميد الكاتب اختفى معه في احد البيوت ومعه ابن المقفع فطلبهما الطلب وهما في البيت فقال الذين دخلوا عليهما ايكما عبد الحميد فقال كلٌّ منهما انا خوفًا على صاحبه وخاف عبد الحميد ان يسرعوا الى ابن المقفع فقال ترفقوا بنا فان كلًّا منا له علامات فوكلوا بنا بعضكم ويمضي البعض الآخر ويذكر تلك العلامات لمن وجهكم ففعلوا واخذوا عبد الحميد . وهي من المرويات النادرة

وصنف ابن المقفع المصنفات الحسان . قيل له مرة من أدّبك فقال نفسي اذا رأيت من غيري حسنًا أتيته وان رأيت قبيحًا أبيته * ومن كلامه في الشعر قوله شربت الخطب ريًّا ولم أضبط لها رويًّا ففاضت ثم فاضت فلا هي نظامًا وليس غيرها كلامًا . وله شعر جيد ذكر في ديوان الحماسة منه ثلاثة ابيات في رثاء يحيى بن زياد وقيل عبد الكريم بن ابي العوجاء . وهي

رُزئنا ابا عمرو ولا حيّ مثله ... فلله ريب الحادثات بمن وقع
فان تكُ قد فارقتنا وتركتنا ... ذوي خلة ما في انسداد لها طمع
فقد جرّ نفعًا فقدنا لك اننا ... أمنا على كل الرزايا من الجزع

وكانت ولادته بين السنة السادسة والخامسة بعد المئة للهجرة ووفاته بين السنة الثانية والاربعين والخامسة والاربعين وكانت حياته ستًا وثلاثين سنة رحمه الله تعالى

ومنها بالنقص ومنها بالاختلاف * اما الزيادات فاهمها ما صُدِّر به باب بعثة برزويه في هذه النسخة الى قوله اما بعد * واما النقص فقد خلت النسخة المذكورة من مقدمة الكتاب وباب السائح والصائغ وباب الحمامة والثعلب ومالك الحزين ومن ذكر باب عرض الكتاب تحت هذا العنوان واما ذُكِرَ فيها في اثناء بعثة برزويه ممتزجاً بها في الكلام مستفاداً بالضمن من بعض الكلام الجاري له انه لعبد الله بن المقفع وقد اشير الى ذلك في فهرسها . ومن الغريب ان في فهرسها المشار اليه ذكر رسالة لبزرجمهر بن البختكان في مدح كسرى وذكر باب السائح والصائغ وهما غير موجودين فيها . وهذا دليل على ما في النسخة المذكورة من الخلل والتشويش والفساد فان ذلك فاشٍ فيها ذاهبٌ كل مذهب ولاسيما في النسخ فانه قلما خُطَّ كتابٌ ووقع فيه من الخطإ ما وقع فيها او حدث من التحريف والتصحيف بين نسختين من كتاب ما حدث بين هاتين النسختين حتى لا يكاد يُظَنُّ ان النسختين لكتاب واحد * واما الاختلافات فكثيرةٌ فاشيةٌ بينهما من اوَّل الكتاب الى آخره ولا يكاد يخلو سطرٌ من شيء منها بين لفظيٍّ ومعنويٍّ مما لا يقع تحت الحصر ولا فائدة من ذكره وانما اشرنا اليه على وجه الاجمال دلالةً على ما احملت هذه النسخة من التمحيص والبحث والعناية * ثم وجدت بين نسخة مصر المشار اليها والنسخة المطبوعة في باريس باعتناء البارون سلفستري دساسي فروقاً ايضاً في بعض الاماكن اخصها خلوُّ نسخة باريس المذكورة من باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين واختلافٌ في ديباجة باب السائح والصائغ . وقد تدبرت الديباجتين فلم اجد احداهما يصح ان تنطبق تماماً على المثل المضروب له الباب فجمعت بينهما وزدت عليها زيادات اقتضاها سياق المثل

وقد جمعت بين النُسَخ الثلاث وطبَّقت بينها بان اخترت من كلٍّ منها

احسنها مع نقل المزيد في نسخة الخط المشار اليها واصلاح ما في النسخ الثلاث من اغلاط النساخ وغيرها وزيادات أُخر زدتها مما عنَّ للخاطر الضعيف للرَّبط بين مواصل الكلام او لاستدعاء المقام لها او لاستحسان موقعها او اضطرارًا جرَّ اليهِ سياق الكلام مما يظنّ ان النسخة الاصلية لم تخلُ عن شيء بمعناه وغير ذلك مما جرَّأني عليهِ الرغبة في ردّ هذا الكتاب الجليل ما امكن الى رونقهِ القديم وان كان يقصر عن ذلك ذَرْعي ويضيق وُسعي ولكني فعلت رجاء ان استعين بهِ عليهِ واتطرّق منهُ اليهِ فتيسَّر لي ان اجمع من النسخ الثلاث نسخةً وافيةً جديرةً بان تنزَّل منزلة النسخة الاصلية . وقد علقت عليها تفسيرًا لما فيها من غريب اللفظ وضبطتُ الفاظها بالشكل الكامل (1) لتجري الفاظ اللغة على السنة التلامذة متقرّرةً مضبوطةً تعميمًا للفائدة

وبما ان هذا الكتاب قد اشتمل في أثناء قصصهِ وأمثالهِ ومَساق كلامهِ على بعض الفاظٍ وعباراتٍ وقصصٍ وامثالٍ لا تصبو اليها آداب هذا العصر ولا يصلح إقراؤهُ ما في المدارس وتداولها بين العموم . فعُنيت بتلافي ذلك بابدال الالفاظ والعبارات بغيرها مما يحلّ محلها ويخلو من المحذور * واما القصص والامثال فمنها ما امكن تبديل بعض كلامهِ بدون مَسّ سائرهِ وهو مثل القرد والنجار ومثل الحرّاث وامرأتهِ ومثل البازيار وزوجة المرزبان ومثل ابن آوى والاسد والحمار * ومنها ما لزم تبديل جانبٍ منهُ وهو قصة المرأة والرَّجل وقصة امرأة الاسكاف وامرأة الحجام وواقعة ايلاذ مع ايراخت وحورفناه صفحة ٢٩٣ وواقعة ابن الشريف مع المصوَّر صفحة ٣١٩ * ومنها ما لزم تبديل موضوعهِ بآخر مع المحافظة على مغزاهُ وهو مثل الخادم والرَّجل

(1) قد اعتمدت في ضبط الاسماء الاعجمية فيها على ما تداولته الالسنة من ضبطها بخصوص حقيقتها وخطأها الا ما امكن الوصول الى حقيقتهِ منها

ومثل الخازن والمصوّر * ومنها ما لم يكن بدٌّ من اسقاطهِ برمّتهِ ووضع سواهُ
مع المحافظة المذكورة وهو مثل الرجل واللصوص ولم يرد غيرهُ

ولا يخفى ما في كل ذلك من خشونة المركب ووعورة المسلك للدخول
فيه بين مثل واضع الكتاب ومعرّبهِ . وعساني ان اكون فيهِ على
هدايةٍ وسدادٍ والله الهادي الى سبيل الرشاد
والسلام

بابُ

مقدمة الكتاب

قد حبا بهنود بن سحوان ويعرف بعلي بن الشاه الفارسي
ذكر فيه السبب الذي من أجله عمل بيدبا الفيلسوف الهندي
رأس البراهمة لدبشليم ملك الهند كتابه الذي سماه كليلة
ودمنة وجعله على ألسن البهائم والطير صيانة لغرضه فيه من
العوام وضنا بما ضمنه عن الطغام وتنزيها للحكمة وفنونها
ومحاسنها وعيونها إذ هي للفيلسوف مندوحة ولخاطره
مفتوحة ولمحبيها تثقيف ولطالبيها تشريف وذكر السبب
الذي من أجله أنفذ كسرى أنوشروان بن قباذ بن فيروز
ملك الفرس برزويه رأس الأطباء إلى بلاد الهند لأجل
كتاب كليلة ودمنة وما كان من تلطف برزويه عند دخوله
إلى الهند حتى حضر إليه الرجل الذي استنسخه له سرا من
خزانة الملك بالليل مع ما وجد من كتب علماء الهند وقد ذكر
الذي كان من بعثة برزويه إلى مملكة الهند لأجل نسخ هذا

[illegible]

الكتاب وذكر فيه ما يلزم مطالعه من إتقان قراءته والقيام بدراسته والنظر إلى باطن كلامه وأنه إن لم يكن كذلك لم يحصل على الغاية منه وذكر فيها حضور برزويه وقراءة الكتاب جهرا وقد ذكر السبب الذي من أجله وضع بزرجمهر بابا مفردا يسمى باب برزويه الطبيب وذكر فيه شأن برزويه من أول أمره وآن مولده إلى أن بلغ التأديب وأحب الحكمة واعتبر في أقسامها وجعله قبل باب الأسد والثور الذي هو أول الكتاب

قال علي بن الشاه الفارسي كان السبب الذي من أجله وضع بيدبا الفيلسوف لدبشليم ملك الهند كتاب كليلة ودمنة أن الإسكندر ذا القرنين الرومي لما فرغ من أمر الملوك الذين كانوا بناحية المغرب سار يريد ملوك المشرق من الفرس وغيرهم فلم يزل يحارب من نازعه ويواقع من واقعه ويسالم من وادعه من ملوك الفرس وهم الطبقة الأولى حتى ظهر عليهم وقهر من ناوأه وتغلب على من حاربه فتفرقوا طرائق وتمزقوا حرائق فتوجه بالجنود نحو بلاد الصين

١ أي اختبر وبحث ٢ [illegible] ٣ [illegible] ٤ [illegible] ٥ [illegible] ٦ [illegible]

عمداً في طريقه بملك الهند يدعوه إلى طاعته والدخول في
ملته وولايته. وكان على الهند في ذلك الزمان ملك ذو سطوة
وبأس وقوة ومراس يقال له فور. فلما بلغه إقبال ذي القرنين
نحوه تأهب لمحاربته واستعد لمجاذبته وضم إليه أطرافه وجد
في التألب عليه وجمع له العدة في أسرع مدة من الفيلة
المعدة للحروب والسباع المضراة بالوثوب مع الخيول
المسرجة والسيوف القواطع والحراب اللوامع.

فلما قرب ذو القرنين من فور الهندي وبلغه ما قد أعد
له من الخيل التي كأنها قطع الليل مما لم يلقه بمثله أحد من
الملوك الذين كانوا في الأقاليم تخوف ذو القرنين من تقصير
يقع به إن عجل المبارزة. وكان ذو القرنين رجلاً ذا حيل ومكايد
مع حسن تدبير وتجربة فرأى إعمال الحيلة والتمهل واحتفر
خندقاً على عسكره وأقام بمكانه لاستنباط الحيلة والتدبير
لأمره وكيف ينبغي له أن يقدم على الإيقاع به فاستدعى
بالمنجمين وأمرهم أن يختاروا له يوماً موافقاً تكون له فيه سعادة

١ سطوة ٢ شدة ٣ تهيأ ٤ محاربته ٥ أي جمع ما تفرق من قوته ٦ [illegible]
٧ [illegible] ٨ جمع [illegible] ٩ [illegible] ١٠ [illegible]
١١ [illegible] ١٢ [illegible] ١٣ [illegible] ١٤ [illegible]

حجارة [illegible] أسعد عليه فشعر [illegible] وكان

[illegible]

[illegible] من كل [illegible]

[illegible] حيلان [illegible]

[illegible]

[illegible] نطق الكلام

[illegible]

[illegible]

[illegible]

والكبش والفرخ [illegible]

[illegible]

[illegible]

على [illegible]

اليه [illegible]

[illegible] عليها

[illegible] من كل علم [illegible]

وبعث مروءة شريفة لا تدل على شيء ولا حرب [illegible]
[illegible] وتقطع [illegible] وجمعة [illegible] صحب الإسكندر [illegible]
[illegible] الجرح وصاح الإسكندر ملك [illegible] وثب
على عدوك [illegible] والأخيار [illegible] من
مروءة أن يرمي الميت [illegible] في أسهل الميدان [illegible]
أخيه من [illegible] ماء [illegible] بقصبة [illegible] ووقع
[illegible] فيرى [illegible] الأسعد فلما سمع [illegible] من ذي
القرنين ذلك الكلام [illegible] ملاقيه [illegible] فيه [illegible]
ذلك [illegible] الناس [illegible] على [illegible]
ساعات من النهار [illegible] حذفهم من [illegible] فرسه ولم
الايتعار [illegible] الإسكندر [illegible] فرسه [illegible]
ووقع ذو القرنين في [illegible] صيحة عظيمة رجت بها الأرض
[illegible] فلما سمع الزنجي [illegible] مكيدة في [illegible]
[illegible] ذو القرنين بضربة [illegible] عن سرجه [illegible] أخرى
فوقع في الأرض فلما رأت السودان [illegible] وما صار إليه
ملكهم حملوا على الإسكندر فقاتلوا قتالا حتى معه الموت.

[illegible]

ووعدهم من نفسه الإحسان ومنحه الله أكتافهم فاستولى على بلادهم وملك عليهم رجلا من ثقاته وأقام بالهند حتى استوسق له ما أراد من أمرهم واتفق كلمتهم ثم انصرف عن الهند وخلف ذلك الرجل عليهم ومضى متوجها نحو ما قصد له

فلما بعد ذو القرنين عن الهند بجيوشه تغيرت الهنود عما كانوا عليه من طاعة الرجل الذي خلفه عليهم وقالوا ليس يصلح للسياسة ولا ترضى الخاصة والعامة أن يملكوا عليهم رجلا ليس هو منهم ولا من أهل بيوتهم فإنه لا يزال يستذلهم ويستقلهم واجتمعوا يملكون عليهم رجلا من أولاد ملوكهم فملكوا عليهم ملكا يقال له دبشليم وخلعوا الرجل الذي كان خلفه عليهم الإسكندر فلما استوسق له الأمر واستقر له الملك طغى وبغى وتجبر وتكبر وجعل يغزو من حوله من الملوك وكان مع ذلك مؤيدا مظفرا منصورا فهابته الرعية فلما رأى ما هو عليه من الملك والسطوة عبث بالرعية واستصغر أمرهم وأساء السيرة فيهم وكان لا يرتقي حاله إلا ازداد عتوا فمكث على ذلك برهة من دهره

١ ي مكانفهم ٢ ي يمر بهم ٣ الصنع ٤ ي مصطلهم ٥ عتوا ٦ ادام

وكان في زمانه رجل فيلسوف من البراهمة فاضل حكيم
يعرف بفضله ويرجع في الأمور إلى قوله يقال له بيدبا فلما
رأى الملك وما هو عليه من الظلم للرعية فكر في وجه الحيلة
في صرفه عما هو عليه ورده إلى العدل والإنصاف فجمع
لذلك تلامذته وقال أتعلمون ما أريد أن أشاوركم فيه اعلموا
أني أطلت الفكرة في دبشليم وما هو عليه من الخروج عن
العدل ولزوم الشر ورداءة السيرة وسوء العشرة مع الرعية.
ونحن ما نروض أنفسنا لمثل هذه الأمور إذا ظهرت من
الملوك إلا لنردهم إلى فعل الخير ولزوم العدل ومتى أغفلنا
ذلك وأهملناه لزم من وقوع المكروه بنا وبلوغ المحذورات إلينا
إذ كنا في أنفس الجهال أجهل منهم وفي العيون عندهم أقل
منهم. وليس الرأي عندي الجلاء عن الوطن ولا يسعنا في
حكمتنا إبقاؤه على ما هو عليه من سوء السيرة وقبح الطريقة ولا
يمكننا مجاهدته بغير ألسنتنا ولو ذهبنا إلى أن نستعين بغيرنا
لم تتهيأ لنا معاندته. وإن حس منا بمخالفته وإنكارنا سوء
سيرته كان في ذلك بوارنا. وقد تعلمون أن مجاورة السبع

١ من صرفه أي يصرفه عن وجهه ٢ ترك ٣ [illegible] ٤ [illegible] ٥ هلاكنا

والكلب والحية والثور على طيب الوطن ونضرة العيش
غدر بالنفس وإن الفيلسوف لحقيق أن تكون همته مصروفة
إلى ما يحصن به نفسه من نوازل المكروه ولواحق المحذور
ويدفع المخوف لاستجلاب المحبوب ولقد كنت أسمع أن
فيلسوفاً كتب لتلميذه يقول إن مجاور رجال السوء
ومصاحبهم كراكب البحر إن سلم من الغرق لم يسلم
من المخاوف فإذا هو أورد نفسه موارد الهلكات ومصادر
المخوفات عُدَّ من الحمير التي لا نفس لها لأن الحيوانات
البهيمية قد خصت في طبائعها بمعرفة ما تكتسب به النفع
وتتوقى المكروه وذلك أنا لم نرها تورد أنفسها مورداً فيه
هلكتها. وأنها متى أشرفت على مورد مهلك لها مالت بطبائعها
التي ركبت فيها شحاً بأنفسها وصيانة لها إلى النفور والتباعد عنه
وقد جمعتكم لهذا الأمر لأنكم أسرتي ومكان سري وموضع
معرفتي وبكم أعتضد وعليكم أعتمد فإن الوحيد في نفسه
والمنفرد برأيه حيث كان فهو ضائع ولا ناصر له. على أن
العاقل قد يبلغ بحيلته ما لا يبلغ بالخيل والجنود

[illegible]

والسبب في ذلك أن قبرة اتخذت أدحية وباضت فيها
على طريق الفيل وكان للفيل مشرب يتردد إليه فمر ذات
يوم على عادته ليرد مورده فوطئ عش القبرة وهشم بيضها
وقتل فراخها فلما نظرت إلى ما ساءها علمت أن الذي نالها
من الفيل لا من غيره فطارت فوقعت على رأسه باكية ثم
قالت أيها الملك لم هشمت بيضي وقتلت فراخي وأنا في جوارك
أفعلت هذا استصغارا منك لأمري واحتقارا لشأني قال هو
الذي حملني على ذلك فتركته وانصرفت إلى جماعة الطير
فشكت إليها ما نالها من الفيل فقلن لها وما عسى أن نبلغ منه
ونحن طيور فقالت للعقاعق والغربان أحب منكن أن تصرن
معي إليه فتفقأن عينيه فإني أحتال له بعد ذلك بحيلة أخرى
فأجبنها إلى ذلك وذهبن إلى الفيل فلم يزلن ينقرن عينيه حتى
ذهبن بهما وبقي لا يهتدي إلى طريق مطعمه ومشربه إلا ما يلقمه
من موضعه فلما علمت ذلك منه جاءت إلى غدير فيه ضفادع
كثيرة فشكت إليها ما نالها من الفيل قالت الضفادع ما
حيلتنا نحن في عظم الفيل وأين نبلغ منه قالت أحب منكن

أن تصرن معي إلى وهدة قريبة منه فتنققن فيها وتضججن، فإنه
إذا سمع أصواتكن لم يشك في الماء فيهوي فيها. فأجبنها إلى
ذلك واجتمعن في الهوة. فسمع الفيل نقيق الضفادع وقد
جهده العطش فأقبل حتى وقع في الوهدة فارتطم فيها وجاءت
القبرة ترفرف على رأسه، وقالت: أيها الطاغي المغتر بقوته
المحتقر لأمري، كيف رأيت عظم حيلتي مع صغر جثتي عند عظم
جثتك وصغر همتك

فليشر كل واحد منكم بما يسنح له من الرأي. فقالوا بأجمعهم:
أيها الفيلسوف الفاضل والحكيم العادل، أنت المقدم فينا
والفاضل علينا، وما عسى أن يكون مبلغ رأينا عند رأيك وفهمنا
عند فهمك، غير أننا نعلم أن السباحة في الماء مع التمساح
تغرير، والذنب فيه لمن دخل عليه في موضعه، والذي يستخرج
السم من ناب الحية فيبتلعه ليجربه على نفسه فليس الذنب
للحية، ومن دخل على الأسد في غابته لم يأمن وثبته. وهذا
الملك لم تفزعه النوائب ولم تؤدبه التجارب، ولسنا نأمن عليك

[illegible]
[illegible]

مِنْ سَطْوَتِهِ وَمُبَادَرَتِهِ بِسُوءٍ إِذَا لَقِيتَهُ بِغَيْرِ مَا يُحِبُّ. فَقَالَ الْحَكِيمُ بَيْدَبَا: لَعَمْرِي قَدْ قُلْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ. لَكِنَّ ذَا الرَّأْيِ الْحَازِمَ لَا يَدَعُ أَنْ يُشَاوِرَ مَنْ هُوَ دُونَهُ وَفَوْقَهُ فِي الْمَنْزِلَةِ. وَالرَّأْيُ الْفَرْدُ لَا يُكْتَفَى بِهِ فِي الْخَاصَّةِ وَلَا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي الْعَامَّةِ. وَقَدْ صَحَّتْ عَزِيمَتِي عَلَى لِقَاءِ دَبْشَلِيمَ. وَقَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكُمْ وَتَبَيَّنَ لِي نَصِيحَتُكُمْ وَالْإِشْفَاقُ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ. غَيْرَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا وَعَزَمْتُ عَزْمًا وَسَتَعْرِفُونَ حَدِيثِي عِنْدَ الْمَلِكِ وَمُجَاوَبَتِي إِيَّاهُ. فَإِذَا اتَّصَلَ بِكُمْ خُرُوجِي مِنْ عِنْدِهِ فَاجْتَمِعُوا إِلَيَّ. وَصَرَفَهُمْ وَهُمْ يَدْعُونَ لَهُ بِالسَّلَامَةِ

ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا اخْتَارَ يَوْمًا لِلدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْوَقْتُ أَلْقَى عَلَيْهِ مُسُوحَهُ وَهِيَ لِبَاسُ الْبَرَاهِمَةِ وَقَصَدَ بَابَ الْمَلِكِ وَسَأَلَ عَنْ صَاحِبِ إِذْنِهِ وَأُرْشِدَ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَأَعْلَمَهُ وَقَالَ لَهُ: إِنِّي رَجُلٌ قَصَدْتُ الْمَلِكَ فِي نَصِيحَةٍ. فَدَخَلَ الْآذِنُ عَلَى الْمَلِكِ فِي وَقْتِهِ وَقَالَ: بِالْبَابِ رَجُلٌ مِنَ الْبَرَاهِمَةِ يُقَالُ لَهُ بَيْدَبَا ذَكَرَ أَنَّ مَعَهُ لِلْمَلِكِ نَصِيحَةً. فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَكَفَّرَ وَسَجَدَ لَهُ وَاسْتَوَى قَائِمًا وَسَكَتَ وَفَكَّرَ

١ صولة ٢ سيئة ٣ أي تصيب ٤ جمع مسح وهو ثوب من شعر ٥ حاجبه
٦ صاحب الاذن ٧ أي خضع وطأمن ٨ أي صمت

دبشليم في سكونه وقال [illegible] الأمر [illegible]
[illegible] منشأ الشيء [illegible]
[illegible] كان [illegible] في مسألة [illegible] فحكمه فضلا
في حكمته [illegible] من [illegible] العلم
[illegible] وقد وجدت العلم
[illegible] متى [illegible]
آخر [illegible]
[illegible] شجاعته [illegible] من شكه وكرمه
[illegible] على [illegible] الموقف [illegible]
[illegible] حرم [illegible] وحير
[illegible] وعلم [illegible] رفع رأسه
إلى بيدبا وقال له [illegible] ذلك [illegible]
ولا تكن [illegible] فقلت إن الذي [illegible] ساورته وحيرة
ذركته [illegible] عندك في طول [illegible] وقلت لم يكن
[illegible] أن يطرق على غير عادة الأمر [illegible]
فضل هل زمانه [illegible] عن سبب دخوله [illegible] فإن يكن [illegible]

١ [illegible] ٢ [illegible] ٣ [illegible] ٤ [illegible] ٥ [illegible] ٦ [illegible]

[illegible] من [illegible] في [illegible] في

[illegible] من

الذي [illegible] أحد [illegible] يكن من

[illegible] لا [illegible]

[illegible] في [illegible] على

[illegible] أهلك [illegible] من

[illegible]

[illegible] الا [illegible]

قد [illegible] في كلام [illegible] من أهلك [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] أهلك على [illegible] على الأمر [illegible]

[illegible] على [illegible] من

[illegible] على

[illegible] قد [illegible]

على [illegible] والأمر الذي دعاني إلى [illegible]

[illegible]

عَلَى ٱلْمَلِكِ وَحَمَلَنِي عَلَى ٱلْمُخَاطَرَةِ فِي كَلَامِهِ وَٱلْإِقْدَامِ عَلَيْهِ نَصِيحَةٌ خَصَصْتُهُ بِهَا دُونَ غَيْرِهِ وَسَيَعْلَمُ مَنْ يَتَّصِلُ بِهِ ذَلِكَ أَنِّي لَمْ أُقَصِّرْ عَنْ غَايَةٍ فِيمَا يَجِبُ لِمَوْلَى عَلَى ٱلْحُكَمَاءِ فَإِنْ فَسَحَ فِي كَلَامِي وَوَعَاهُ عَنِّي فَهُوَ حَقِيقٌ بِذَلِكَ وَإِنْ هُوَ أَلْغَاهُ فَقَدْ بَلَغْتُ مَا يَلْزَمُنِي وَخَرَجْتُ مِنْ لَوْمٍ يَلْحَقُنِي قَالَ ٱلْمَلِكُ يَا بَيْدَبَا تَكَلَّمْ مَهْمَا شِئْتَ فَإِنِّي مُصْغٍ إِلَيْكَ وَمُقْبِلٌ عَلَيْكَ وَسَامِعٌ مِنْكَ حَتَّى أَسْتَفْرِغَ مَا عِنْدَكَ إِلَى آخِرِهِ وَأَجْزِيكَ عَلَى ذَلِكَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ قَالَ بَيْدَبَا إِنِّي وَجَدْتُ ٱلْأُمُورَ ٱلَّتِي ٱخْتُصَّ بِهَا ٱلْإِنْسَانُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ ٱلْحَيَوَانِ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ وَهِيَ جِمَاعُ مَا فِي ٱلْعَالَمِ وَهِيَ ٱلْحِكْمَةُ وَٱلْعِفَّةُ وَٱلْعَقْلُ وَٱلْعَدْلُ * وَٱلْعِلْمُ وَٱلْأَدَبُ وَٱلرَّوِيَّةُ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ ٱلْحِكْمَةِ وَٱلْحِلْمُ وَٱلصَّبْرُ وَٱلْوَقَارُ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ ٱلْعَقْلِ وَٱلْحَيَاءُ وَٱلْكَرَمُ وَٱلصِّيَانَةُ وَٱلْأَنَفَةُ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ ٱلْعِفَّةِ وَٱلصِّدْقُ وَٱلْإِحْسَانُ وَٱلْمُرَاقَبَةُ وَحُسْنُ ٱلْخُلُقِ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ ٱلْعَدْلِ وَهَذِهِ هِيَ ٱلْمَحَاسِنُ وَأَضْدَادُهَا هِيَ ٱلْمَسَاوِئُ فَمَتَى كَمَلَتْ هَذِهِ فِي وَاحِدٍ لَمْ تُخْرِجْهُ ٱلنَّقْصُ فِي نِعْمَتِهِ إِلَى سُوءِ ٱلْحَظِّ مِنْ دُنْيَاهُ وَلَا إِلَى نَقْصٍ مِنْ عُقْبَاهُ وَلَمْ يَتَأَسَّفْ عَلَى مَا لَمْ يُعِنِ

حاشية ١ أي جميع ٢ على عكس ٤ مرجع عن . ٥ يعدي ٦ غربه

لتوفيق بقائه ولا تجربة تجري به المقادير في ملكه ولا يذهب
عنه مكروه . وتحكمه كثرة لا تخفى على الأبصار وحيرة لا تضرب
بها الأمثال ووحشة لا تخرق حدها ووحدة لا تقصر مدتها . ولئن
كنت عند مقامي بين يدي الملك أمسكت عن ابتدائه بالكلام
فإن ذلك لم يكن مني الا لهيبته والإجلال له . ولعمري إن الملوك
لأهل أن يهابوا ولا سيما من هو في المنزلة التي حل فيها الملك
عن منازل الملوك قبله وقد قالت العلماء الزم السكوت فإن
فيه السلامة وتجنب الكلام الفارغ فإن عاقبته الندامة وحكي أن
أربعة من العلماء ضمهم مجلس ملك فقال لهم ليتكلم كل منكم بكلام
يكون أصلاً للأدب فقال أحدهم أفضل خلة العلم السكوت
وقال الثاني إن من أنفع الأشياء للإنسان أن يعرف قدر منزلته
من عقله . وقال الثالث أنفع الأشياء للإنسان أن لا يتكلم بما
لا يعنيه وقال الرابع أروح الأمور للإنسان التسليم للمقادير .
واجتمع في بعض الأزمان ملوك الأقاليم من الصين والهند
وفارس والروم وقالوا ينبغي أن نتكلم كل منا بكلمة تدوّن

١ لأمر ٢ تجعل ٣ تجري ولا تجعل عنه ٤ بين ٥ تدفع ٦ امتنعت
٧ هيبته ٨ عظيمي مرتبته

وطالت لهم المدة وشكروا من السلاح والكراع وعاشوا
دهورا في غبطة وسرور فلم يمنعهم ذلك من اكتساب
جميل الذكر ولا قطعهم عن اغتنام الشكر واستعمال الإحسان
إلى من خولوه والرفق بمن ولوه وحسن السيرة في عهده
مع عظم ما كانوا فيه من غرة الملك وسكرة الاقتدار وإنك
أيها الملك السعيد جده الطالع كوكب سعده قد ورثت
أرضهم وديارهم وأموالهم ومنازلهم التي كانت عدتهم فأقمت
فيما خولت من الملك وورثت من الأموال والجنود فلم تقم
في ذلك بحق ما يجب عليك بل طغيت وبغيت وعتوت وعلوت
على الرعية وأسأت السيرة وعظمت منك البلية وكان
الأولى والأشبه بك أن تسلك سبيل أسلافك وتتبع آثار
الملوك قبلك وتقفو محاسن ما أبقوه لك وتقلع عما عاره لازم
لك وشينه واقع بك وتحسن النظر برعيتك وتسن لهم سنن
الخير الذي يبقى بعدك ذكره ويعقبك الجميل فخره ويكون
ذلك أبقى على السلامة وأدوم على الاستقامة فإن الجاهل

[illegible]
[illegible]

المغترّ من استعمل في أموره البطر والأمنية والحازم ثبّت من ساس الملك بمداراةٍ ورفقٍ فانظر أيها الملك ما أتيتك به ولا يثقلنّ ذلك عليك فلم أتكلم بهذا ابتغاء عرضٍ تجازيني به ولا التماس معروفٍ تسوقه إليّ ولكني أتيتك ناصحًا مشفقًا عليك

فلمّا فرغ بيدبا من مقالته وقضى مناصحته أوغر قلب الملك فأغلظ له في الجواب استصغارًا لأمره وقال لقد تكلمت بكلامٍ ما كنت أظنّ أنّ أحدًا من أهل مملكتي يستقبلني بمثله ولا يقدم على ما أقدمت عليه فكيف أنت مع صغر شأنك وضعف منّتك وعجز قوّتك. ولقد أكثرت إعجابي من إقدامك عليّ وتسلّطك بلسانك فيما جاوزت فيه حدّك. وما أجد شيئًا في تأديب غيرك أبلغ من التنكيل بك فذلك عبرةٌ وموعظةٌ لمن عساه أن يبلغ ويروم ما رمت أنت من الملوك إذا أوسعوا لهم في مجالسهم ثم أمر به أن يقتل ويصلب فلمّا مضوا به فيما أمر فكّر فيما أمر به فأحجم عنه ثم أمر بحبسه وتقييده. فلمّا حبس

١ أي بعض الآمال ٢ ملأ غيظًا ٣ قوتك ٤ حملني على العجب ٥ معاملتك ٦ تجعلك عبرة لغيره ٦ بأمر ورجع

أنفذ الملك في طلب تلامذته ومن كان يجتمع إليه فهربوا[1] في البلاد وتحصنوا بجزائر البحر. فمكث بيدبا في محبسه أياماً لا يسأل الملك عنه ولا يلتفت إليه ولا يجسر أحد أن يذكره عنده. حتى إذا كان ليلة من الليالي سهد[2] الملك سهداً[3] شديداً وطال سهده. ومد إلى الفلك بصره وتفكر في تفلك الفلك وحركات الكواكب فأغرق[4] الفكر فيه فسلك به إلى استنباط شيء عرض له من أمر الفلك والمسألة عنه فذكر عند ذلك بيدبا. وتفكر فيما كلمه به فارعوى[5] لذلك وقال في نفسه لقد أسأت فيما صنعت بهذا الفيلسوف وضيعت واجب حقه وحملني على ذلك سرعة الغضب وقد قالت العلماء أربعة لا ينبغي أن تكون في الملوك الغضب فإنه أجدر الأشياء مقتاً[6] والبخل فإن صاحبه ليس بمعذور مع ذات يده[7] والكذب فإنه ليس لأحد أن يجاوره. والعنف[8] في المحاورة فإن السفه ليس من شأنها. وإني أتى إلي رجل نصح لي ولم يكن مبلغاً[9] فعاملته بضد ما يستحق وكافأته بخلاف ما يستوجب وما كان

١ تفرقوا ٢ طار نومه ٣ سهرة ٤ بالغ وتعمق ٥ رجع عن رأيه ٦ بغضاً
٧ ميسرته ٨ خلاف الرفق ٩ أي مبلغاً من طريق السعاية

هذه جرأة مني بل كان الواجب أن أسمع كلامه وأنقاد لما يشير به. ثم قعد في ساعته من نوبته. فلما مثل بين يديه قال له: يا بيدبا لست الذي قصدت إلى تغيير همتي وعجزت رأيي في سيرتي بما كلمتني به آنفا. قال له بيدبا: أيها الملك الناصح الشفيق والصادق الرفيق إنما نبأتك بما فيه صلاح لك ولرعيتك ودوام ملكك لك. قال له الملك: يا بيدبا أعد علي كلامك كله ولا تدع منه حرفا إلا جئت به. فجعل بيدبا ينثر كلامه والملك مصغ إليه وجعل يشير كلما سمع منه شيئا ينكت الأرض بشيء كان في يده. ثم رفع طرفه إلى بيدبا وأمره بالجلوس وقال له: يا بيدبا إني قد استعذبت كلامك وحسن موقعه في قلبي وأنا ناظر في الذي أشرت به وعامل بما أمرت. ثم أمر بقيوده فحلت وألقى عليه من لباسه وتلقاه بالقبول. فقال بيدبا: أيها الملك إن في دون ما كلمتك به نهية لمثلك. قال: صدقت أيها الحكيم الفاضل وقد وليتك من مجلسي هذا إلى جميع أقاصي مملكتي. فقال له: أيها

١ [illegible] ٢ [illegible] ٣ [illegible] ٤ [illegible] ٥ [illegible]
٦ [illegible] ٧ [illegible] ٨ [illegible]

الملك غني من هذا الأمر غير مستطيع تقويمه إلا
لك فقلت: من ذلك فقد عرفت علم الذي فعلته بي
رأي فبعث قوده وقد فكرت في عقابك بي من غير
عليك فوجدته لا يعدو إذ بك ولا ينهض به غيرك ولا يستطيع
به سواك فلا تخرجني فيه فأجابه بيدبا إلى ذلك

وكان عادة ملوك الهند إذا استوزروا وزيرا أن
يعتقد على رأسه تاج ويركب في أهل مملكته ويطاف به
في المدينة فأمر الملك أن تفعل بيدبا ذلك فوضع التاج
على رأسه وركب في المدينة ورجع فجلس بمجلس العدل
والإنصاف يأخذ للدني من الشريف ويساوي بين القوي
والضعيف ورد المظالم ووضع سنن العدل وأكثر من
العطاء والبذل واتصل الخبر بتلامذته فجاؤوا من كل مكان
فرحين بما جدد الله له من جديد رأي الملك فيه وشكروا الله
تعالى على توفيق بيدبا في إزالة دبشليم عما كان عليه من سوء
السيرة واتخذوا ذلك اليوم عيدا يعيدون فيه فهو إلى اليوم

١ أي عور ذلك عليه

عيدًا يعيدونه في بلاد الهند

ثم إن بيدبا لما خلا فكره من شغله بدبشليم تفرّغ لوضع كتب السياسة ونشط لها فعمل كتبًا كثيرة فيها دقائق الحيل ومضى الملك على ما رسم له بيدبا من حسن السيرة والعدل في الرعيّة فرغبت إليه الملوك الذين كانوا في نواحيه وانقادت له الأمور على استوائها وفرحت به رعيّته وأهل مملكته ثم إن بيدبا جمع تلاميذه فأحسن صلتهم ووعدهم وعدًا جميلًا وقال لهم لست أشكّ أنه وقع في نفوسكم وقت دخولي على الملك أن قلتم إن بيدبا قد ضاعت حكمته وبطلت فكرته إذ عزم على الدخول على هذا الجبّار الطاغي فقد علمتم نتيجة رأيي وصحّة فكري وإني لم آته جهلًا به لأني كنت أسمع من الحكماء قبلي تقول إن الملوك لها سكرة كسكرة الشراب فالملوك لا تفيق من السكرة إلا بمواعظ العلماء وأدب الحكماء والواجب على الملوك أن يتّعظوا بمواعظ العلماء والواجب على العلماء تقويم الملوك بألسنتها وتأديبها بحكمتها وإظهار

١ خفّ وسرع ٢ أي [illegible] برغبته

أخذه النية اللازمة له بردّه عما هو عليه من الاعوجاج والخروج عن العدل فوجدت ما قالت العلماء فرضاً واجباً على الحكماء لملوكهم ليوقظوهم من سِنة سكرتهم كالطبيب الذي يجب عليه في حفظ الأجساد على صحتها وردها إلى الصحة فكرهت [illegible] أن أموت وما يبقى على الأرض إلا من يقول إنه كان بيدبا الفيلسوف في زمان دبشليم الطاغي فلم يردّه عما كان عليه فإن قال قائل إنه لم يمكنه كلامه خوفاً على نفسه قالوا كان الهرب منه ومن جواره أولى به والانزعاج عن الأرض شديد فرأيت أن أجود بحياتي وأكون قد أتيت فيما بيني وبين الحكماء بعدي عذراً فحملتها على التغرير أو الظفر بما أريد وكان من ذلك ما أنتم معاينوه فإنه يقال في بعض الأمثال إنه لا يبلغ أحد مرتبة إلا بإحدى ثلاث إما بمشقة تناله في نفسه وإما بوضيعة في ماله أو وكس في دينه ومن لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب وإن الملك دبشليم قد بسط لساني في أن أضع كتاباً فيه ضروب الحكمة

١ بيان ٢ تحول ٣ خف ٤ بعطر ٥ ما عدهمه ٦ أي ضاق ٧ صاف

فَلْيَضَعْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ كِتَابًا فِي أَيِّ فَنٍّ شَاءَ وَلْيَعْرِضْهُ عَلَيَّ لِأَنْظُرَ مِقْدَارَ عَقْلِهِ وَأَيْنَ بَلَغَ مِنَ الْحِكْمَةِ فَهْمُهُ . قَالُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْحَكِيمُ الْفَاضِلُ وَاللَّبِيبُ الْعَاقِلُ وَالَّذِي وَهَبَ لَكَ مَا وَهَبَ لَكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْعَقْلِ وَالْأَدَبِ وَالْفَضِيلَةِ مَا خَطَرَ هَذَا بِقُلُوبِنَا سَاعَةً قَطُّ . وَأَنْتَ رَئِيسُنَا وَفَاضِلُنَا وَبِكَ شَرَفُنَا وَعَلَى يَدِكَ انْتِعَاشُنَا . وَلٰكِنْ سَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا فِيمَا أَمَرْتَ . وَمَكَثَ الْمَلِكُ عَلَى ذٰلِكَ مِنْ حُسْنِ السِّيرَةِ زَمَانًا يَتَوَلَّى ذٰلِكَ بِنَفْسِهِ وَيَقُومُ بِهِ

ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ لَمَّا اسْتَقَامَ لَهُ الْمُلْكُ وَسَقَطَ عَنْهُ النَّظَرُ فِي أُمُورِ الْأَعْدَاءِ بِمَا قَدْ كَفَوْهُ ذٰلِكَ صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى النَّظَرِ فِي الْكُتُبِ الَّتِي وَضَعَتْهَا فَلَاسِفَةُ الْهِنْدِ لِآبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَيْضًا كِتَابٌ مَشْرُوحٌ يُنْسَبُ إِلَيْهِ وَتُذْكَرُ فِيهِ أَيَّامُهُ كَمَا ذُكِرَ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ مِنْ قَبْلِهِ . فَلَمَّا عَزَمَ عَلَى ذٰلِكَ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقُومُ بِذٰلِكَ إِلَّا بَيْدَبَا . فَدَعَاهُ وَخَلَا بِهِ وَقَالَ لَهُ يَا بَيْدَبَا إِنَّكَ حَكِيمُ الْهِنْدِ وَفَيْلَسُوفُهَا وَإِنِّي فَكَّرْتُ وَنَظَرْتُ فِي خَزَائِنِ الْحِكْمَةِ الَّتِي كَانَتْ لِلْمُلُوكِ قَبْلِي فَلَمْ أَرَ فِيهِمْ أَحَدًا إِلَّا وَقَدْ

١ [illegible] ٢ يعني [illegible] ٣ [illegible] ٤ [illegible]
٤ أي [illegible]

وضع كتابا يذكر فيه أيامه وسيرته ويبقى عن ذكره وهل مملكته فيه ما وضعته الملوك لأنفسها وذلك لقلة حكمة فيها ومنهم وضعته حكمه ودرّا وقد خشيت أن يلحقني مثل ما لحق أولئك مما لا حيلة لي فيه ولا أجد في خزائني كتابا أذكر به بعدي وأنسب إليه كما ذكر من كان قبلي بكتبهم وقد أحببت أن تصنع لي كتابا بليغا تستفرغ فيه عقلك يكون ظاهره سياسة العامة وتأديبها وباطنه أخلاق الملوك وسياستها للرعية على طاعة الملك وخدمته فيسقط بذلك عني وعنهم كثير مما نحتاج إليه في معاناة الملك وأريد أن يبقى لي هذا الكتاب بعدي ذكرا على غابر الدهور فلما سمع بيدبا كلامه خرّ له ساجدا ورفع رأسه وقال أيها الملك السعيد جده علا نجمك وغاب نحسك ودامت أيامك إن الذي قد طبع عليه الملك من جودة القريحة ووفور العقل حركه إلى عالي الأمور وسمت به نفسه وهمته إلى أشرف المراتب منزلة وأبعدها غاية. وأدام الله سعادة الملك وأعانه على ما عزم من ذلك وأعانني على بلوغ مراده. فليأمر الملك بما شاء من ذلك فإني

١ معه ٢ باقي

صائر في عرصة تجتهد فيه برأيك فإن يدم الملك بأسره ثم ترى موصوفا بحسن الرأي وطاعة العلماء في أمورهم وقد خبرت منك ذلك وأحببت أن تضع هذا الكتاب وتعمل فيه فكرك وتجتهد فيه نفسك غاية ما تجد إليه السبيل ويكون مشتملا على الجد والهزل واللهو والحكمة والفلسفة فكفر بيدبا وسجد وقال قد أجبت الملك دام سعده إلى ما أمرني به وجعلت بيني وبينه أجلا قال وكم الأجل قال سنة قال قد أجلتك وأمر له بجائزة سنية تعينه على عمل الكتاب فبقي بيدبا مفكرا في الأخذ فيه وفي أي صورة يبتدئ بها فيه وفي وضعه

ثم إن بيدبا جمع تلامذته وقال لهم إن الملك قد ندبني إلى أمر فيه فخري وفخركم وفخر بلادكم وقد جمعتكم لهذا الأمر ثم وصف لهم ما سأل الملك من أمر الكتاب والغرض الذي قصد فيه فلم يقع لهم الفكر فيه على شيء فلما لم يجد عندهم ما يريده فكر بفضل حكمته أن ذلك أمر إنما يتم باستفراغ العقل وإعمال الفكر وقال أرى السفينة لا تجري في البحر إلا

١ سنة ٢ سنية رفيعة ٤ ذي

بملاحين لأنهم يعرفونها وإنما تسلك لجة بمدبرها الذي تفرد بأمرها ومتى شحنت بالركاب الكثيرين وكثر ملاحوها لم يؤمن عليها من الغرق. ولم يزل مفكرا يعمله في باب الكتاب حتى وضعه على الانفراد بنفسه مع رجل من تلاميذه كان يثق به فخلا به منفردا معه بعد أن عد من الورق الذي كانت تكتب فيه الهند شيئا ومن القوت ما يقوم به وبتلميذه تلك المدة وجلسا في مقصورة وردّ عليهما الباب ثم بدأ في نظم الكتاب وتصنيفه ولم يزل هو يملي وتلميذه يكتب ويرجع هو فيه حتى استقر الكتاب على غاية الإتقان والإحكام. ورتب فيه أربعة عشر بابا كل باب منها قائم بنفسه وفي كل باب مسألة والجواب عنها ليكون لمن نظر فيه حظ من التبصرة والهداية. وضم تلك الأبواب كتابا واحدا وسماه كتاب كليلة ودمنة ثم جعل كلامه على ألسن البهائم والسباع والطير ليكون ظاهره لهوا للخواص والعوام وباطنه رياضة لعقول الخاصة

١ سويه ٢ معشره ٣ ودهم ٤ هيئ ٥ حجرة ٦ نصب
٧ دواب الأربع مع الطير اسم ٨ أي مرتبا

وضمّنه أيضاً ما يحتاج إليه الإنسان من سياسة نفسه وأهله وخاصته وجميع ما يحتاج إليه من أمر دينه ودنياه وآخرته وأولاه ويحضّه على حسن طاعة الملوك ويجنّبه ما تكون مجانبته خيراً له ثم جعله باطناً وظاهراً كرسم سائر الكتب التي برسم الحكمة فصار الحيوان لهواً وما ينطق به حِكَماً وأدباً * فلما ابتدأ بذلك جعل أول الكتاب وصف الصديق كيف يكون الصديقان وكيف تقطع المودة الثابتة بينهما بحيلة ذي النميمة وأمر تلميذه أن يكتب على لسان بيدبا مثل ما كان الملك شرطه في أن يجعله لهواً وحكمة فذكر بيدبا أن الحكمة متى دخلها كلام النقلة أفسدته واستجهل حكمتها * فلم يزل هو وتلميذه يعملان الفكر فيما سأله الملك حتى فتق لهما العقل أن يكون كلامهما على لسان بهيمتين . فوقع لهما موضع اللهو والهزل بكلام البهائم وكانت الحكمة ما نطقا به فأصغت الحكماء إلى حكمه وتركوا البهائم واللهو وعلموا أنها السبب في الذي وضع له

١ اي خيرته ٢ لعبة وسخرية ٣ نقل الاحاديث بقصد الافساد ٤ الشريطة
٥ اي كشف

وَمَالَتْ إِلَيْهِ ٱلْجُهَّالُ عَجَبًا مِنْ مُحَاوَرَةِ بَهِيمَتَيْنِ وَلَمْ يَشُكُّوا فِي ذٰلِكَ وَٱتَّخَذُوهُ لَهْوًا وَتَرَكُوا مَعْنَى ٱلْكَلَامِ أَنْ يَفْهَمُوهُ وَلَمْ يَعْلَمُوا ٱلْغَرَضَ ٱلَّذِي وُضِعَ لَهُ. لِأَنَّ ٱلْفَيْلَسُوفَ إِنَّمَا كَانَ غَرَضُهُ فِي ٱلْبَابِ ٱلْأَوَّلِ أَنْ يُخْبِرَ عَنْ تَوَاصُلِ ٱلْإِخْوَانِ كَيْفَ تَتَأَكَّدُ ٱلْمَوَدَّةُ بَيْنَهُمْ عَلَى ٱلتَّحَفُّظِ مِنْ أَهْلِ ٱلسِّعَايَةِ وَٱلتَّحَرُّزِ مِمَّنْ يُوقِعُ ٱلْعَدَاوَةَ بَيْنَ ٱلْمُتَحَابَّيْنِ لِيَجُرَّ بِذٰلِكَ نَفْعًا إِلَى نَفْسِهِ * فَلَمْ يَزَلْ بَيْدَبَا وَتِلْمِيذُهُ فِي ٱلْمَقْصُورَةِ حَتَّى ٱسْتَتَمَّ عَمَلَ ٱلْكِتَابِ فِي مُدَّةِ سَنَةٍ

فَلَمَّا تَمَّ ٱلْخَبَرُ بَعَثَ إِلَيْهِ ٱلْمَلِكُ أَنْ قَدْ جَاءَ ٱلْوَعْدُ فَمَاذَا صَنَعْتَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ بَيْدَبَا إِنِّي عَلَى مَا وَعَدْتُ ٱلْمَلِكَ فَلْيَأْمُرْنِي بِحَمْلِهِ بَعْدَ أَنْ يَجْمَعَ أَهْلَ ٱلْمَمْلَكَةِ لِتَكُونَ قِرَاءَتِي هٰذَا ٱلْكِتَابَ بِحَضْرَتِهِمْ. فَلَمَّا رَجَعَ ٱلرَّسُولُ إِلَى ٱلْمَلِكِ سُرَّ بِذٰلِكَ وَوَعَدَهُ يَوْمًا مَا يَجْمَعُ فِيهِ أَهْلَ ٱلْمَمْلَكَةِ. ثُمَّ نَادَى فِي أَقَاصِي بِلَادِ ٱلْهِنْدِ لِيَحْضُرُوا قِرَاءَةَ ٱلْكِتَابِ. فَلَمَّا كَانَ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمُ أَمَرَ ٱلْمَلِكُ أَنْ يُنْصَبَ لِبَيْدَبَا سَرِيرٌ مِثْلُ سَرِيرِهِ وَكَرَاسِيُّ لِأَبْنَاءِ ٱلْمُلُوكِ وَٱلْعُلَمَاءِ وَأَنْفَذَ فَأَحْضَرَهُ. فَلَمَّا جَاءَهُ ٱلرَّسُولُ قَامَ

١ عجز ٢ نصب ٣ سه ٤ حضورهم

فلبس ثيابه التي كان يلبسها إذا دخل على الملوك وهي
المسوح ثم أخذ وحمل الكتاب بيده. فلما دخل على
الملك وثب الخلائق بأجمعهم وقام الملك شاكرًا فلما قرب
من الملك كفّر له وسجد ولم يرفع رأسه فقال له الملك يا
بيدبا ارفع رأسك فإن هذا يوم هناء وفرح وسرور وأمره
الملك أن يجلس فحين جلس قرأ الكتاب سأله الملك
عن معنى كل باب من أبواب الكتاب وإلى أي شيء قصد
فيه فأخبره بغرضه فيه وفي كل باب فازداد الملك منه تعجبًا
وسرورًا فقال له يا بيدبا ما عدوت الذي في نفسي وهذا الذي
كنت أطلب فاطلب ما شئت وتحكّم فدعا له بيدبا بالسعادة
وطول الجد وقال أيها الملك أما المال فلا حاجة لي فيه وأما
الكسوة فلا أختار على ثيابي هذه شيئًا ولست أُخلي الملك من
حاجة قال الملك يا بيدبا ما حاجتك فكل حاجة لك قبلنا
مقضية. قال يأمر الملك أن يدوّن كتابي هذا كما دوّن
آباؤه وأجداده كتبهم. ويأمر بالمحافظة عليه فإني أخاف أن
يخرج من بلاد الهند فيتناوله أهل فارس إذا علموا به. فالملك

١ جاوزت ٢ أي عجبًا ٣ أي عندنا

يأمر أن لا يخرج من بيت حكمته. ثم دعا الملك بتلامذته
وأحسن لهم الجوائز

ثم إنه لما ملك كسرى أنوشروان وكان مستأثراً[١]
بالكتب والعلم والأدب والنظر في أخبار الأوائل وقع إليه
خبر الكتاب فلم يقر قراره حتى بعث برزويه الطبيب وتلطف
حتى أخرجه من بلاد الهند فأقره في خزائن فارس

باب

بعثة الملك كسرى أنوشروان بن قباذ برزويه بن أزهر الطبيب إلى بلاد الهند في تحصيل هذا الكتاب

الحمد لله الذي بيده مفاتيح غيبه وإليه منتهى كل علم
وغاية الدال على الخير المسبب كل فضيلة. ألهم عباده كل
ما يقربهم إليه من نوافل[٢] الخيرات وبواعث البركات لما

١ منفرداً ٢ جمع نافلة وهي ما يفعل مما لا يجب

أمرَ اللهُ تعالى عبادَهُ من العلمِ والحكمةِ ... بشكره
ليستوجبوا بذلك المزيدَ منهُ ويسارعوا فيما يرضيه عنهم تبارك
اللهُ ربُّ العالمين . وقد جعل الله لكل سبب علة ولكلِّ
علة مجرى يجريها الله تعالى به على يد عبد من عبيده ويقدرها له
على أيام دولته وأيام نضرته . وذلك ما كان من علم انتساخ
هذا الكتاب ونقله من أرض الهند إلى مملكة فارس بما
ألهمهُ الله تعالى كسرى أنوشروان من بعث في نقله ونسخه . لأنه
كان أكبر ملوك الفرس وأكثرهم حكمة وأسدهم رأيا وأشدهم
تدبيرا وأرجحهم بعقول وأخصهم عن مخابي العلم والأدب
وأحرصهم على الخير والتقرب إلى الله تعالى وأوفقهم لما يريده
بالحكمة من طلب الأدب والتعلم في معرفة الخير والشر
والنفع والضر والصديق والعدو ... بعض ما يعرف ذلك
الأمور لله تعالى في سياسة عبيده وبلاده لإقامة رعيته
وأموره . وهو الملك المعظم في قومه كسرى أنوشروان
زينة البهاء الفاضل الماجد الرشيد السعيد الذي لم يعدله
أحد ممن مضى قبله من ملوك الفرس أسافد الصبر الكامل

الأدب المعينة له بنفسه على أساس فروع الحكم المستعين بنور العقل وجودة الفكر الذي أحظاه الله تعالى بهذه الخصال المحمودة ورشحه رتبة لكرامة ووجهه بهذه النعمة السابغة حتى أذعنت له رعيته وخضعت لسلطانه بريته وصفت له الدنيا ودانت له البلاد وانقادت له الملوك وتركت إيذاءه حسدته ومناصبته وذلك منّة من الخالق جل وعلا قسمها له في دولته وحسنها في أقطار مملكته

فبينما هو ذات يوم في شغول دولته ونصحها وعزة مملكته وقمعها إذ ذكر بعض جلسائه أن عند بعض ملوك الهند في خزائنه كتابا من آداب الحكماء وتجاريب العلماء واستنباط الفضلاء وقد فصلت له عرائس من حكمه الموضوعة على أفواه البهائم والطير والوحش والهوام وحشائش الأرض مما يحتاج إليه فضلاء الملوك لسياسة رعيتها ونظام أمر ممالكها وتدبيرها فدعته الحاجة إلى اقتناء هذا الكتاب لكمال ملكه وأنه بعدمه ناقص وبتحصيله كامل وباتباعه يحصل على رضى الخالق

١ أي الشاملة ٢ حصد ٣ عطف ٤ معظم ٥ عضو ٦ صحب
٧ ما يقتل من الحشرات ٨ احترمت مصنعا

جلّ وعلا وانقياد المخلوقين له وزجره عن المعاصي التي يتبعها
شرار الخلق ويجتنبها أصفاهم جوهرًا وأجودهم طبعًا وأسلمهم
حسًّا * ورآه لما عزم على ما أراده من أمره وقام بإتقانه وتنجيزه
قال في نفسه من لهذا الأمر العظيم والخطب الجسيم
والأدب النفيس الذي به تكمل الفضائل وبه تتزيّن ملوك الهند
دون ملوك فارس وقد هممت أن لا أدع مشقة ولا صعوبة ولا
مخاطرة حتى أبذلها في طلب هذا الكتاب حتى أصل إلى تحصيله
وأقف منه على ترتيب منافعه وتهذيبه من أقوال الحكماء ووضع
العلماء مع ما استأثرته دون سائر الملوك من أحاديث معجبة
وفضائل محكمة يكاد العقل يهتدي إلى إحياء ثمرها وينتفع بما
لذيذ مذاقها وتتعلّق وتثبت حكمها في دروس النفس بما تدول
عن مساويها ويعدل بها عن تتبع أهوائها

فلما فحص كسرى رأيه السديد وعزمه الرشيد فيما صمّم
عليه ورأى أن الأمر في ذلك جليل والخطب عظيم والشقة
بعيدة والمسافة طويلة شاقة ولا بدّ من أن يتحلّى من أهل

---

١ يتبعها ٢ شرار ٣ [illegible] ٤ [illegible] ٥ الأمر
٦ يعني عظيم ٧ نفيس ٨ صعوبة ٩ [illegible] ١٠ محكمة ١١ أي ينتفع ١٢ المصيب
١٣ السفر البعيد ١٤ صعبة ١٥ أي يختار

الْكِتَابَةِ أَصْلَبَهُمْ عُودًا وَأَجْوَدَهُمْ عَزْمًا وَحَزْمًا وَهَذَا يُوجَدُ إِمَّا فِي كُتُبِ التَّدْوِينِ وَإِمَّا فِي طِبِّ النُّفُوسِ لِأَنَّ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ تَجْمَعُ مَسَالِكُهُمَا جَمِيعَ الْفَضَائِلِ وَالْآدَابِ وَفُنُونَ الْعِلْمِ وَمَحْضَ الْحِكَمِ فِي أَمْرِ الدَّوْلَةِ وَبُلُوغَ الْأَغْرَاضِ لِمُلُوكِهَا بِحُسْنِ الْحِيَلِ وَجَوْدَةِ الذِّهْنِ وَكَرَمِ الْمُرُوءَةِ وَكِتْمَانِ السِّرِّ وَإِظْهَارِ أَضْدَادِهَا[1]

فَلَمَّا تَمَّ عَزْمُهُ وَسَطَّرَ سَأَلَ وُزَرَاءَهُ أَنْ يَتَقَدَّمُوا وَيَجْتَهِدُوا فِي طَلَبِ رَجُلٍ كَامِلٍ عَاقِلٍ أَدِيبٍ قَدْ جَمَعَ الْفَضَائِلَ بِحَذَافِيرِهَا وَنُسِبَ إِلَى الْكَمَالِ مِنْ أَهْلِ الصِّنْفَيْنِ أَشَدَّ كُورَتَيْنِ مَاهِرًا كَاتِبًا نِحْرِيرًا أُوطِيسًا فَيْلَسُوفًا قَدْ أَدَّتْهُ تَجَارِبُ عَارِفٍ بِلِسَانِ الْفَارِسِيَّةِ خَبِيرٍ بِلُغَةِ الْهِنْدِ يَكُونُ بِهِمَا جَمِيعًا حَرِيصًا عَلَى الْعِلْمِ مُجْتَهِدًا فِي الْأَدَبِ مُوَاظِبًا عَلَى الطِّبِّ وَالْفَلْسَفَةِ فَيَأْتُونَهُ بِهِ * فَخَرَجَ أَهْلُ مَشُورَتِهِ وَوُزَرَاؤُهُ مُنْتَشِرِينَ يَتَفَحَّصُونَ عَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ فَوَجَدُوهُ وَأَحْضَرُوهُ فَإِذَا هُوَ شَابٌّ جَمِيلُ الْوَجْهِ كَامِلُ الْعَقْلِ وَالْأَدَبِ ذُو حَسَبٍ وَصِنَاعَةٍ شَرِيفَةٍ يُعْرَفُ بِهَا وَهِيَ الطِّبُّ وَكَانَ مَاهِرًا[6]

١ أي [illegible] ٢ [illegible] ٣ [illegible] ٤ [illegible] ٥ [illegible] ٦ ماهرا

في الفارسية والهندية وهو برزويه بن أزهر الفيلسوف وكان من فضلاء أطباء فارس . فأحضر بين يدي الملك كسرى فخرّ ساجدا وعفّر وجهه طاعة للملك فشرح له الأمر بمحضر من وزرائه وخواصه وأهل مملكته وقال له أيها الحكيم الفاضل إني تقدمت إلى وزرائي ونوابي وأهل نصيحتي أن ينظروا لي رجلا كامل العقل قد اجتهد نفسه في طلب العلوم واقتناء الفضائل كتوما لأسرار الملوك أضعه على ما تحتوي عليه ضمائري وأوصله إلى مكنون سري فيتخذ ذلك نقول وأفعال وسياسة وإذعان ونظر الحزمة وتفحص المهنة وبذل الاجتهاد في بلوغ الملك مناه وأمله وتمييزه على سائر ملوك الدول بنيل مطلوبه وبكاف على ذلك بما يبقى في سنيه بادلا نفسه في سلطانه وقد ذكر عنك فضائل كثيرة وحكم شريفة تشهد بفراستك هذا وبسوغ تصدر عنك فكر عند جميع الوزراء والأصفياء فيك وأنزل نفسك هذه المنزلة أني تخيرت لها وثقة من سعة وتسبب بأسباب من صحاحوهره وطب

١ مرّغ ٢ صور ٣ بحضر ٤ خدمه ٥ ويستر من عقل ٦ مقصود امرك
٧ في حق ملم بك ٨ تنصيب ٩ في موضع في عدو ١٠ يوصل بوسائل

عصره ورفع بعلمه وحلمه وطاعة بارئه لطاعة سلطانه أتى[1]
من اتباعه ونهى وزجر عن الخروج عنها فإني قد اخترتك
لما بلغني من فضلك وعلمك وعقلك وحرصك على طلب العلم
حيث كان وقد بلغني عن كتاب بالهند مخزون[2] في خزائنهم
وقص عليه قصته وما بلغه عنه وقال له تجهز فإني مرحلك إلى
أرض الهند فتلطف في ذلك بعقلك وحسن أدبك ونافذ
رأيك لاستخراج هذا الكتاب من خزائنهم ومن قبل علمائهم
وحكمائهم تاما كاملا مكتوبا بالفارسية فتستفيده أنت وتفيدنا
[5] وما قدرت عليه من كتب الهند مما ليس في خزائننا منه
شيء فاحمله معك وقد أمرنا أن نطلق لك من أموالنا ما
تختار وتحتاج إليه فإذا بعد ما تستحقه فاكتب إلينا نمدك
بالمال وإن كثرت فيه النفقة فإن جميع ما في خزائننا مبذول
لك في طلب العلوم وهذا الكتاب فطب نفسا وقر عينا[6]
وعجل في ذلك ولا تقصر في طلب العلوم واعمل على مسيرك[7]
إن شاء الله تعالى

١ أصله ٢ مخزون ٣ جهة ٤ قريع ٥ بـ... ٦ أبرد يكنى بقرة العين عن
السرور والغبطة ٧ أي على ما يسرك

قَالَ بُرْزَوَيْهِ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ عِشْتَ دَهْرًا طَوِيلًا سَعِيدًا وَمَلَكْتَ ٱلْأَقَالِيمَ ٱلسَّبْعَةَ فِي حِفْظٍ وَدَعَةٍ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِكَ وَسَهْمٌ مِنْ سِهَامِكَ فَلْيَرْمِ بِي ٱلْمَلِكُ حَيْثُ شَاءَ مِنَ ٱلْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ ٱلْمَلِكُ دَامَ ٱللهُ أَيَّامَهُ فِي غِبْطَةٍ وَسُرُورٍ أَنْ يَعْقِدَ لِي مَجْلِسًا قَبْلَ سَفَرِي يَحْضُرُهُ ٱلْخَوَاصُّ لِيَعْلَمَ أَهْلُ ٱلطَّاعَةِ وَٱلْمَمْلَكَةِ مَا ٱخْتَصَّنِي بِهِ ٱلْمَلِكُ وَرَآنِي أَهْلًا لَهُ وَنَوَّهَ بِٱسْمِي فَلْيَفْعَلْ ذٰلِكَ مُنْعِمًا عَلَى ٱلْعَبْدِ ٱلطَّائِعِ فَقَالَ ٱلْمَلِكُ يَا بُرْزَوَيْهِ قَدْ رَأَيْتُكَ لِذٰلِكَ أَهْلًا وَأَجَبْتُكَ إِلَى مَا طَلَبْتَ وَزِدْتُ لَكَ فِيمَا سَأَلْتَ فَافْعَلْ مِنْ ذٰلِكَ حَسَبَ مَا تَرَاهُ مُوَفَّقًا لَكَ مُنَوِّهًا بِٱسْمِكَ. ثُمَّ خَرَجَ بُرْزَوَيْهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ ٱلْمَلِكِ فَرِحًا مَسْرُورًا وَوَعَدَهُ ٱلْمَلِكُ يَوْمًا أَمَرَ أَنْ يَجْمَعَ لَهُ فِيهِ أَهْلَ مَمْلَكَتِهِ وَخَوَاصَّ أُمَرَاءِ دَوْلَتِهِ ثُمَّ أَمَرَ بِأَنْ يُنْصَبَ لَهُ مِنْبَرٌ فَنُصِبَ وَرَقِيَ عَلَيْهِ بُرْزَوَيْهِ ثُمَّ قَالَ

مَا نَعْلَمُ أَنَّ ٱللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ خَلْقَهُ بِرَحْمَتِهِ وَمَنَّ عَلَى عِبَادِهِ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَرَزَقَهُمْ مِنَ ٱلْعَقْلِ مَا يَقْدِرُونَ بِهِ عَلَى صَلَاحِ مَعَايِشِهِمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَيُدْرِكُونَ بِهِ ٱسْتِنْقَاذَ أَرْوَاحِهِمْ

١ سعد عيش ٢ سكنه ٣ رفعه ٤ جمع معيشة ٥ خلاص

مِنَ ٱلْعَذَابِ فِي ٱلْآخِرَةِ. وَأَفْضَلُ مَا رَزَقَهُمُ ٱللّٰهُ تَعَالَى وَمَنَّ بِهِ عَلَيْهِمِ ٱلْعَقْلُ ٱلَّذِي هُوَ ٱلدِّعَامَةُ لِجَمِيعِ ٱلْأَشْيَاءِ وَٱلَّذِي لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ فِي ٱلدُّنْيَا عَلَى إِصْلَاحِ مَعِيشَتِهِ وَلَا إِحْرَازِ نَفْعٍ وَلَا دَفْعِ ضَرَرٍ إِلَّا بِعَوْنِهِ مِنَ ٱلْخَالِقِ ٱلْمُبْدِعِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْأَحَدِ. وَكَذَلِكَ طَالِبُ ٱلْآخِرَةِ ٱلْمُجْتَهِدُ فِي ٱلْعَمَلِ لِتُنْجِيَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ عَمًى وَضَلَالٍ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِتْمَامِ عَمَلِهِ وَإِكْمَالِهِ وَلَا يَتِمُّ لَهُ ذَلِكَ إِلَّا بِٱلْعَقْلِ ٱلَّذِي هُوَ ٱلسَّبَبُ ٱلْمُتَّصِلُ بِكُلِّ خَيْرٍ وَٱلْمِفْتَاحُ لِكُلِّ سَعَادَةٍ وَمَطْلَعٌ فِي دَرَجِ حُبُورٍ. فَلَيْسَ لِأَحَدٍ عَنْهُ غِنًى وَلَا بِغَيْرِهِ اكْتِفَاءٌ. وَٱلْعَقْلُ غَرِيزِيٌّ مَطْبُوعٌ يَزِيدُ بِٱلتَّجَارِبِ وَٱلْأَدَبِ. وَغَرِيزَتُهُ مَكْنُونَةٌ فِي ٱلْإِنْسَانِ كَامِنَةٌ فِيهِ كُمُونَ ٱلنَّارِ فِي ٱلْحَجَرِ فَإِنَّ ٱلنَّارَ طَبِيعَتُهَا فِيهِ كَامِنَةٌ لَا تَظْهَرُ وَلَا يَبْدُو ضَوْءُهَا حَتَّى يُظْهِرَهَا قَادِحٌ مِنْ غَيْرِهِ فَإِذَا قَدَحَهَا ظَهَرَتْ طَبِيعَتُهَا بِضَوْئِهَا وَحَرِيقِهَا. وَكَذَلِكَ ٱلْعَقْلُ كَامِنٌ فِي ٱلْإِنْسَانِ لَا يَظْهَرُ حَتَّى يُظْهِرَهُ ٱلْأَدَبُ وَتُقَوِّيَهُ ٱلتَّجَارِبُ فَإِذَا ٱسْتَحْكَمَ كَانَ أَوْلَى بِٱلتَّجَارِبِ لِأَنَّهُ هُوَ ٱلْمُقَوِّي لِكُلِّ فَضِيلَةٍ وَٱلْمُعِينُ عَلَى دَفْعِ كُلِّ رَذِيلَةٍ. فَلَا شَيْءَ أَفْضَلُ مِنَ ٱلْعَقْلِ إِذَا مَنَّ ٱللّٰهُ تَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ بِهِ وَأَعَانَهُ عَلَى نِعَمِهِ

بالمواظبة على طرق الأدب والعلم والحرص على ذلك ومن رزق العقل ومنّ به عليه وأعين على صدق قريحته بالأدب حرص على طلب سعد جدّه وأدرك في الدنيا أمله وحاز في الآخرة ثواب الصالحين والعقل هو المتوري للملك عن مكائده من السوء والعدو لا يقوى بالأباطيل يسوغ العدل العادي عن العقل لأنه مبيح النفوذ

وقد رزق الله الملك السعيد كسرى أنوشروان من العقل أفضله وأجزله ومن العلم أجمله وأكمله ومن المعرفة بالأمور أصوبها وأسدّها من الأفعال أرشدها ومن البحث عن الأصول والفروع أنفعه وأبلغه ومن اختلاف العلم وبلوغ منزلة الفلسفة ما لم يبلغه ملك قطّ من الملوك قبله وكان مع ما نال من ذلك محمودة لشدّة القابلية لانطباع الصور فبلغ بذلك أن صار أفضل على من مضى من الملوك قبله حتى كان فيما طلب وبحث عنه وسمت إليه نفسه من العلم أن بلغه عن كتاب بالهند من كتب فلاسفتها وعلمائها مخزون عند ملوكهم علم أنه أصل

---

١ حضوه ٢ مال ٣ اجر ٤ ترشيه ٥ وشبه ٦ مؤنث الامتي بمعنى الاشد

كُلِّ أَدَبٍ وَرَأْسُ كُلِّ عِلْمٍ وَأَدَلُّ عَلَى كُلِّ مَنْفَعَةٍ وَمِفْتَاحُ عَمَلِ الْآخِرَةِ وَعِلْمِهَا وَمَعْرِفَةِ النَّجَاةِ مِنْ أَهْوَالِهَا وَأَقْوَى عَلَى جَمِيعِ الْأُمُورِ وَأَعْوَنُ عَلَى مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُلُوكُ فِي تَدْبِيرِهِمْ لِأُمُورِ مَمَالِكِهِمْ وَأَدَبِ السُّوقَةِ فِيمَا يُصْلِحُونَ بِهِ مُلُوكَهُمْ وَيُصْلِحُونَ بِهِ مَعِيشَتَهُمْ وَهُوَ كِتَابُ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ

فَلَمَّا تَقَرَّرَ بَلَاغُهُ عَنْ حَدِيثِ الْكِتَابِ وَكَشْفِ عَمَّا فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ مِنْ ثَمَرَةِ الْعَقْلِ وَالْأَدَبِ رَآنِي أَهْلًا لِذَلِكَ وَنَدَبَنِي إِلَى اسْتِخْرَاجِهِ وَلِلَّهِ التَّوْفِيقُ وَالسَّلَامُ

وَعِنْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ لِلْمَلِكِ عِلْمُهُ وَحِكْمَتُهُ وَشَهَامَتُهُ فَسُرَّ بِذَلِكَ سُرُورًا شَدِيدًا ثُمَّ أَمَرَ الْمَلِكُ عِنْدَ ذَلِكَ بِإِحْضَارِ الْمُنَجِّمِينَ وَأَنْ يَتَخَيَّرُوا لَهُ يَوْمًا سَعِيدًا وَطَالِعًا صَالِحًا وَسَاعَةً مُبَارَكَةً يَتَوَجَّهُ فِيهَا فَاخْتَارُوا لَهُ يَوْمًا يَسِيرُ فِيهِ وَسَاعَةً صَالِحَةً يَخْرُجُ فِيهَا فَسَارَ بَرْزَوَيْهِ بِطَالِعِ سَعْدٍ وَحَمَلَ مَعَهُ مِنَ الْمَالِ عِشْرِينَ جِرَابًا كُلُّ جِرَابٍ فِيهِ عَشَرَةُ آلَافِ دِينَارٍ وَتَوَجَّهَ جَادًّا فِي طَلَبِ حَاجَتِهِ نَهَارًا وَلَيْلًا حَتَّى قَدِمَ بِلَادَ الْهِنْدِ فَجَعَلَ يَطُوفُ بِبَابِ الْمَلِكِ

---

١ ذكاء فؤاده ٢ [illegible] ٣ [illegible]

ومجالس السوقة ومجالس الحكماء ويسأل عن خواص أهل الملك
والأشراف من خلطائه والعلماء والفلاسفة وجعل يغشاهم
في مجالسهم ويتلقاهم بالتحية والسلام ويخبرهم أنه رجل غريب
قدم بلادهم لطلب العلم والأدب ويحث عنه ورياضته فيه وأنه
محتاج إلى معونتهم فيما يطلب من ذلك ويسألهم بذل الدعاء
أنه مولع بآدابهم مع شدة كتمانه لما قدم بسببه وذهب بسره ثم
لم يزل كذلك زمانا طويلا يتأدب على علماء الهند بما هو عالم
بجميعه وكأنه لا يعلم منه شيئا وهو فيما بين ذلك يستر بغيته
وحاجته وفي أثناء ذلك يبحث عن مطلوبه بحكمة وسياسة
وعفة ونزاهة. واتخذ في تلك الحالة بطول مقامه أصدقاء
أصفياء كثيرة كلهم من أهل الهند من الأشراف والعلماء
والفلاسفة والسوقة ومن أهل كل طبقة وصنعة

وكان قد اتخذ من بين أصدقائه رجلا واحدا
اصطفاه لسره ومخالصته بمشورته لما ظهر له من فضله وأدبه
وحكمته وفهمه وكرمه وبحسن حسبه وما استبان له من صحة إخائه

[illegible]
[illegible]

يسمى أزْرَوَيْه. وكان يشاوره في الأمور ويرتاح إليه في جميع ما أهمه. إلا أنه كان يكتم عنه الأمر الذي قدم من أجله حتى يبلوه ويختبره وينظر هل هو أهل أن يطلعه على سره. ولم يزل يبحث عنه ويجتهد في أمره حتى وثق به وثوق الأكفاء بالأكفاء وعلم أنه محل لكشف الأسرار الجليلة الخطيرة وأنه مأمون على ما يستودع من ذلك غير حائر صديق صدوق. ثم زاده طلبا وبه احتفاء وعليه حنوا إلى أن حضر اليوم الذي رجا فيه بلوغ منيته. وقد أحكم جميع طول العشرة وعظم الثقة في استلطاف الإخوان ومجالستهم على الطعام والشراب. فلما وثق بصديقه الهندي الذي تقدم ذكره ورضي بسيرته وسبر عقله واطمأن إليه في سره قال له يوما وهما خاليان: يا أخي ما أريد أن أكتمك من أمري فوق الذي كتمتك لأنك أهل لذلك. واعلم أني لأمر قدمت بلادكم وهو غير الذي يظهر مني. والعاقل يكتفي من الرجل

١ يستعد به يهمه ٢ يجربه ٣ الأمين [illegible] ٤ ارتبطه
٥ صدوق ٦ [illegible] ٧ [illegible] كرم ٨ [illegible] ٩ أنس
١٠ أمن ووثق به

بالعلامات من نظره وإشارته فيعلم بذلك سر نفسه وما يضمره قلبه . فقال له صاحبه الهندي إني وإن لم تخبرني بما جئت له وأتيت بسببه وقصدت وأنت تكتم ما تطلبه وتظهر غيره فما خفي علي ذلك منك ولا ذهب عني ما كتمته ولكني أحببت [illegible] منك وفي إخبارك كرهت أن أواجهك بذلك وأجابك به لأني قد ظهر لي ما تكتمه وبان لي ما تخفيه فأما إذ قد ظهرت ذلك وفضحت به من نفسك فإني مخبرك عن نفسك ومظهر لك سريرتك ومعلمك عن سر حاجتك إني قدمت بسببها وطلبت منك في ضمنها وذلك أنك إنما قدمت أرضنا وقدمت إلى بلادنا لتسلب كنوزنا النفيسة فتذهب بها إلى بلادك وتسر بها ملكك وكان قدومك إلينا بالمكر ومصادقتك إياي بالخديعة ولكني لما رأيت صبرك ومواظبتك على طلب حاجتك والتحفظ من أن تسقط في الكلام مع طول مكثك عندنا على كتم أمرك بشيء يستدل به على سريرتك وأمورك ازددت رغبة في إخائك وثقة بعقلك وأحببت مودتك . فإني لم أر في الرجال رجلا هو أرصن

١ نس[illegible]كم

مِنْكَ عقلًا ولا أحسن أدبًا ولا أصبر على طلب العلم ولا أكتم
لسرّه ولا سيما في بلادِ غُربةٍ ومملكةٍ غيرِ مملكتكَ وعند قوم
لا تعرفُ سُنّتهم ولا شيمَهم. وإنّ عقل الرجل ليبين في خصالٍ
ثمانٍ. الأولى منها الرفق والثانية أن يعرف الرجل نفسه
فيحفظها. والثالثة طاعة الملوك والتحرّي لما يرضيهم. والرابعة
معرفة الرجل موضع سرّه وكيف ينبغي أن يطلع عليه صديقه
والخامسة أن يكون على أبواب الملوك أديبًا ملق اللسان
والسادسة أن يكون لسرّه ولسرّ غيره حافظًا والسابعة أن
يكون على لسانه قادرًا فلا يتكلم إلا بما يأمن تبعته ولا يطلع
على سرّه إلا الثقات والثامنة أن لا يتكلم في المحافل بما لا
يسأل عنه. فمن اجتمعت فيه هذه الخصال كان هو الداعي
الخيرَ إلى نفسه وهذه الخصال كلها قد اجتمعت فيك وبانت
لي منك فالله تعالى يحفظك ويعينك على ما قدمت له ويظفرك
بحاجتك. لأنك قد صادقتني بطلبي علمي وسرّي وإنك
أهل لأن تسعف بحاجتك وتشفع بطلبتك وتعطى سؤلك.

---

١ طبعه الأخرى ٢ من سنّ وهو أخذ به ٣ [illegible] ٤ [illegible] ٥ محمود
[illegible] ٦ [illegible] ٧ مسؤولك

ولكن حاجتك التي تطلب قد أذهبت نعسي وأدخلت علي
الأرق والخشية . فلما عرف برزويه أن الهندي قد عرف أن
مصادقته إنما كانت مكرا وخديعة وطلب حاجة فلم يزجره ولم
ينتهره بل رد عليه ردا كرد الأخ على أخيه بالتعطف
والرفق وثقة بقضاء حاجته منه فقال له إني قد كنت هيأت
كلاما كثيرا وشعبت له شعبا وأسست له أصولا وطرقا
فلما انتهيت فيه إلى ما بدا لي به من اطلاعك على أمري
والذي قدمت له وجئت إليه من ذات نفسك ورغبتك فيما
رأيت من الفضل اكتفيت باليسير من الخطاب معك عما
كنت أخيف فيه إذ عرفت الكثير من أموري بالقليل من
الكلام لما قسم الله لك من العقل والأدب فكفيتني مؤونة
الكلام فاقتصرت به معك على الإيجاز ورأيت من إسعافك
إياي بحاجتي ما دلني على كرمك وحسن وفائك فإن الكلام
إذا ألقي إلى الفيلسوف والسر إذا استودع اللبيب الحافظ فقد
حصن وبلغ به نهاية أمل صاحبه كما يحصن الشيء النفيس
في القلاع الحصينة فقال له الهندي لا شيء أفضل من

١ أعرف ٢ أي جعلت له طرقا ٣ أي غنيت عنه

ٱلْمَوَدَّةِ وَمَنْ خَلَصَتْ مَوَدَّتُهُ كَانَ أَهْلًا أَنْ يَخْلِطَهُ ٱلرَّجُلُ بِنَفْسِهِ
وَلَا يَدَّخِرَ عَنْهُ شَيْئًا وَلَا يَكْتُمَهُ سِرًّا وَلَا يَمْنَعَهُ حَاجَةً وَمُرَادًا إِنْ
قَدَرَ عَلَى ذٰلِكَ وَرَأْسُ ٱلْأَدَبِ حِفْظُ ٱلسِّرِّ فَإِذَا كَانَ ٱلسِّرُّ عِنْدَ
ٱلْأَمِينِ ٱلْكَتُومِ فَقَدِ ٱحْتُرِزَ مِنَ ٱلتَّضْيِيعِ لِأَنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ لَا
يَتَكَلَّمَ بِهِ وَلَا يُكْتَمُ سِرٌّ بَيْنَ ٱثْنَيْنِ قَدْ عَلِمَاهُ وَتَفَاوَضَا فِيهِ وَلَا يَكُونُ
سِرًّا لِأَنَّ ٱللِّسَانَيْنِ قَدْ تَكَلَّمَا بِهِ فَإِذَا تَكَلَّمَ بِٱلسِّرِّ ٱثْنَانِ
فَلَا بُدَّ مِنْ ثَالِثٍ مِنْ جِهَةِ ٱلْوَاحِدِ أَوْ مِنْ جِهَةِ ٱلْآخَرِ فَإِذَا صَارَ
إِلَى ٱلثَّلَاثَةِ فَقَدْ شَاعَ وَذَاعَ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعُ صَاحِبُهُ أَنْ يَجْحَدَهُ
وَيُكَابِرَ فِيهِ كَٱلْغَيْمِ إِذَا كَانَ مُتَقَطِّعًا فِي ٱلسَّمَاءِ فَقَالَ قَائِلٌ إِنَّ
هٰذَا ٱلْغَيْمَ مُتَقَطِّعٌ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ وَأَنَا فَقَدْ يُدَاخِلُنِي
مِنْ مَوَدَّتِكَ وَمُخَالَطَتِكَ مَعَ أُنْسِي بِقُرْبِكَ سُرُورٌ لَا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ
وَهٰذَا ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي تَطْلُبُهُ مِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ مِنَ ٱلْأَسْرَارِ ٱلَّتِي لَا تُكْتَمُ فَلَا
بُدَّ أَنْ يَفْشُوَ وَيَظْهَرَ حَتَّى يَتَحَدَّثَ بِهِ ٱلنَّاسُ فَإِذَا فَشَا فَقَدْ
سَعَيْتُ فِي هَلَاكِي هَلَاكًا لَا أَقْدِرُ عَلَى ٱلْفِدَاءِ مِنْهُ بِٱلْمَالِ وَإِنْ
كَثُرَ لِأَنَّ مَلِكًا فَظًّا غَلِيظًا يُعَاقِبُ عَلَى ٱلذَّنْبِ ٱلصَّغِيرِ أَشَدَّ

---

١ يخلط ٢ أبقى ٣ سوركا ٤ منع ٥ سرّه ٦ شاع وذاع ٧ يسويه
٨ يشيع ٩ خش

العتاب فكيف مثل هذا الذنب العظيم. وإذا حملتني
المودّة التي بيني وبينك فأسعفتك بحاجتك لم يردّ عقابه عنّي
شيء. قال برزويه إنّ العلماء قد مدحت الصديق إذا كتم
سرّ صديقه وأعانه على الفوز وهذا الأمر الذي قدمت له
لمثلك ذخرته وبك أرجو بلوغه وأنا واثق بكرم طباعك
ووفور عقلك فيه وإن كنت قد وصل إليك منّي ما وصل
من المشقّة فأنعم بتحمّل ذلك واعلم أنّك لا تخشى منّي
ولا تخاف أن تذيعه لكن تخشى أهل بلدك مصيبين بك وبأسبابك
أن يتقوّلوا بك إليه ويسعوا ذلك عنك. وأنا أرجو أن لا
يشيع شيء من هذا الأمر لأنّي أنا ظاعن وأنت مقيم وما
أقمت فلا ثالث بيننا فتعاهدا على هذا جميعًا. وكان
الهنديّ خازن الملك وبيده مفاتيح خزائنه فأجابه إلى ذلك
الكتاب وإلى غيره من الكتب وسلّمها إليه فأكبّ على
تفسيره ونقله من اللسان الهنديّ إلى اللسان الفارسيّ
وأتعب نفسه وأنصب بدنه نهارًا وليلًا وهو مع ذلك وجل

١ [illegible] ٢ [illegible] ٣ سعيا عنك ٤ وجل ٥ [illegible]
٦ أهل ٧ جهد ٨ خائف

فرغ من ملك الهند خائف على نفسه من أن يذكر الملك الكتب في وقت ولا يصادفه في خزائنه. فلما فرغ من انتساخ الكتاب وغيره مما أراد من سائر الكتب كتب إلى أنوشروان يعلمه بذلك. فلما وصل إليه الكتاب سُرّ سروراً شديداً ثم تخوّف معاجلة المقادير أن تنغّص عليه فرحه وينقص سروره فكتب إلى برزويه يأمره بتعجيل القدوم. فسار برزويه متوجهاً نحو كسرى. فلما رأى الملك ما قد مسّه من الشحوب والإعياء قال له: أيها العبد الناصح الذي يأكل ثمرة ما قد غرس أبشر وقرّ عيناً فإنك مشرّفٌ ومبلغٌ بك أفضل درجة. وأمره أن يريح بدنه سبعة أيام. فلما كان اليوم الثامن أمر الملك بإحضار أشراف مملكته وجميع علماء مصره وشعرائه والخطباء. فلما اجتمعوا أحضر برزويه فدخل عليهم وسجد بين يدي الملك وجلس على مرتبته المعدّة له. ثم وقع الكلام فيما شاهده ورآه وشرح قصته وحديثه من أولها إلى آخرها. فلم يبق أحد من رجال الدولة وقوادها وأهل علومها على طبقاتهم إلا تعجب منه ومن طول طريقه وحسن سيرته مع صديقه وما

نكد ٢ تغير الصحة ٣ شدة تعب ٤ كونه ٥ أي أثره

وثق به بلا عهد منه ولا مقدمة تقدمت بينهما من إفشاء
سره له مع ما بينهما من تفرق الأنساب وتباين الأشكال ومغايرة
المذهب ويستعظم ما أنفق على تحصيل ذلك وعظم برزويه
في أعين الحاضرين وكبر قدره عند ملكه * ثم إن الملك صرف
من حضر وشرف برزويه ووجه الخطباء يصنعون مقدمات
تصلح لحضور مجالس وتهيأوا لذلك . وعقد لهم الملك مجلسا
وحضر برزويه ووجوه الدولة والوزراء وفصحاء المملكة
وحضر الكتاب وسائر الكتب فلما قرئت الكتب وسمعوا
ما فيها من العلوم والحكم وسائر الطرائف وغرائب الآداب
انتشر من حضر وبلغ الملك منيته ومدح برزويه وأثنى
عليه وشكره على ما ناله من التعب فأمر الملك عند ذلك
بالدر والجوهر والذهب والفضة وفتحت خزائن الكسوة وخلع
عليه وحمل بين يديه جميع ذلك ثم إن الملك ألبسه تاجه
وأجلسه على سريره تقريبا له وزيادة في إجلاله ولما تم لبرزويه
ذلك خر ساجدا للملك وقال أكرم الله الملك بأفضل
الكرامات بزيادته في دنياه وأخراه وخلد ملكه وثبت وطأته

١ اي معرفة ٢ اي امر سر ٣ عد ٤ اي تدبيرا ٥ بقي ٦ اي مكن سلطة

وشيد مباني مجده. إن الله ولي الحمد قد أغناني عن المال بما ألبسني من الرتب العلية السنية والنعم والأمنية بما رزقني من تشريف ملك الملوك بعبده الذليل لكن إذ كلفني الملك ذلك وعلمت أنه يسره فأنا آخذ مما أمر لي به امتثالا لأمره وطلبا لمرضاته. وقام فأخذ منه تختا من طرائف خراسان من ملابس الملوك. ثم قال أيها الملك إن الإنسان إذا منحه الله تعالى عقلا وافرا وعلما راجحا وحلما رجيحا وديبا صحيحا ونجاه بسببه من العاهات فليشكر الصانع الأزلي مرشدا على ما وهبه من ذلك من سبب تحتوي تحفته ولا تقدمه في سفه. وإن الإنسان إذا أكرم وجب عليه الشكر وإن كان قد سوء جسمه تعبا ومشقة وأما تأتيهم بلية من عناء ونصب إذ أعلم أن لكم فيه الشرف يا أهل هذا البيت فإني لم أزل إلى هذا اليوم تابعا رضاكم أرى العسير فيه يسيرا والشاق هينا والتعب والأذى سرورا ولذة بما أعلم أن لكم فيه رضى وعندكم قربة. ولكني أسألك أيها الملك حاجة تسعفني بها وتعطيني فيها سؤلي

١ رفع ٢ أي رتبة ٣ وعد ٣ بحضرته ٤ مدني ٥ صحيح وطيبا ٦ وسعة ٧ أي مينا ٨ الأحداث وعوارض ٩ [illegible] ١٠ [illegible] ١١ جهد ١٢ قربا في منزلة

فَإِنَّ حَاجَتِي يَسِيرَةٌ وَفِي قَضَائِهَا فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ قَالَ أَنُوشِرْوَانُ
قُلْ فَكُلُّ حَاجَةٍ لَكَ قِبَلَنَا مَقْضِيَّةٌ لِأَنَّكَ عِنْدَنَا عَظِيمٌ وَلَوْ طَلَبْتَ
مُشَارَكَتَنَا فِي مُلْكِنَا لَفَعَلْنَا يَا بَرْزَوَيْهِ طَيِّبَةً بِذَلِكَ فَكَيْفَ مَا سِوَى
ذَلِكَ فَقُلْ وَلَا تَحْتَشِمْ فَإِنَّ ٱلْأُمُورَ كُلَّهَا مَبْذُولَةٌ لَكَ قَالَ
بَرْزَوَيْهِ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لَا تَنْظُرْ إِلَى عَنَائِي[1] فِي رِضَاكَ وَٱنْكِمَاشِي فِي
طَاعَتِكَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ يَلْزَمُنِي بَذْلُ مُهْجَتِي فِي رِضَاكَ وَلَوْ لَمْ تَجْزِنِي
لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عِنْدِي عَظِيمًا وَلَا وَاجِبًا عَلَى ٱلْمَلِكِ وَلَكِنْ لِكَرَمِهِ
وَشَرَفِ مَنْصِبِهِ[2] عَمَدَ إِلَى مُجَازَاتِي وَخَصَّنِي وَأَهْلَ بَيْتِي بِعُلُوِّ ٱلْمَرْتَبَةِ
وَرَفْعِ ٱلدَّرَجَةِ حَتَّى لَوْ قَدَرَ أَنْ يَجْمَعَ لَنَا بَيْنَ شَرَفِ ٱلدُّنْيَا
وَٱلْآخِرَةِ لَفَعَلَ فَجَزَاهُ ٱللَّهُ عَنَّا أَفْضَلَ ٱلْجَزَاءِ قَالَ أَنُوشِرْوَانُ
ٱذْكُرْ حَاجَتَكَ فَعَلَيَّ مَا يَسُرُّكَ قَالَ بَرْزَوَيْهِ حَاجَتِي أَنْ يَخْرُجَ
أَمْرُ ٱلْمَلِكِ أَسْعَدَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى إِلَى حَكِيمِهِ ٱلْفَاضِلِ ٱلرَّفِيعِ ٱلْهُمَامِ
وَزِيرِهِ بُزُرْجُمْهُرَ بْنِ ٱلْبُخْتَكَانِ أَنْ يَنْظُرَ أَمْرِي فِي نُسْخَةٍ[3] وَيُبَوِّبَ
ٱلْكِتَابَ وَيَجْعَلَ تِلْكَ ٱلنُّسْخَةَ بَابًا يَذْكُرُ فِيهِ أَمْرِي وَيَصِفُ حَالِي
وَلَا يَدَعَ مِنَ ٱلْمُبَالَغَةِ فِي ذَلِكَ أَقْصَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَيَأْمُرَهُ إِذَا
فَرَغَ مِنْهُ أَنْ يَجْعَلَهُ أَوَّلَ ٱلْأَبْوَابِ ٱلَّتِي تُقْرَأُ قَبْلَ بَابِ ٱلْأَسَدِ

١ تعبي وجدي ٢ [illegible] ٣ [illegible]

وَٱلنُّورِ. فَإِنَّ ٱلْمَلِكَ إِذَا فَعَلَ ذٰلِكَ فَقَدْ بَلَغَ بِي وَبِأَهْلِي غَايَةَ
ٱلشَّرَفِ وَأَعْلَى ٱلْمَرَاتِبِ وَأَبْقَى لَنَا مَا لَا يَزَالُ ذِكْرُهُ بَاقِيًا عَلَى ٱلْأَبَدِ
حَيْثُمَا قُرِئَ هٰذَا ٱلْكِتَابُ. فَلَمَّا سَمِعَ كِسْرَى أَنُوشِرْوَانُ وَٱلْعُظَمَاءُ
مَقَالَتَهُ وَمَا سَمَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْ مَحَبَّةِ إِبْقَاءِ ٱلذِّكْرِ عَجِبُوا مِنْ أَدَبِهِ
وَحُسْنِ عَقْلِهِ وَكَرَمِ نَفْسِهِ وَخَسَاسَةِ طَلِبَتِهِ وَٱخْتِيَارِهِ. فَقَالَ كِسْرَى
حُبًّا وَكَرَامَةً يَا بَرْزَوَيْهِ إِنَّكَ لَأَهْلٌ أَنْ نُسْعِفَ حَاجَتَكَ فَمَا أَقَلَّ
مَا قَنِعْتَ بِهِ وَأَيْسَرَهُ عِنْدَنَا وَإِنْ كَانَ خَطَرُهُ عِنْدَكَ عَظِيمًا.
ثُمَّ أَقْبَلَ أَنُوشِرْوَانُ عَلَى وَزِيرِهِ بُزُرْجُمْهِرَ فَقَالَ لَهُ قَدْ عَرَفْتَ
مُنَاصَحَةَ بَرْزَوَيْهِ لَنَا وَتَجَشُّمَهُ ٱلْمَخَاوِفَ وَٱلْمَهَالِكَ فِيمَا يُقَرِّبُهُ مِنَّا
وَإِتْعَابَهُ بَدَنَهُ فِيمَا يَسُرُّنَا وَمَا أَتَى إِلَيْنَا مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ وَمَا أَفَادَ
ٱللّٰهُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَٱلْأَدَبِ ٱلْبَاقِي لَنَا فَخْرُهُ وَمَا عَرَضْنَا عَلَيْهِ
مِنْ خَزَائِنِنَا لِنَجْزِيَهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ فَلَمْ تَنْزِعْ نَفْسُهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ
وَكَانَتْ بُغْيَتُهُ وَطَلِبَتُهُ مِنَّا أَمْرًا يَسِيرًا رَآهُ هُوَ ٱلثَّوَابَ مِنَّا لَهُ وَٱلْكَرَامَةَ
ٱلْجَلِيلَةَ مِنَّا. وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَتَكَلَّفَ فِي ذٰلِكَ وَتُسْعِفَهُ بِحَاجَتِهِ وَطَلِبَتِهِ
وَٱعْلَمْ أَنَّ ذٰلِكَ مِمَّا يَسُرُّنِي وَلَا تَدَعْ شَيْئًا مِنَ ٱلِٱجْتِهَادِ وَٱلْمُبَالَغَةِ
إِلَّا بَلَغْتَهُ وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ مَشَقَّةٌ. وَهُوَ أَنْ تَكْتُبَ بَابًا مُضَارِعًا

١ أسعف ٢ سرية ٣ تكلفة ٤ مشقة

تلك الأبواب التي في الكتاب وتذكر فيه فضل
برزويه ونسبه وحسبه وصناعته وأدبه وكيف كان ابتداء
أمره وشأنه ونشأته وتذكر فيه بعثته إلى بلاد الهند في حاجتنا
وما التمس من الحكمة على يديه من هناك وشرفه وفضله على
غيره وكيف كان حاله بعد قدومه وفيم رغب عنه من الأموال
ثم تنبه فضل ما آثر عنه من أدبها والإطناب في مدحه
وأبلغ في ذلك أفضل المبالغة واجتهد في ذلك اجتهادًا يسر
برزويه وأهل المملكة وتثبته لأهل العلم من قبلي ومن
قبل جميع أهل المملكة ومن قبلك فضائلك بعلوم
وحكمة ويكون غرض هذا الكتاب الذي ينسب إليه فضل
من أغراض تلك الأبواب عند الخاص والعام وأشد مشاكلة
لحال هذا الكتاب فإنك أسعد الناس كلهم بذلك لانفرادك به
وجمعه أول الأبواب. فإذا أتممت عمله ووضعه فجئت
رسمت لك أن تعلمني لأجمع أهل المملكة وتقرأه عليهم فيظهر
فضلك واجتهادك في محبتنا فيكون لك بذلك فخر. فلما سمع
بزرجمهر مقالة الملك خر له ساجدًا وقال أدام الله لك أيها

١ مدح ٢ بلغه ٣ مواهبه ٤ في كل بحث

لِمُلْكِكَ ٱلْبَقَاءَ وَبَلَّغَكَ أَفْضَلَ مَنَازِلِ ٱلصَّالِحِينَ فِي ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَى فَقَدْ شَرَّفْتَنِي فِي ذٰلِكَ شَرَفًا بَاقِيًا إِلَى ٱلْأَبَدِ. ثُمَّ خَرَجَ بُزُرْجُمْهَرُ مِنْ عِنْدِ ٱلْمَلِكِ فَوَصَفَ بَرْزَوَيْهِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ دَفَعَهُ أَبَوَاهُ إِلَى ٱلْمُؤَدِّبِ وَمُضِيِّهِ إِلَى بِلَادِ ٱلْهِنْدِ فِي طَلَبِ ٱلْعَقَاقِيرِ وَٱلْأَدْوِيَةِ. كَيْفَ تَعَلَّمَ خَطَّهُمْ وَلُغَتَهُمْ إِلَى أَنْ بَعَثَهُ أَنُوشِرْوَانُ إِلَى ٱلْهِنْدِ فِي طَلَبِ ٱلْكِتَابِ وَلَمْ يَدَعْ مِنْ فَضَائِلِ بَرْزَوَيْهِ نَجْدَتَهُ وَخَلَائِقَهُ وَمَذَاهِبَهُ مِنَ ٱلرِّفْعَةِ وَذَكَرَهُ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ مِنَ ٱلشَّرْحِ. ثُمَّ عَلِمَ ٱلْمَلِكُ بِمَوْعِدِهِ فَجَمَعَ أَنُوشِرْوَانُ أَشْرَافَ قَوْمِهِ وَأَهْلَ مَمْلَكَتِهِ وَأَدْخَلَهُ إِلَيْهِ وَأَمَرَ بُزُرْجُمْهَرَ بِقِرَاءَةِ ٱلْكِتَابِ وَبَرْزَوَيْهِ ثَمَّ إِلَى جَانِبِ بُزُرْجُمْهَرَ بَعْدَ أَنْ وَصَفَ بَرْزَوَيْهِ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى آخِرِهِ. فَفَرِحَ ٱلْمَلِكُ بِمَا أَتَى بِهِ بُزُرْجُمْهَرُ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَٱلْعِلْمِ. ثُمَّ أَثْنَى ٱلْمَلِكُ وَجَمِيعُ مَنْ حَضَرَ عَلَى بُزُرْجُمْهَرَ وَشَكَرُوهُ وَمَدَحُوهُ وَأَمَرَ لَهُ ٱلْمَلِكُ بِمَالٍ جَزِيلٍ وَكُسْوَةٍ وَحُلِيٍّ وَأَوَانٍ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ ذٰلِكَ شَيْئًا غَيْرَ كُسْوَةٍ كَانَتْ مِنْ ثِيَابِ ٱلْمُلُوكِ. ثُمَّ شَكَرَ لَهُ ذٰلِكَ بَرْزَوَيْهِ وَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَيَدَهُ

---

١ [illegible] ٢ أي [illegible] ٣ [illegible] ٤ [illegible] ٥ جمع حلية وهي [illegible] يتزين به من المعادن [illegible]

وأقبل على الملك وقال أدام الله لك الملك والسعادة فقد بلغت بي وبأهلي غاية الشرف بما أمرت به بزرجمهر من صنعة الكتاب في أمري وإبقاء ذكري. ثم انصرف الجميع مسرورين مبتهجين وكان يوما لا مثال له

باب عرض الكتاب

لعبد الله بن المقفع معرب هذا الكتاب

هذا كتاب كليلة ودمنة وهو مما وضعه علماء الهند من الأمثال والأحاديث التي ألهموا أن يدخلوا فيها أبلغ ما وجدوا من القول في النحو الذي أرادوا ولم تزل العلماء من كل أمة ولسان يلتمسون أن يعقل عنهم ويحتالون في ذلك بصنوف الحيل ويبتغون إخراج ما عندهم من العلل في إظهار ما لديهم من العلوم والحكم حتى كان من تلك العلل وضع هذا الكتاب على أفواه البهائم والطير فاجتمع لهم بذلك خلال. أما هم فوجدوا متصرفا في القول وشعابا يأخذون منها ووجوها يسلكون فيها. وأما الكتاب فجمع حكمة ولهوا فاختاره

١ الطريق ٢ أي يؤخذ عنهم ٣ أي [illegible] ٤ أي طرق ومذاهب ٥ مذاهب يتصرفون إليها

مُحكماً لِحكمتِه، والأغرارُ لِلَهوِه، والمتعلِّمُ من الأحداثِ ناشِطاً في حفظِ ما صارَ إليهِ من أمرٍ يُربَطُ في صدرِه ولا يدري ما هو، بل عرفَ أنّهُ قد ظفِرَ من ذلكَ بمكتوبٍ مرقومٍ. وكان كالرجلِ الذي لمّا استكملَ الرجوليّةَ وجدَ أبويهِ قد كنَزا له كنوزاً وعقَدا له عُقَداً استغنى بها عن الكدحِ فيما يعمَلُهُ من أمرِ معيشتِه، فأغناهُ ما أشرفَ عليه من الحكمةِ عن الحاجةِ إلى غيرِها من وجوهِ الأدبِ. فأوّلُ ما ينبغي لمن قرأ هذا الكتابَ أن يعرفَ الوجوهَ التي وُضِعت له، والرموزَ التي رُمِزَت فيه، وإلى أيِّ غايةٍ جرى مؤلِّفُهُ فيه عندما نسبَهُ إلى البهائمِ وأضافَهُ إلى غيرِ مُفصِحٍ، وغيرِ ذلك من الأوضاعِ التي جعلَها أمثالاً. فإنّ قارئَهُ متى لم يفعل ذلك لم يدرِ ما أُريدَ بتلكَ المعاني، ولا أيَّ ثمرةٍ يجتني منها، ولا أيَّ نتيجةٍ تحصُلُ لهُ من مقدِّماتِ ما تضمّنَهُ هذا الكتابُ. وإنّهُ إن كانت غايتُهُ منهُ استتمامَ قراءتِه والبلوغَ إلى آخرِه دونَ تفهُّمِ ما يقرأُ منهُ لم يعُدْ عليهِ شيءٌ يرجعُ إليهِ نفعُهُ. ومن استكثرَ من جمعِ الكتبِ وقراءةِ العلومِ من غيرِ إعمالِ الرويّةِ فيما يقرؤُهُ كانَ خليقاً أن لا يُصيبَهُ إلّا ما

١ نشيط ٢ الصغار ٣ في عار . ٤ الكد والسعي ٥ غير الناطق ٦ في وصل ٧ أي على

كصاحب الرجل الذي زعموا أنه اجتاز ببعض المفاوز فظهر له موضع آثار كنز فجعل يحفر ويطلب فوقع على شيء من عين وورق فقال في نفسه إن أنا أخذت في نقل هذا المال قليلاً قليلاً طال علي وقطعني الاشتغال بنقله وإحرازه عن اللذة بما أصبت منه. ولكن سأستأجر أقواماً يحملونه إلى منزلي وأكون أنا آخرهم ولا يكون بقي ورائي شيء يشغل فكري بنقله وأكون قد استظهرت لنفسي في إراحة بدني عن الكد بيسير أجرة أعطيها لهم. ثم جاء بالحمالين فجعل يحمل كل واحد منهم ما يطيق فينطلق به إلى منزله فيفوز به حتى إذا لم يبق من الكنز شيء انطلق خلفهم إلى منزله فلم يجد فيه من المال شيئاً لا كثيراً ولا قليلاً وإذا كل واحد من الحمالين قد فاز بما حمله لنفسه ولم يكن للرجل من ذلك إلا العناء والتعب لأنه لم يفكر في آخر أمره. وكذلك من قرأ هذا الكتاب ولم يفهم ما فيه ولم يعلم غرضه ظاهراً وباطناً لم ينتفع بما بدا له من خطه ونقشه كما لو أن رجلاً قدم له جوز صحيح لم ينتفع به إلا أن يكسره ويستخرج ما فيه. وكان أيضاً كالرجل الذي طلب علم الفصيح

[illegible]

من كلام الناس فأتى صديقاً له من العلماء له علم بالفصاحة
فأعلمه حاجته إلى علم الفصيح فرثى له صديقه وأعطاه صحيفة صفراء
فيها فصيح الكلام وتصاريفه ووجوهه فانصرف بها إلى منزله
فجعل يكثر قراءتها ولا يقف على معانيها ولا يعلم تأويل ما فيها
حتى استظهرها كلها فاعتقد أنه قد أحاط بعلم ما فيها
ثم إنه جلس ذات يوم في محفل من أهل العلم والأدب فأخذ
في محاورتهم فجرت له كلمة أخطأ فيها فقال له بعض الجماعة
إنك قد أخطأت والوجه غير ما تكلمت به فقال كيف
أخطئ وقد قرأت الصحيفة الصفراء وهي في منزلي فكانت
مقالته هذه أوجب للحجة عليه وزاده ذلك قرباً من الجهل وبعداً
من الأدب ثم إن العاقل إذا فهم هذا الكتاب وبلغ نهاية علمه
فيه ينبغي له أن يعمل بما علم منه لينتفع به ويجعله مثالاً لا يحيد عنه

فإذا لم يفعل ذلك كان مثله كالرجل الذي زعم
أن سارقاً تسور عليه وهو نائم في منزله فعلم به فقال والله
لأسكتن حتى أنظر ماذا يصنع ولا أذعره ولا أعلمه

١ حفظها غيباً ٢ مراجعتهم في الكلام ٣ [illegible] ٤ [illegible] عليه وما ليس [illegible]
به ٥ [illegible]

أني قد علمت به فإذا بلغ مراده قمت إليه فنغصت ذلك عليه. ثم إنه أمسك عنه وجعل السارق يتردد وطال تردده في جمعه ما يجده فغلب الرجل النعاس فنام وفرغ اللص مما أراد وأمكنه الذهاب واستيقظ الرجل فوجد اللص قد أخذ المتاع[1] وفاز به فأقبل على نفسه يلومها وعرف أنه لم ينتفع بعلمه باللص إذ لم يستعمل في أمره ما يجب.

وقد يقال إن العلم لا يتم إلا بالعمل وإن العلم كالشجرة والعمل به كالثمرة وإنما صاحب العلم يقوم بالعمل لينتفع به وإن لم يستعمل ما يعلم فليس يسمى عالما ولو أن رجلا كان عالما بطريق مخوف ثم سلكه على علم به سمي جاهلا ولعله إن حاسب نفسه وجدها قد ركبت أهواء[2] هجمت[3] بها فيما هو أعرف بضررها فيه وأذاه ومن ركب هواه ورفض أن يعمل بما جربه هو أو أعلمه به غيره كان كالمريض العالم برديء الطعام والشراب وجيده وخفيفه وثقيله ثم يحمله الشره[4] على أكل رديئه وترك ما هو أقرب إلى النجاة والتخلص من علته

[1] واحد الأمتعة [2] جمع هوى وهو ميل النفس [3] أي بغتت [4] شدة الحرص على الطعام

وأقلُّ الناسِ عذرًا في اجتنابِ محمودِ الأفعالِ وارتكابِ مذمومِها
من أبصرَ ذلكَ وميَّزَهُ وعرفَ فضلَ بعضِهِ على بعضٍ. كما أنَّهُ
لو أنَّ رجلَينِ أحدُهُما بصيرٌ والآخرُ أعمى ساقَهُما الأجلُ
إلى حفرةٍ فوقعا فيها كانا إذا صارا في قعرِها بمنزلةٍ واحدةٍ غيرَ
أنَّ البصيرَ أقلُّ عذرًا عندَ الناسِ من الضريرِ إذ كانتْ لهُ
عينانِ يبصرُ بهما وذلكَ بما صارَ إليهِ جاهلٌ غيرُ عارفٍ * وعلى
العالمِ أن يبدأَ بنفسِهِ ويؤدِّبَها بعلمِهِ ولا تكونَ غايتُهُ اقتناءَهُ
العلمَ لمعاونةِ غيرِهِ ونفعِهِ بهِ وحرمانِ نفسِهِ منهُ ويكونَ كالعينِ
التي يشربُ الناسُ ماءَها وليسَ لها في ذلكَ شيءٌ من المنفعةِ.
وكدودةِ القزِّ التي تُحكِمُ صنعتَهُ ولا تنتفعُ بهِ. فينبغي لمن
طلبَ العلمَ أن يبدأَ بعظةِ نفسِهِ ويتعهَّدَها برياضتِها
ثمَّ عليهِ بعدَ ذلكَ أن يقتبسَهُ فإنَّ خلالًا ينبغي لصاحبِ
الدنيا أن يقتنيَها ويقتبسَها منها العلمُ والمالُ ومنها
اتخاذُ المعروفِ. وليسَ للعالمِ أن يعيبَ امرأً بشيءٍ فيهِ مثلُهُ
ويكونَ كالأعمى الذي يعيِّرُ الأعمى بعماهُ. وينبغي لمن
طلبَ أمرًا أن تكونَ لهُ فيهِ غايةٌ ونهايةٌ يشهدُ عليها ويقفُ

[1] بها [2] البصير [3] وعظه [4] بعلمه [5] يسعيه [6] أي امرءًا [7] اصفه مع نفس [8] حد

عندها ولا يتمادى في الخطأ. فإنه يقال من سرور ذي العقل
عيبه فيوشك أن ينتفع به نصيحة وإن كان خفيًّا لا يعي
نفسه في طلب ما لا يجده ومن يلقى ما يجد قبله ولا يأسف عليه
ولا يكون بدنياه مؤثرًا على آخرته فإن من يعلق قلبه بالغايات
قلّت حسرته عند مفارقتها. وقد يقال في أمرين إنهما يجملان
بكل أحد أحدهما النسك والآخر المال الحلال وقد يقال في
أمرين إنهما لا يجملان بأحد حيث يشاركه في ملكه ورجل
أن يشاركه في خاصته. وليس ينبغي لفقير أن يقنط وييأس
من رحمة الله وفضله لأنه قد يساق القدر له رزقًا هنيئًا
وهو غافل عنه لا يدري به ولا يعلم وجهه

ومن مثل هذا أن رجلًا كان به فقر وجوع وعري فألجأه
ذلك إلى أن سأل بعض أقاربه وأصدقائه فلم يكن عند أحد
منهم فضل يعود به عليه فبينما هو ذات ليلة في منزله إذ بصر
بسارق في منزله فقال في نفسه والله ما في منزلي شيء أخاف عليه

١ يتوهم ٢ فخر عن ... ٣ ... ٤ ... ٥ ... ٦ ...
٧ ... ٨ ... ٩ ... ١٠ ... ١١ ...
١٢ ... الله ١٣ ... ١٤ ... ١٥ ... ١٦ ...

وليجهد السارق جهده . فبينما السارق يجول إذ وقعت يده على
خابيةٍ فيها حنطة فقال السارق والله ما أحب أن يكون عنائي
الليلة باطلا ولعلي لا أصل إلى موضع آخر ولكن سأحمل هذه
الحنطة خيرٌ من الرجوع بغير شيء ثم بسط رداءه ليصب عليه
الحنطة فقال الرجل ليذهب هذا بالحنطة وليس ورائي سواها
فيجتمع علي مع عريي ذهاب ما كنت فيه وما تجتمع والله
هاتان الخلتان على أحد إلا أهلكتاه . ثم صاح بالسارق وتهدده
بهراوة كانت عنده فلم يكن للسارق حيلة إلا الهرب
منه وترك رداءه ونجا بنفسه وغدا الرجل به كاسيا . وليس ينبغي
للعاقل أن يتكل من هذا المثل فيتكل عليه ويدع ما يجب
عليه من السعي والعمل لإصلاح معيشته لكن لا بد له أن يجهد
في الطلب على قدر معرفته ولا يطلب من توانيه المقادير
تساعده على غير التماس منه ولا حركة لأن أولئك في الناس
قليل وإنما الجمهور منهم من يجهد نفسه في الكد والسعي فيما يصلح
من أمره وينال به ما يريد ويحرص أن يكون مكسبه من أطيب

١ خابية [illegible] ٢ [illegible] فوق [illegible] ٣ [illegible] ٤ عصا ضخمة
٥ مكتسيا ٦ أي لا يقصر في الجهد ٧ تراخيه

المكاسب وأفضلها وأهنأها ونفقته مقاماً ممكناً ولا يعرض
لما يجتلب عليه العناء والشقاء وما يعقبه الهمّ والغمّ وليحذر أن
يعاود ما أصابه منه الضرر وينبغي له مع ذلك أن يحذر مما
يصيب غيره من الضرر لئلا يصيبه مثله فيكون كالحمامة التي
تفرخ الفراخ فتؤخذ وتذبح ثم لا يمنعها ذلك من أن تعود فتفرخ
موضعها وتقيم بمكانها فتؤخذ الثانية من فرخها فتذبح حتى
تؤخذ هي فتذبح أيضاً * وقد يقال إن الله تعالى قد جعل لكل
شيء حدًّا يوقف عليه ومن تجاوز في الأشياء حدّها أوشك
أن يلحقه التقصير عن بلوغها والمتجاوز حدّه والمقصر عنه
سيان بالنسبة إليه لأن كليهما زائغ عن الحق جميعاً. ويقال
من كان سعيه لآخرته ودنياه فحياته له وعليه ومن كان سعيه
لدنياه خاصة فحياته عليه ومن كان سعيه لآخرته فحياته له. ويقال
في أشياء يجب على صاحب الدنيا إصلاحها وبذل جهده فيها
منها أمر دينه ومنها أمر معيشته ومنها ما بينه وبين الناس
ومنها ما يكسبه الذكر الجميل بعده * وقد قيل في أمور من كنّ
فيه لم يستقم له عمل منها التواني ومنها تضييع الفرص

١ مثلا ٢ التقصير وسوء في نسخ

ومنها التصديق لكل مخبر. ومنها التكذيب لكل عارف. ورب
مخبر بشيء عقله ولا يعرف استقامته فيصدقه. والذي يفعل
ذلك من الناس ثلاثة: رجل يصدق بما جربه غيره وصدقه
فيصدقه هو ويتمادى في التصديق حتى كأنما جربه بنفسه
ورجل يصدق بالأمور التي جربها ولكن عن غير علم
بحقيقتها ورجل تشتبه عليه الأمور فيصدق بها. ويسعى لعاقل
أن يكون بهواه متهماً ولا يقبل من كل أحد حديثاً ولا يتمادى
في الخطإ إذا التبس عليه أمره ولا يلج في شيء منه ولا يقدم
عليه حتى يتبين له الصواب فيه وتتوضح له حقيقته ولا يكون
كالرجل الذي يزيغ عن الطريق فيستمر على الضلال فلا
يزداد في السير جهداً إلا ازداد عن القصد بعداً. وكالرجل
الذي تقذى عينه فلا يزال يحكها حتى ربما كان ذلك الحك سبباً
في ذهابها. ويجب على العاقل أن يصدق بالقضاء والقدر
ويعلم أن ما كتب سوف يكون وأن من أتى صاحبه بما يكره
لنفسه فقد ظلم ويأخذ بالحزم في أموره ويحب للناس ما
يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها فلا يطلب أمراً فيه مضرة

١ دركه: عقله ٢ ث: كان في جهده ٣ تتضح ٤ أصيب بقذى

غيره عملاً صالحاً شبيهاً بصالح غيره فإن أكثر عذره مأخوذ
ومن فعل ذلك كان خليقاً أن يصيبه ما أصاب الشريكين من
رفيقه فإنه يقال إنه كان رجل حرّ وكان له شريك في متجر
دائماً وجعلا شيئاً بينهما وكان حانوتهما قريباً من منزل من
الحانوت فضمر في نفسه أن يسرق عدلاً من أعدال رفيقه
وفكر في حيلة في ذلك وقال إن أتيت بالليل لم آمن أن أحمل
عدلاً من أعدالي أو رزمة من رزمي ولا أعرفه فيذهب عنائي
وتعبي باطلاً فأخذ رداءه وألقاه على العدل الذي أضمر
أخذه ثم انصرف إلى منزله وجاء رفيقه بعد ذلك يصلح
عدله فقال والله هذا رداء صاحبي ولا أحسبه إلا قد نسيه وما
الرأي أن أدعه هنا ولكن أجعله على رزمه فلعله يسبقني
إلى الحانوت فيجده حيث يحب ثم أخذ الرداء فألقاه على
عدل من أعدال رفيقه وأقفل الحانوت ومضى إلى منزله فلما
جاء الليل أتى رفيقه ومعه رجل قد واطأه على ما عزم عليه
وضمن له جعلاً على حمله فصار إلى الحانوت فالتمس الرداء في

١ كذا ٢ أي [illegible] ٣ [illegible] ٤ [illegible] ٥ [illegible] ٦ [illegible]
٧ [illegible]

بطوله وتلمسه فوجده على العدل فاحتمل منه البدل
وخرج به وارتحل وجعل يجد وجاد حماله حتى أتى مدينة
ورأى نفسه بها فلما أصبح تفقده فإذا هو بعض أعداله فندم
أشد الندم ثم عاد نحو الحانوت فوجد شريكه قد سبقه إليه
وفتح الحانوت وفقد العدل فاغتم بذلك غما شديدا وقال
واسوأتاه من رفيق صالح قد ائتمنني على ما به وخلفني به عند
يكون حالي عنده ولست أشك في تهمته إياي ولكن قد وطنت
نفسي على غرامته فلما جاءه وجده مغتما فسأله عن
حاله فقال إني قد فقدت أعدالك وفقدت عدلا من أعدالك
ولا أعلم سببه وإني لا أشك في تهمتك إياي وإني قد وطنت
نفسي على غرامته فقال له يا أخي لا تغتم فإن الخيانة شر ما عمله
الإنسان والمكر والخديعة لا يؤديان إلى خير وصاحبها مغرور
أبدا وما عاد وبال البغي إلا على صاحبه وأنا أحد من مكر
وخدع واحتال فقال له صاحبه وكيف كان ذلك فأخبره
بخبره وقص عليه قصته فقال له رفيقه ما مثلك إلا مثل اللص

---

١ بطوله ونفسه ٢ حجمة عند مرة وعند مرة ٣ سوءة الأمر قبح ٤ أي تخونني
٥ أي تتهمني ٦ أي امرؤ يضيعه عليه ٧ أي سوء عاقبة ٨ الظلم

وَٱلتَّاجِرِ فَقَالَ لَهُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ زَعَمُوا أَنَّ تَاجِرًا كَانَ لَهُ فِي مَنْزِلِهِ خَابِيَتَانِ إِحْدَاهُمَا مَمْلُوءَةٌ حِنْطَةً وَٱلْأُخْرَى مَمْلُوءَةٌ ذَهَبًا فَتَرَقَّبَهُ بَعْضُ ٱللُّصُوصِ زَمَانًا حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْضُ ٱلْأَيَّامِ تَشَاغَلَ ٱلتَّاجِرُ عَنِ ٱلْمَنْزِلِ فَتَغَفَّلَهُ ٱللِّصُّ وَدَخَلَ ٱلْمَنْزِلَ وَكَمَنَ فِي بَعْضِ نَوَاحِيهِ فَلَمَّا هَمَّ بِأَخْذِ ٱلْخَابِيَةِ ٱلَّتِي فِيهَا ٱلدَّنَانِيرُ أَخَذَ ٱلَّتِي فِيهَا ٱلْحِنْطَةُ وَظَنَّهَا ٱلَّتِي فِيهَا ٱلذَّهَبُ وَلَمْ يَزَلْ فِي كَدٍّ وَتَعَبٍ حَتَّى أَتَى بِهَا مَنْزِلَهُ فَلَمَّا فَتَحَهَا وَعَلِمَ مَا فِيهَا نَدِمَ

قَالَ لَهُ ٱلْخَائِنُ مَا أَبْعَدْتَ ٱلْمَثَلَ وَلَا تَجَاوَزْتَ ٱلْقِيَاسَ وَقَدِ ٱعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي وَخَطَائِي عَلَيْكَ وَعَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ هٰذَا كَهٰذَا غَيْرَ أَنَّ ٱلنَّفْسَ ٱلرَّدِيئَةَ تَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَاءِ فَقَبِلَ ٱلرَّجُلُ مَعْذِرَتَهُ وَأَضْرَبَ عَنْ تَوْبِيخِهِ وَعَنِ ٱلثِّقَةِ بِهِ وَنَدِمَ هُوَ عِنْدَ مَا عَايَنَ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِ وَتَقْدِيمِ جَهْلِهِ

وَقَدْ يَنْبَغِي لِلنَّاظِرِ فِي كِتَابِنَا هٰذَا أَنْ لَا تَكُونَ غَايَتُهُ ٱلتَّصَفُّحَ لِتَزَاوِيقِهِ بَلْ يُشْرِفُ عَلَى مَا يَتَضَمَّنُ مِنَ ٱلْأَمْثَالِ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيْهِ

١ ترصّد غفلته ٢ أي صعب ٣ جمع [illegible] ٤ أعرض ٥ [illegible] ندم منه
٦ أي نظر فيها وذلك لأنه كان في أصله مربّعا تصور أشخاص الحوادث التي فيه ٧ جمع

إلى آخره ويقف عند كل مثل وكلمة ويُعمل فيها رويّته ويكون مثل ثالث الإخوة الثلاثة الذين خلّف لهم أبوهم المال الكثير فتنازعوه[1] بينهم. فأما الاثنان الكبيران فإنهما أسرعا[2] في إتلافه وإنفاقه في غير وجهه، وأما الصغير فإنه عندما نظر ما صار إليه أخواه من إسرافهما وتخلّيهما من المال أقبل على نفسه يشاورها وقال: يا نفس، إنما المال يطلبه صاحبه ويجمعه من كل وجه لبقاء حاله وصلاح معاشه ودنياه وشرف منزلته في أعين الناس واستغنائه عمّا في أيديهم وصرفه[3] في وجهه من صلة الرحم[4] والإنفاق على الولد والإفضال على الإخوان. فمن كان له مال ولا ينفقه في حقوقه كان كالذي يُعدّ فقيراً وإن كان موسراً[5]. وإن هو أحسن إمساكه[6] والقيام عليه[7] لم يعدم الأمرين جميعاً من دنيا تبقى عليه وحمد يضاف إليه. ومتى قصد إنفاقه على غير الوجوه التي حُدّت لم يلبث أن يتلفه ويبقى على حسرة وندامة. ولكن الرأي أن أمسك هذا المال فإني أرجو أن ينفعني الله به ويغني إخوتي على يديّ فإنما هو

١ أي تقاسموه ٢ بسرعة ٣ صرفه ٤ القرابة ٥ غنيّاً ٦ حفظه
٧ أي تدبيره ٨ يعدو

مثل [illegible] أبيها و[illegible] في الأعناق على صفة الرحم
وإن عُدَّت تكيف بإحوالي فأبعد [illegible] طرها ما [illegible]

وكذلك يجب على قارئ هذا الكتاب أن يديم النظر فيه
من غير ضجر ويلتمس جواهر معانيه ولا يظن أن نتيجته الإخبار عن
حيلة بهيمتين أو محاورة سبع لثور فينصرف بذلك
عن الغرض المقصود ويكون مثله مثل الصياد الذي كان في
بعض الخلجان يصيد فيه السمك في زورق فرأى ذات يوم في
عميق الماء صدفة تتلألأ حسناً فتوهمها جوهراً له قيمة وكان
قد ألقى شبكته في البحر فاشتملت على سمكة كانت قوت يومه
فخلاها وقذف نفسه في الماء ليأخذ الصدفة فلما أخرجها
وجدها فارغة لا شيء فيها مما ظن فندم على ترك ما في يده
للطمع وتأسف على ما فاته فلما كان اليوم الثاني تنحى عن
ذلك المكان وألقى شبكته فأصاب حوتاً صغيراً ورأى أيضاً
صدفة سنية فلم يلتفت إليها وساء ظنه بها فتركها واجتاز بها
بعض الصيادين فأخذها فوجد فيها درة تساوي أموالاً
وكذلك الجهال إذا أغفلوا أمر التفكر في هذا الكتاب
[illegible]

والاغترار به وترك الوقوف على أسرار معانيه والأخذ بظاهره دون الأخذ بباطنه. ومن صرف همته إلى النظر في أبوابه للهزل منه فهو كرجل أصاب أرضاً طيبة حرة وحباً صحيحاً فزرعها وسقاها حتى إذا قرب خيرها وأينع تشاغل عنها بجمع ما فيها من الزهر وقطع الشوك فأهلك بتشاغله ما كان أحسن فائدة وأجمل عائدة. وينبغي للناظر في هذا الكتاب أن يعلم أنه ينقسم إلى أربعة أغراض: أحدها ما قصد فيه إلى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة من مسارعة أهل الهزل من الشبان إلى قراءته فتستمال به قلوبهم لأن هذا هو الغرض بالنوادر من حيل الحيوانات. والثاني إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان ليكون أنساً لقلوب الملوك ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة في تلك الصور. والثالث أن يكون على هذه الصفة فيتخذه الملوك والسوقة فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل فيخلق على مرور الأيام ولينتفع بذلك المصور والناسخ أبداً. والغرض الرابع وهو الأقصى مخصوص بالفيلسوف خاصة.

قال عبد الله بن المقفع لما رأيت أهل فارس قد فسروا

[illegible]

هذا الكتاب من الهندية إلى الفارسية وألحقوا به بابًا وهو باب برزويه الطبيب ولم يذكروا فيه ما ذكرنا في هذا الباب من أراد قراءته واقتباس علمه وفوائده وضعا له هذا الباب فتأمّل ذلك ترشد إن شاء الله تعالى

باب برزويه

لبزرجمهر بن البختكان

قال برزويه بن أزهر رأس أطبّاء فارس وهو الذي تولّى انتساخ هذا الكتاب وترجمه من كتب الهند وقد مضى ذكر ذلك من قبل

إنّ أبي كان من المقاتلة[1] وكانت أمّي من عظماء بيوت الزمازمة[2] وكان منشئي[3] في نعمة كاملة وكنت أكرم ولد أبويّ عليهما وكانا بي أشدّ احتفاظًا من دون إخوتي حتى إذا بلغت سبع سنين أسلماني إلى المؤدّب فلمّا حذقت[4] الكتابة شكرت أبويّ ونظرت في العلم فكان أوّل ما

---

١ جـ المقاتلين ٢ طائفة معروفة عندهم ٣ نشء ٤ تعلّمتها ومهرت فيها

بدأت به وحرصت عليه علم الطب لأني كنت عرفت فضله
وأقمت في تعلمه سبع سنين وكلما ازددت منه علماً ازددت
عليه حرصاً وله اتباعاً حتى أحطت منه بعلم وافر وقدرت على
غوامضه. فلما هممت نفسي بمداواة المرضى وعزمت على ذلك
آمرتها ثم خيرتها بين الأمور الأربعة التي يطلبها الناس وفيها
يرغبون ولها يسعون فقلت أي هذه الخلال أبتغي في علمي
وأيها أحرى بي فأدرك منه حاجتي المال أم الذكر أم
اللذات أم الآخرة وكنت وجدت في كتب الطب أن أفضل
الأطباء من واظب على طبه لا يبتغي إلا أجر الآخرة فرأيت
أن أطلب الاشتغال بالطب ابتغاء الآخرة ورجاء أجر
المنقلب لا أبتغي مكافاة الدنيا ولا تعجلها لئلا أكون كالتاجر
الذي باع ياقوتة ثمينة كان يصيب بثمنها غنى الدهر بخرزة
لا تساوي شيئاً مع أني قد وجدت في كتب الأولين أن
الذي يبتغي بطبه أجر الآخرة لا ينقصه ذلك حظه من الدنيا
وأن مثله مثل الزارع الذي يبذر حبه في الأرض ويعمرها
ابتغاء الزرع لا ابتغاء العشب ثم هي لا محالة نابت فيها ألوان

١ شاورتها ٢ أولى ٣ أي تعب ٤ أي يطلبها ٥ لا بد ٦ أنواع

العقبى مع ما صار إليه الأمر. فحرصت على مداواة المرضى ابتغاء
الأجر فلم أدع مريضًا أرجو له البرء وآخر لا أرجو له
ذلك إلا أني أطمع أن يخفف عنه بعض المرض إلا بالغت في
مداواته جهدي ومن قدرت على القيام عليه قمت عليه بنفسي
ومن لم أقدر على القيام عليه وصفت له ما يصلح وأعطيته من
الدواء ما يعالج به [illegible] ولم أرد ممن فعلت
معه ذلك جزاء ولا مكافأة ولم أغبط أحدًا من نظرائي
الذين هم دوني في العلم ومن فوقي في الجاه والمال وغيرهما
مما لا يعود بصلاح وحسن سيرة قولًا ولا عملًا ولما كانت
نفسي تتوق إلى ذلك وترغب في أن تنال مثل ما نالهم
كنت لها بالخصومة وقلت لها يا نفس أما تعرفين
نفعك من ضرك ألا تنتهين عن تمني ما لا يناله أحد إلا قل
انتفاعه به وكثر عناؤه فيه واشتدت المؤونة عليه وعظمت
المشقة لديه بعد فراقه يا نفس أما تذكرين ما بعد هذه الدار
فينسيك ما تشرهين إليه منها ألا تستحيين من مشاركة فجر

١ ملازمته وتمام شفائه ٢ حتى مرضاته ٣ [illegible] ٤ [illegible] ٥ [illegible]
٦ [illegible] ٧ [illegible] ٨ [illegible] ٩ [illegible]

في حب هذه العاجلة الفانية أو من كان في يده منها شيء
تكبر به وتيه يتيه عليه فلا [illegible] بها إلا المغرورون
المخدوعون . يا نفس تعري في [illegible] [illegible] عن هذه الدنيا
وأقبلي بقلبك وشغلك عن [illegible] [illegible] واستوف
واذكري [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] خلانا
[illegible] قدرة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عاد
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حيهم في
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ذلك
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بقية
حياتك وخلانك [illegible] على ذلك كل حرص [illegible]
[illegible] على ما [illegible] [illegible] [illegible] والأذى
وعاقبة ذلك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
في جدتها [illegible] المرق [illegible] [illegible] صارت وقود في
النار . يا نفس لا يحملنك أهلك وأقاربك على جمع ما تهلكين
فيه بإرادة صلاحهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] التي تحرق

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الطيب
٦ ذات الأرجوحة [illegible]

ويذهب آخرون بجهادها . يا نفس لا تركني إلى هذه الدار الفانية
ولا تغتري بها طمعا في الف ولنعمته التي ينظر إليها أهلها
فكأني ممن لا يبصر صغر ما يعظم وحقارته حتى يفارقه
كشعر الرأس الذي يخدمه صاحبه ويكرمه ما دام على رأسه
فإذا فارق رأسه استقذره ورفضه . يا نفس لا تملي من عيادة
المرضى ومداواتهم وتذكري كيف يجهد الرجل أن يفرج عن
مصيبة واحد كربة واحدة وتستنقذه منها راحة الآخرة فكيف
الطبيب الذي يفعل كثيرا من ذلك مع كثير من هذه الخلائق
أن يعظم رجاؤه ويوثق منه بحسن الثواب . يا نفس لا يبعد عليك
أمر الآخرة فتميلي إلى العاجلة في استعجال القليل وبيع الكثير
باليسير كالتاجر الذي كان له ملء بيت من الصندل فقال إن
بعته وزنا طال علي فباعه جزافا بأبخس الثمن . وقد وجدت
آراء الناس مختلفة وأهواءهم متباينة وكل على كل عاد وله
عدو ومغتاب وفيه واقع

فلما رأيت ذلك لم أجد إلى متابعة أحد منهم سبيلا

---

١ مكر ٢ وحده قدرا ٣ [illegible] ٤ ذي صبر ٥ شدة ٦ صب [illegible] ٧ حب طيب
رائحة ٨ بلا وزن ٩ نقص ١٠ أصم [illegible] ١١ قادح في عرضه وهو غائب ١٢ ساب له

وعرفت أني إن صدقت أحدا منهم لا علم لي بحاله كنت في ذلك كالمصدق المخدوع الذي زعموا فيه أن سارقا علا ظهر بيت رجل من الأغنياء[١] وكان معه جماعة من أصحابه فاستيقظ الرجل من وطئهم فأيقظ امرأته فأعلمها بذلك وقال لها رويدا[١] إني لأحسب اللصوص علوا على البيت فأيقظيني بصوت يسمعه اللصوص وقولي ألا تخبرني أيها الرجل عن أموالك هذه الكثيرة وكنوزك العظيمة من أين جمعتها . فإذا امتنعت عليك فألحي علي في السؤال واستحلفيني حتى أقول لك ففعلت المرأة ذلك وسألته كما أمرها وأنصت[٢] اللصوص إلى سماع قولهما فقال لها الرجل أيتها المرأة قد ساقك القدر إلى رزق واسع ومال كثير فكلي واشربي ولا تسألي عن أمر إن أخبرتك به لم آمن أن يسمعه أحد فيكون في ذلك ما أكره وتكرهين . فقالت المرأة أخبرني أيها الرجل فلعمري[٣] ما بقربنا أحد يسمع كلامنا فقال لها فإني مخبرك أني لم أجمع هذه الأموال إلا من السرقة قالت وكيف كان ذلك وما كنت تصنع وأنت عند الناس من الزهدة[٤] الصلاح . قال ذلك لعلم أصبته في السرقة

١ مهلاً ٢ اصغت ٣ قسما بعمري ٤ جمع زاهد

[illegible] الأمر على سيد [illegible] حتى [illegible]
قالت فذكر لي ذلك فرأيت الأشياء في [illegible] المقبورة
و[illegible] حتى أعود [illegible]
[illegible] يدخل منها الضوء [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] العربية [illegible]
[illegible] ذلك الا
[illegible]
وقال عليها [illegible]
[illegible] ذلك [illegible]
ثم [illegible] الدار [illegible]
وقد [illegible] وكانت تلك [illegible]
الضوء [illegible] إلى مدخل [illegible] وقال [illegible]
ثم [illegible] المنزل فوقع على [illegible]

[illegible] أربعة [illegible]

مكانا فوثب إليه الرجل بهراوته [illegible] من أنت قال أنا
المصدق المخدوع المغتر بما لا يكون [illegible] وهذه ثمرة رقيتك
وعاقبة من صدق كل ما يسمع. فلما تحرزت من تصديق
ما لا يكون ولم آمن [illegible] صدقته أن يوقعني في مهلكة عدت
إلى البحث عن الأديان والتماس العدل منها فلم أجد عند
أحد ممن كلمته جوابا [illegible] فيها [illegible] فيما كلموني
به شيئا يحق لي في عقلي [illegible]
[illegible] أحد [illegible] وأجدادي الذي
[illegible] وهممت [illegible] التمست [illegible]
ذهبت إن كان من يفعل هذا معذورا [illegible] الذي يجد أباه ساحرا
يجري على منهاجه [illegible] ذلك ما لا يحتمله
العقل. وذكرت في ذلك قول رجل [illegible] أكل
[illegible] في ذلك فقال كذلك [illegible] كل أبي وجدي [illegible]
ذهبت ألتمس العذر لنفسي في لزوم دين الآباء والأجداد ولم
أجد لها على الثبات على دين الآباء طاقة بل وجدتها تريد أن
تتفرغ للبحث عن الأديان والمسألة عنها والنظر فيها في

١ [illegible] ٢ يعدل ٣ معذور [illegible] ٤ [illegible]

فبي وخطر على بالي قرب الأجل وسرعة انقطاع الدنيا واغتباط أهلها واخترام الدهر حياتهم. فتفكرت في ذلك وقلت أما أنا فلعلي قد قرب أجلي وحانت منيتي وقد كنت أعمل أمورا محمودة أرجو أن تكون أصلح الأعمال ولعل ترددي يشغلني عن خير كنت أعمله فيكون أجلي دون ما تطمح إليه نفسي وبطلبة أملي ويصيبني ما أصاب الرجل الذي زعموا أنه تواطأ مع خادم في بيت لأحد الأغنياء على أن يأتي البيت في كل ليلة يغيب أهله فيجمع له الخادم ما في البيت فيذهب به ويبيعه ويتشاطران ثمنه. فاتفق ذات ليلة أن غاب أهل البيت وبقي الخادم وحده فأتى فأخبر صاحبه فأقبل حتى دخل البيت وأخذا في جمع ما فيه وبينما هما يجمعان إذ قرع الباب وكان للبيت باب آخر لم يكن يعلمه الرجل وكان ذلك الباب عند جب الماء. فقال الخادم للرجل على عجل منه وحيلة بادر فاخرج من الباب الذي عند جب الماء وأشار له إلى موضعه فانطلق الرجل إلى ذلك المكان فوجد الباب ولكن لم يجد جب الماء فرجع إليه وقال له أما الباب فوجدته

١ أي هلاكي ٢ استنقص ٣ الاجر من ٤ [illegible] نحو [illegible] ٥ [illegible] ٦ [illegible]

وأمّا أُخْتُ فَمِ [illegible] فَقَرِبَهُ [illegible] المَيِّتِ وهي تَضَعُ الحَبَّ أنا
دَلَلْتُكَ بِهِ تَعْرِفُ الذَّنْبَ إذْ قَدْ عَرَفْتَهُ وذَهَبَ عاجِلاً فقالَ لَهُ لَمْ
يَكُنْ ذلِكَ بِيَدي فأَمَرَ ذَكَرْتُ [illegible] هُوَ ذلِكَ فقالَ لَهُ
وَيْحَكَ [illegible] الأَحْمَقُ [illegible] بِنَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ حُمْقَكَ وأَنا [illegible] فقالَ
لَهُ كَيْفَ مَضى وقَدْ حَصَلْتُ عَلَيَّ وقَدْ كَثُرَتْ [illegible] فَلَمْ
أَزَلْ عَلى مِثْلِ هذِهِ [illegible] حَتّى دَخَلَ [illegible] فَأَخَذَ نَفْسَهُ
وَجَعَلَهُ [illegible] وَوَقَعْتُ في [illegible] الشَّيْطانِ فَمَا خِفْتُ مِنَ التَّرَدُّداتِ
[illegible] لا أَتَعَرَّضُ لَهُ وَلا [illegible] أَتَخَوَّفُ مِنْهُ المَكْرُوهَ وَقَصَرْتُ عَلى كُلِّ
شَيْءٍ تَشْهَدُ بِهِ النُّفُوسُ وَيَتَّفِقُ عَلَيْهِ أَهْلُ الأَدْيانِ وَيُرى أَنَّهُ صَوابٌ
وَحَقٌّ فَكَفَفْتُ يَدي عَنِ الضَّرْبِ وَالقَتْلِ وَالسَّرِقَةِ وَحَرَمْتُ نَفْسي
عَنِ الكِبْرِ وَالغَضَبِ وَنَزَّهْتُ قَلْبي عَنِ الحِقْدِ وَالبُغْضِ وَالخِيانَةِ
وَصُنْتُ لِساني عَنِ الكَذِبِ وَالبُهْتانِ وَالغيبَةِ وَالنَّميمَةِ وَكُلِّ أَمْرٍ
مَكْرُوهٍ وَأَضْمَرْتُ في نَفْسي أَنْ لا أَبْغِيَ عَلى أَحَدٍ وَلا أُكَذِّبَ بِالبَعْثِ
وَلا القِيامَةِ وَلا الثَّوابِ وَلا العِقابِ وَأَنْ لا إلهَ إلّا اللهُ الفَرْدُ الصَّمَدُ

---

١ الأحمق في [illegible] ٢ ويلك ٣ [illegible] ٤ [illegible]
٥ [illegible] ٦ [illegible] ٧ [illegible] ٨ [illegible]
٩ [illegible] ١٠ [illegible] ١١ [illegible]

يكافئ على الخير بالخير وعلى الشر بالشر وأن لا بد من المسألة
والحساب ورفضت الأشرار وحاولت الجلوس مع الأخيار
بجهدي ورأيت كلاًّ من الصلاح والعلم ليس كمثله صاحب ولا
قرين ووجدت مكسبه إذا وفّق الله وأعان يسيراً ووجدته يدلّ
على الخير ويشير بالنصح فعل الصديق بالصديق ووجدته لا ينقص
على الإنفاق منه بل يزداد جدّة ولا يخلق على كثرة الاستعمال بل يجدّ
ويزهو ويكثر ووجدته لا خوف عليه من السلطان أن يغصبه
ولا من الآفات أن تفسده ولا من الماء أن يغرقه ولا من النار
أن تحرقه ولا من اللصوص أن تسرقه ولا من السباع وجوارح
الطير أن تمزّقه ووجدت الرجل الساهي اللاهي المؤثر
اليسير يناله في يومه ويعدمه في غده على الكثير الذي
نعيمه يصيبه تبعاته فيه بمثل ما أصاب التاجر الذي زعموا
أنه كان له جوهر نفيس فاستأجر لثقبه رجلاً في اليوم على
مائة درهم يدفعها إليه وانطلق به إلى منزله ليعمل وإذا في
ناحية البيت صنج موضوع فقال التاجر للصانع هل تحسن
الضرب بالصنج قال نعم وكان بضربه ماهراً فقال الرجل دونك

[illegible]

الصنجَ فأسمعنا صوتك به فأخذ الرجل الصنج ولم يزل يسمع التاجرَ الضربَ الصحيحَ والصوتَ الرخيمَ والتاجرُ يشيرُ بيدِهِ ورأسِهِ طربًا حتى أمسى فلما حان الغروبُ قال الرجلُ للتاجر مُرْ لي بالأجرةِ فقال له التاجرُ وهل عملتَ شيئًا تستحقُّ بهِ الأجرةَ فقال له عملتُ ما أمرتني بهِ وأنا أجيرُك وما استعملتني عملتُ ولم يزل بهِ حتى استوفى منه مئةَ دينارٍ وبقي جوهرُهُ غيرَ مثقوبٍ* فلم أزددْ في الدنيا وشهواتِها نظرًا إلا ازددتُ فيها زهادةً ومنها هربًا ووجدتُ النسكَ هو الذي يمهِّدُ للمعادِ كما يمهِّدُ الوالدُ لولدِهِ ووجدتُهُ هو البابَ المفتوحَ إلى النعيمِ المقيمِ ووجدتُ الناسكَ قد تدبَّرَ فعلتَهُ بالسكينةِ والوقارِ فشكرَ وتواضعَ وقنعَ واستغنى ورضيَ فلم يهتمَّ وخلعَ الدنيا فنجا من الشرورِ ورفضَ الشهواتِ فصارَ طاهرًا واطَّرحَ الحسدَ فوجبتْ له المحبةُ وأفردَ نفسَهُ فكُفِيَ الأحزانَ وسخَتْ نفسُهُ بكلِّ شيءٍ واستعملَ العقلَ وأبصرَ العاقبةَ فأمِنَ الندامةَ واعتزلَ الناسَ فسلِمَ منهم ولم يخشَهم فلم أزددْ في أمرِ النسكِ نظرًا إلا ازددتُ فيه رغبةً حتى هممتُ أن أكونَ من أهلِهِ ثم تخوَّفتُ أن لا أصبرَ على عيشِ

١ طلبت مني عمله ٢ [illegible] ٣ به ثقب ٤ آخره ٥ نظر في عواقب ٦ [illegible] شيء عنده

النَّاسِكِ وَلَا أَقْوَى عَلَى صَبْرِهِ وَصَيَّرْتُهَا عِنْدِي عُدَّةً وَعَدَّيْتُ بِهِ مُنْذُ كُنْتُ صَبِيًّا وَأَيْقَنْتُ إِنْ تَرَكْتُ الدُّنْيَا وَأَخَذْتُ فِي النُّسْكِ أَنْ أَضْعُفَ عَنْ ذٰلِكَ وَأَكُونَ قَدْ رَفَضْتُ أَعْمَالًا كُنْتُ أَرْجُو عَائِدَتَهَا وَقَدْ كُنْتُ أَعْمَلُهَا فَأَنْتَفِعُ بِهَا فِي الدُّنْيَا فَيَكُونَ مَثَلِي فِي ذٰلِكَ مَثَلَ الْكَلْبِ الَّذِي مَرَّ بِنَهْرٍ وَفِي فِيهِ ضِلْعٌ فَرَأَى ظِلَّهُ فِي الْمَاءِ فَهَوَى لِيَأْخُذَهُ فَأَتْلَفَ مَا كَانَ مَعَهُ وَلَمْ يَجِدْ فِي الْمَاءِ شَيْئًا ❊

فَهِبْتُ النُّسْكَ مَهَابَةً شَدِيدَةً وَخِفْتُ مِنَ الضَّجَرِ وَقِلَّةِ الصَّبْرِ وَأَرَدْتُ الثُّبُوتَ عَلَى حَالَتِي الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا ثُمَّ بَدَا لِي أَنْ أَقِيسَ مَا أَخَافُ أَنْ لَا أَصْبِرَ عَلَيْهِ مِنَ الشِّدَّةِ وَالضِّيقِ وَالْخُشُونَةِ فِي النُّسْكِ وَمَا يُصِيبُ صَاحِبَ الدُّنْيَا مِنَ الْبَلَاءِ وَكَانَ عِنْدِي أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا إِلَّا وَهُوَ مُتَحَوِّلٌ إِلَى الْأَذَى وَمُوَلِّدٌ لِلْحُزْنِ. فَالدُّنْيَا كَالْمَاءِ الْمِلْحِ الَّذِي لَا يَزْدَادُ شَارِبُهُ شُرْبًا إِلَّا ازْدَادَ عَطَشًا. وَكَالْعَظْمِ الَّذِي يُصِيبُهُ الْكَلْبُ فَيَجِدُ فِيهِ رِيحَ اللَّحْمِ فَلَا يَزَالُ يَطْلُبُ ذٰلِكَ اللَّحْمَ حَتَّى يُدْمِيَ فَاهُ وَلَا يَنَالُ شَيْئًا مِمَّا طَلَبَ. وَكَالْحِدَأَةِ الَّتِي تَظْفَرُ بِالْبَضْعَةِ مِنَ اللَّحْمِ فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهَا

١ [illegible] ٢ [illegible] ٣ [illegible] ٤ [illegible] ٥ [illegible]
٦ [illegible] ٧ [illegible] ٨ [illegible] ٩ [illegible]

الطيرُ فلا تزالُ تدورُ وتذهبُ حتى تتعبَ وتتحيرَ فإذا تعبتْ نامتْ مانعها. وكم يكونُ منَ العسلِ الذي في أسفلهِ السمُّ الذي يذوقُ منهُ حلاوةً عاجلةً وآخرُهُ موتٌ زعافٌ. وكأحلامِ النومِ التي يفرحُ بها الإنسانُ في نومهِ فإذا استيقظَ ذهبَ الفرحُ. وكالبرقِ الذي يضيءُ يسيرًا فيطمعُ بالنورِ ثم يذهبُ عنهُ ويرجعُ الظلامُ. وكدودةِ الإبريسمِ التي لا تهلكُ إلا وسطَ نسجها الذي كلما زادتْ منهُ نسجًا ازدادتْ استحكامًا وبعدًا عن الخروجِ. فلما فكرتُ في هذهِ الأمورِ رجعتُ إلى طلبِ النسكِ وهزني الاشتياقُ إليهِ وقلتُ لا بدَّ لي أن آخذَ بالنسكِ. ثم تفكرتُ فيهِ وفي سرورهِ وحزنها ثم وجدتُ نفسي لذتي في سرورها سارحةً وقد لا تثبتُ على أمرٍ تعزمُ عليهِ كقاضٍ سمعَ من خصمٍ واحدٍ فحكمَ لهُ فلما حضرَ الخصمُ الثاني عادَ إلى الأولِ فقضى عليهِ. ثم نظرتُ في الذي أكابدُهُ من احتمالِ النسكِ وضيقهِ فقلتُ ما أصغرَ هذهِ المشقةَ في جنبِ روحِ الأبدِ وراحتهِ. ثم نظرتُ فيما تشرهُ إليهِ النفسُ أشهيهِ من لذةِ الدنيا فقلتُ ما

---

١ [illegible] ٢ سريع ٣ [illegible]

أَمْرٌ هٰذَا أَوْجَعُهُ وَهُوَ يَدْفَعُ إِلَى عَذَابِ الْأَبَدِ فِي ثَوَابِهِ وَكَيْفَ لَا يَتَخَلَّى الرَّجُلُ مَرَّةً قَلِيلَةً تَعْقُبُهَا حَلَاوَةٌ طَوِيلَةٌ وَكَيْفَ لَا تَمُرُّ عَلَيْهِ حَلَاوَةٌ قَلِيلَةٌ تَعْقُبُهَا مَرَارَةٌ دَائِمَةٌ وَقُلْتُ لَوْ أَنَّ رَجُلًا عُرِضَ عَلَيْهِ أَنْ يَعِيشَ مِئَةَ سَنَةٍ لَا يَأْتِي عَلَيْهِ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِلَّا بُضِعَ مِنْهُ بَضْعَةٌ غَيْرَ أَنَّهُ يُشْتَرَطُ لَهُ أَنَّهُ إِذَا اسْتَوْفَى السِّنِينَ الْمِئَةَ نَجَا مِنْ كُلِّ أَلَمٍ وَأَذًى وَصَارَ إِلَى الْأَمْنِ وَالسُّرُورِ كَانَ حَقِيقًا أَنْ لَا يَرَى تِلْكَ السِّنِينَ شَيْئًا فَكَيْفَ يَأْبَى الصَّبْرَ عَلَى أَيَّامٍ قَلَائِلَ يَعِيشُهَا فِي النُّسْكِ وَأَذَى تِلْكَ الْأَيَّامِ قَلِيلٌ يُعْقِبُ خَيْرًا كَثِيرًا أَوَلَيْسَ أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا بَلَاءٌ وَعَذَابٌ وَالْإِنْسَانُ إِنَّمَا يَتَقَلَّبُ فِي عَذَابِهَا مِنْ حِينِ يُولَدُ إِلَى أَنْ يَسْتَوْفِيَ أَيَّامَ حَيَاتِهِ

فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ طِفْلًا ذَاقَ مِنَ الْعَذَابِ أَلْوَانًا إِنْ جَاعَ فَلَيْسَ بِهِ اسْتِطْعَامٌ أَوْ عَطِشَ فَلَيْسَ بِهِ اسْتِسْقَاءٌ أَوْ وَجِعَ فَلَيْسَ بِهِ اسْتِغَاثَةٌ مَعَ مَا يَلْقَى مِنَ الْوَضْعِ وَالْحَمْلِ وَاللَّفِّ وَالدَّهْنِ وَالْمَسْحِ إِنْ أُنِيمَ عَلَى ظَهْرِهِ لَمْ يَسْتَطِعْ قِيَامًا وَلَا تَقَلُّبًا ثُمَّ يَلْقَى أَصْنَافَ الْعَذَابِ مَا دَامَ رَضِيعًا فَإِذَا أَفْلَتَ مِنْ عَذَابِ الرَّضَاعِ أُخِذَ فِي

١ [illegible] ٢ [illegible] ٣ [illegible] ٤ [illegible]

عذاب الأدب فأذيق منه ألواناً من عنف المعلم وضجر الدرس وسآمة الكتابة ثم له من الدواء والحمية والأسقام والأوجاع أوفى نصيب. فإذا أدرك جعل همه في جمع المال وتربية الولد ومخاطرة الطلب والسعي والكد والتعب وهو مع كل ذلك يتقلب مع أعدائه الباطنين اللازمين له وهم المرة الصفراء والمرة السوداء والريح والبلغم والدم مع السم المميت والحية اللادغة والخوف من السباع والهوام مع تقلب الفصول من الحر والبرد والأمطار والرياح والثلوج والأشعار ... وغير ذلك من عوارض أذيته ثم ألوان عذاب الهرم لمن يبلغه.

فلو لم يخف من هذه الأمور شيئاً وكان قد أمن ووثق بالسلامة منها فلم يفكر إلا في الساعة التي يحضره فيها الموت ويفارق الدنيا فتذكر ما هو نازل به في تلك الساعة من فراق الأحبة والأقارب والمال وكل مضنون به من الدنيا والإشراف على الهول العظيم بعد الموت فإذا لم يفعل ذلك كان حقيقاً أن يعد عاجزاً مفرطاً.

[illegible]

فحينئذ ... فمن ذا الذي يعلم هذا ولا يستعد له
قبل حلوله ويحذر بعد جهده في حيله ويرفض ما يشغله
ويلهيه من شهوات الدنيا وغرورها ولا سيما في هذا الزمان
الشبيه بالصافي وهو كدر فإنه وإن كان الملك حازما
عظيم المقدرة رفيع الهمة بليغ الفحص عدلا مرجوا صدوقا
شكورا رحب الذراع مواظبا مستبشرا بها الناس
عالما بالأمور رحيما بهم ... في أحوالهم محبا للعلم والخير
والأخيار شديدا على الظلمة غير جبان ولا خفيف القياد رفيقا
بالتوسع على الرعية فيما يحبون والدفع لما يكرهون فإنا قد
نرى الزمان مدبرا بكل مكان حتى كأن أمور الصدق قد
نزعت من الناس فأصبح ما كان عزيزا فقده مفقودا وموجودا
ما كان ضائرا وجوده وكأن الخير أصبح ذابلا والشر ناضرا
وكأن الفهم أصبح قد زالت سبله وكأن الحق ولى كسيرا وأقبل
الباطل تابعه وكأن اتباع الهوى وإضاعة الحكم أصبح
بالحكام موكلا وأصبح المظلوم بالحيف مقرا والظالم لنفسه

١ عادلا ٢ أي واسع الخلق ٣ جمع ... ٤ ... في ... ٥ ...
٦ مضرا ٧ ... ٨ ...

مستطيلا وكأن الخير أصبح غائرا فقد من كل جهة ساقط من قرب منه وما بعد وكأن الرضى أصبح مجهولا وكأن الأشرار يقصدون السماء صعودا وكأن الأخيار يريدون بطن الأرض وأصبحت المروءة مقذوفا بها من أعلى شرف إلى أسفل درك وأصبحت الدناءة مكرمة وأصبح السلطان منتقلا عن أهل الفضل إلى أهل النقص وكأن الدنيا جذلة مسرورة تقول قد غيبت الخيرات وأظهرت السيئات

فلما فكرت في أمر الدنيا وأن الإنسان هو أشرف الخلق فيها وأفضله ثم هو لا يتقلب إلا في الشرور والهموم عجبت من ذلك كل العجب وعلمت أنه ليس من ذي عقل علم ذلك ثم لا يحتال لنفسه في نجاته ويبصر الخلاص وإن فرط في ذلك فهو عندي عاجز قليل الرأي ناقص المروءة وعليه ثم نظرت فإذا الناس كلهم مفرطون في ذلك معيبون له فقضيت العجب من ذلك والتمست له عذرا فيه ونظرت فإذا الإنسان لا يمنعه عن الاحتيال لنفسه إلا لذة صغيرة حقيرة من الطعم

[illegible]

والسمع والشم والذوق والبصر لعله أن يصيب منها الطفيف أو يقتني منها اليسير فإذا ذلك قد شغله وذهب به عن الاهتمام بنفسه وطلب النجاة لها

فلذلك التمست للإنسان مثلا فإذا مثله مثل رجل نجا من خوف فيل هائج إلى بئر فتدلى فيها وتعلق بغصنين كانا على سمائها فوقعت رجلاه على شيء في طي البئر فإذا حيات أربع قد أخرجن رؤوسهن من أجحارهن ثم نظر فإذا في قعر البئر تنين فاتح فاه منتظر له ليقع فيأخذه فرفع بصره إلى الغصنين فإذا في أصلهما جرذان أسود وأبيض وهما يقرضان الغصنين دائبين لا يفتران فبينما هو في النظر لأمره والاهتمام لنفسه إذ أبصر قريبا منه كوارة فيها عسل نحل فذاق العسل فشغلته حلاوته وألهته لذته عن الفكرة في شيء من أمره وأن يلتمس الخلاص لنفسه ولم يذكر أن رجليه على حيات أربع لا يدري متى يقع عليهن ولم يذكر أن الجرذين دائبان في قطع الغصنين ومتى انقطعا وقع على التنين فلم يزل لاهيا غافلا مشغولا بتلك الحلاوة حتى سقط في فم التنين فهلك ❊ فشبهت بالبئر الدنيا

[illegible]

المملوءة آفات وشرورا ومخافات وعاهات وشبهت بالحيات الأربع الأخلاط الأربعة التي في البدن فإنها متى هاجت أو هاج أحدها كانت كحمة الأفاعي والسم المميت وشبهت بالغصنين الأجل الذي هو إلى حين ثم لا بد من فنائه وانقطاعه وشبهت الجرذين الأسود والأبيض الليل والنهار اللذين هما دائبان في إفناء الأجل وشبهت بالتنين المصير الذي لا بد منه وشبهت بالعسل هذه الحلاوة القليلة التي ينال منها الإنسان فيرى ويطعم ويسمع ويشم ويلمس ويتشاغل عن نفسه ويلهو عن شأنه وينسى أمر الآخرة ويصد عن سبيل قصده فحينئذ صار أمري إلى الرضى بحالي وإصلاح ما استطعت إصلاحه من عملي لعلي أصادف في باقي أيامي زمانا أصيب فيه دليلا على هداي وسلطانا على نفسي وقواما على أمري فأقمت على هذه الحال وخرجت إلى بلاد الهند في طلب العقاقير والأدوية ثم عدت إليها في انتساخ هذا الكتاب وانصرفت منها إلى بلادي وقد انتسخت من كتبهم كتبا كثيرة منها هذا الكتاب

---

١ الأدوية التي [illegible]

باب
الأسد والثور
وهو أول الكتاب

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف وهو رأس البراهمة اضرب لي مثلا لمتحابين يقطع بينهما الكذوب المحتال حتى يحملهما على العداوة والبغضاء

قال بيدبا إذا ابتلي المتحابان بأن يدخل بينهما الكذوب المحتال لم يلبثا أن يتقاطعا ويتدابرا وفق ما يدبره النمام ومن أمثال ذلك أنه كان بأرض دستاوند رجل شيخ وكان له ثلاثة بنين فلما بلغوا أشدهم أسرفوا في مال أبيهم ولم يكونوا احترفوا حرفة يكسبون بها لأنفسهم خيرا فلامهم أبوهم ووعظهم على سوء فعلهم وكان من قوله لهم يا بني إن صاحب الدنيا يطلب ثلاثة أمور لن يدركها إلا بأربعة أشياء أما الثلاثة التي يطلب فالسعة في الرزق والمنزلة في الناس والزاد

١ شيخ حسن [illegible] ٢ ولم يحترفوا من حرفة ٣ [illegible] خرجوا من [illegible]
[illegible]

للآخرة وأما الأربعة التي يحتاج إليها في دَرْك هذه الثلاثة فاكتساب المال من أحسن وجه يكون ثم حسن القيام على ما اكتسب منه ثم استثماره ثم إنفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضي الأهل والإخوان فيعود عليه نفعه في الآخرة * فمن ضيّع شيئاً من هذه الأحوال لم يدرك ما أراد من حاجته لأنه إن لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به وإن هو كان ذا مال واكتساب ثم لم يحسن القيام عليه أوشك المال أن يفنى ويبقى معدماً وإن هو وضعه ولم يستثمره لم تمنعه قلة الإنفاق من سرعة الذهاب كالكحل الذي لا يؤخذ منه إلا غبار الميل ثم هو مع ذلك سريع فناؤه وإن هو أنفقه في غير وجهه ووضعه في غير موضعه وأخطأ به مواضع استحقاقه صار بمنزلة الفقير الذي لا مال له ثم لم يمنع ذلك ماله من التلف بالحوادث والعلل التي تجري عليه كمحبس الماء الذي لا تزال المياه تنصبّ فيه فإن لم يكن له مخرج ومغاض ومتنفس يخرج منه الماء بقدر ما ينبغي خرب وسال ونزّ من نواحٍ كثيرة وربما

١ إدراك ٢ [illegible] ٣ [illegible] ٤ [illegible]
٥ مكان يفيض منه ٦ مكان [illegible]

انشق الشق العظيم فذهب الماء ضياعاً . وإن بني الشيخ تعظوا بقول أبيهم وأخذوا به وعلموا أن فيه نجحهم وعولوا عليه . فانطلق أكبرهم نحو أرض يقال لها ميون فأتى في طريقه على مكان فيه وحل كثير وكان معه عجلة يجرها ثوران يقال لأحدهما شترية وللآخر بندبة فوحل شترية في ذلك المكان فعالجه الرجل وأصحابه حتى بلغ منهم الجهد فلم يقدروا على إخراجه فذهب الرجل وخلف عنده رجلاً يشارفه لعل الوحل ينشف فيتبعه به فلما بات الرجل بذلك المكان تبرم به واستوحش فترك الثور والتحق بصاحبه فأخبره أن الثور قد مات وقال له إن الإنسان إذا انقضت مدته وحانت منيته فهو وإن اجتهد في التوقي من الأمور التي يخاف فيها على نفسه الهلاك لم يغن ذلك عنه شيئاً وربما عاد اجتهاده في توقيه وحذره وبالاً عليه

كالذي قيل إن رجلاً سلك مفازة فيها خوف من السباع وكان الرجل خبيراً بوعث تلك الأرض وخوفها . فلما سار غير بعيد اعترض له ذئب من أحد الذئاب وأضراها

[illegible]

فلما رأى الرجل أن الذئب قاصد نحوه خاف منه ونظر يمينا وشمالا لا يجد موضعا يتحرز فيه من الذئب فلم ير إلا قرية خلف وادٍ فذهب مسرعا نحو القرية فلما أتى الوادي لم ير عليه قنطرة ورأى الذئب قد أدركه فألقى نفسه في الماء وهو لا يحسن السباحة وكاد يغرق لولا أن بصر به قوم من أهل القرية فتواقعوا لإخراجه فأخرجوه وقد أشرف على الهلاك فلما حصل الرجل عندهم وأمن على نفسه من غائلة الذئب رأى على عدوة الوادي بيتا مفردا فقال أدخل هذا البيت فأستريح فيه فلما دخله وجد جماعة من اللصوص قد قطعوا الطريق على رجل من التجار وهم يقتسمون ماله ويريدون قتله فلما رأى الرجل ذلك خاف على نفسه ومضى نحو القرية فأسند ظهره إلى حائط من حيطانها ليستريح مما حل به من الهول والإعياء إذ سقط عليه الحائط فمات

قال الرجل صدقت قد بلغني هذا الحديث. وأما الثور فإنه خلص من مكانه وانبعث فلم يزل في مرج مخصب كثير الماء والكلأ فلما سمن وأمن جعل يخور ويرفع صوته

١ يتواقعون ... ٢ ... ٣ ... ٤ ... ٥ ... ٦ ... [illegible]

بخوار. وكان قريباً منه أجمة[١] فيها أسد عظيم، وهو ملك تلك الناحية، ومعه سباع كثيرة، وذئاب وبنات آوى[٢] وثعالب وفهود ونمور. وكان هذا الأسد منفرداً برأيه دون أخذ برأي أحد من أصحابه. فلما سمع خوار شتربة، ولم يكن رأى ثوراً قط، ولا سمع خواره، داخله منه هيبة وخشية، وكره أن يشعر بذلك جنده. فكان مقيماً مكانه لا يبرح ولا ينشط، بل يؤتى برزقه كل يوم على يد جنده. وكان فيمن معه من السباع ابنا آوى، يقال لأحدهما كليلة وللآخر دمنة، وكانا ذوي دهاء وعلم وأدب.

فقال دمنة يوماً لأخيه كليلة: يا أخي، ما شأن الأسد مقيماً مكانه لا يبرح ولا ينشط خلافاً لعادته؟ قال له كليلة: ما شأنك أنت والمسألة عن هذا؟ نحن على باب ملكنا آخذين بما أحب، وتاركين ما يكره، ولسنا من أهل المرتبة التي يتناول أهلها كلام الملوك والنظر في أمورهم. فأمسك عن هذا، واعلم أنه من

١ شجر كثير ملتف ٢ جمع ابن آوى وهو حيوان معروف ٣ [illegible] ٤ [illegible]
٥ أي لا يتحول عن مكانه ٦ يخرج ٧ [illegible] ٨ [illegible]
٩ [illegible]

[illegible]

[illegible] كل [illegible] أنفسهم [illegible]

[illegible] كل من [illegible] منهم [illegible]

[illegible] كل شيء [illegible] منهم

يسر الصديق ويكبت العدو [illegible] من الناس من لا مروءة لهم وهم

الذين يفرحون بالقليل ويرضون بالدون كالكلب الذي يصيب

عظما يابسا فيفرح به وما أهل الفضل والمروءة فلا يقنعهم

[illegible]

القليل ولا يرضون بدون أن تسمو بهم نفوسهم إلى ما هم أهل
له وهو أيضاً لهم أهل كالأسد الذي يفترس الأرنب فإذا رأى
البعير تركه وطلب البعير. ألا ترى أن الكلب يبصبص بذنبه
حتى ترمي له الكسرة من الخبز فيفرح بها ويقنع منك بذلك وأن
الفيل المعترف بفضله وقوته إذا قدم إليه علفه لا يعتلفه حتى
يمسح وجهه ويتملق له. فمن عاش ذا مال وكان ذا فضل
وإفضال على نفسه وعلى أهله وإخوانه فهو
وإن قلّ عمره طويل العمر. ومن كان في عيشه ضيق وقلة
وإمساك على نفسه وذويه وكان حين احتضاره فالمقبور أحيا
منه. ومن عمل لبطنه وقنع وترك ما سوى ذلك عُدّ
من البهائم. قال كليلة قد فهمت ما قلت فراجع عقلك واعلم
أن لكل إنسان منزلة وقدراً فإن كان في منزلته التي هو فيها
متماسكاً كان حقيقاً أن يقنع. وليس لنا من المنزلة ما نحط به
حالنا التي نحن عليها. ثم إن المنازل معدودة عليه مند
الأزل ولا يستطيع إلا الرضى بها كيف كانت. قال دمنة إن

[illegible]

المنازل مشتركة على قدر المروءة فالمرء ترفعه
مروءته من المنزلة الوضيعة إلى المنزلة الرفيعة ومن لا مروءة له
يحط نفسه من المنزلة الرفيعة إلى المنزلة الوضيعة وإن
الارتفاع إلى المنزلة الشريفة شديد والانحطاط منها هين
كالحجر الثقيل رفعه من الأرض إلى العاتق عسير ووضعه إلى
الأرض هين فنحن أحق أن نروم ما فوقنا من المنازل وأن
نلتمس ذلك بمروءتنا ثم كيف نقنع بهذا ونحن نستطيع التحول
عنه قال كليلة فما الذي اجتمع عليه رأيك قال دمنة أريد
أن أتعرض للأسد عند هذه الفرصة فإن الأسد ضعيف
الرأي قد التبس عليه أمره وأمر جنده ولعلي على هذه
الحال أدنو منه [illegible] بالكلام
[illegible]
[illegible] قال كليلة وما يدريك أن الأسد قد التبس عليه
أمره قال دمنة بالحس والرأي أعلم ذلك منه فإن الرجل
ذا الرأي يعرف حال صاحبه وباطن أمره بما يظهر له من
دله وشكله قال كليلة فكيف ترجو المنزلة عند الأسد

ولست بصاحب السلطان ولا لك علم بخدمة السلاطين وآدابهم
وآداب مجالسهم. قال دمنة: الرجل الشديد القوي لا يعجزه
الحمل الثقيل وإن لم تكن عادته الحمل، والرجل الضعيف
لا يستقل به وإن كان ذلك من صناعته. قال كليلة: إن
السلطان لا يتوخى بكرامته فضلاء من بحضرته ولكنه يؤثر
الأدنى ومن قرب منه [illegible]
[illegible] وكيف ترجو المنزلة
عند الأسد ولم تكن [illegible] قال دمنة قد فهمت
كلامك جميع ما ذكرت [illegible] ولكن اعلم أن
الذين [illegible]
إليه [illegible] بعد البعد ويدنون بعد [illegible]
ملتمس بلوغ مكانتهم بجهدي. وقد قيل لا يواظب على باب
السلطان إلا من يطرح الأنفة ويحمل الأذى ويكظم الغيظ
ويرفق بالناس ويكتم السر فإذا وصل إلى ذلك فقد بلغ مراده
قال كليلة هبك وصلت إلى الأسد فما توفيقك عنده الذي

[illegible] دمنة [illegible]

[illegible] في [illegible] خلاف [illegible]

[illegible]

[illegible] من [illegible] حتى

[illegible]

[illegible] من [illegible]

[illegible]

[illegible] الرجل

[illegible]

[illegible] الذي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] فقلت عدوًّا وقلت

[illegible] عنك من [illegible]

من أمري [illegible] وقد [illegible] العلماء إنّ

ثلاثة لا [illegible] عليهنّ إلا [illegible] ولا [illegible] منهنّ إلا قليل وهي

١ [illegible]

صحبة السلطان وائتمان النساء على الأسرار وشرب السم للتجربة وإنما شبه العلماء السلطان بالجبل الصعب المرتقى الذي فيه الثمار الطيبة والجواهر النفيسة والأدوية النافعة وهو مع ذلك معدن السباع والنمور والذئاب وكل ضار مخوف فالارتقاء إليه شديد والمقام فيه أشد قال دمنة صدقت فيما ذكرت غير أنه من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب ومن ترك الأمر الذي لعله يبلغ فيه حاجته هيبة ومخافة لما لعله أن يتوقاه فليس ببالغ جسيما وقد قيل إن خصالا ثلاثا لن يستطيعها أحد إلا بمعونة من علو همة وعظيم خطر منها عمل السلطان وتجارة البحر ومناجزة العدو وقد قالت العلماء في الرجل الفاضل الرشيد إنه لا ينبغي أن يرى إلا في مكانين ولا يليق به غيرهما إما مع الملوك مكرما وإما مع النساك متعبدا كالفيل إنما جماله وبهاؤه في مكانين إما أن تراه في البرية وحشيا وإما مركبا للملوك قال شتربة خار الله لك فيما عزمت عليه

ثم إن دمنة انطلق حتى دخل على الأسد [illegible]

[illegible]

يديه وسلّم عليه فقال الأسد [illegible] قال هذا

دمنة [illegible] قد كنت عرفت [illegible]

قال [illegible]

[illegible]

فحبت على [illegible] كل [illegible] على قدر [illegible]

وعلى [illegible]

[illegible] ومن [illegible]

[illegible] المثل [illegible]

[illegible] على [illegible] كثيرة

[illegible] على [illegible]

[illegible]

[illegible]

و [illegible]

من [illegible] و [illegible]

[illegible] خروج

[illegible]

[illegible]

[illegible] من [illegible]

[illegible] على [illegible] في

[illegible]

[illegible] وحسد دمنة أن يرى [illegible]
[illegible] الملك أنه [illegible] وحقيقة لانه عدو قبل
ذلك [illegible] ذلك يعرفه [illegible] فقال [illegible] السلطان لا تقرب
[illegible] الاسد [illegible]
[illegible] كل [illegible] قرب [illegible] من حسد
[illegible]
[illegible]
[illegible] عليه [illegible]
[illegible] في نفسه
[illegible] ذلك [illegible]
[illegible]
[illegible] ذلك [illegible]
[illegible]
[illegible] في حكمه [illegible]
[illegible] الاسد [illegible] الملك
قد قال في [illegible] وجد [illegible] وهو [illegible]

[illegible]

لله ... [illegible] ... الأمر من أن ... [illegible] ... علو
الاستفهام على ... [illegible] ... فإن الأمر ... [illegible]
[illegible] ... فيها ... [illegible]
[illegible] ... الأسد ... [illegible]
[illegible] ... وذلك ... قد ... على
[illegible]
[illegible]
[illegible] ... وقد ... [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

نحوه لأجل ما سمع من عظيم صوته فلما دنا وجده ضخماً
فأيقن في نفسه بكثرة الشحم واللحم فعالجه حتى شقه فلما رآه
أجوف لا شيء فيه قال لا أدري لعل أفشل الأشياء أجهرها
صوتاً وأعظمها جثة وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن
هذا الصوت الذي راعنا لو وصلنا إليه لوجدناه أيسر مما في
أنفسنا فإن شاء الملك بعثني وأقام بمكانه حتى آتيه ببيان
هذا الصوت فوافق الأسد قوله فأذن له بالذهاب نحو
الصوت فانطلق دمنة إلى المكان الذي به شتربة فلما
فصل دمنة من عند الأسد فكر الأسد في أمره وندم على
إرسال دمنة حيث أرسله وقال في نفسه ما أصبت في ائتمانه
دمنة وصنائعه عندي وقد كان ببابي مطروحاً فإن
الرجل الذي يحضر باب الملك إذا كان قد أطيلت جفوته
من غير جرم كان منه أو كان مبغياً عليه عند سلطانه أو
كان عنده معروفاً بالشره والحرص أو كان قد أصابه ضر
وضيق فلم ينعشه أو كان قد اجترم جرماً فهو يخاف العقوبة

[illegible]

[illegible]

[illegible] الشطر

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] حتى [illegible]

[illegible] ورجع [illegible]

فقال له الأسد ماذا صنعت وماذا رأيت قال رأيت ثوراً وهو

صاحب الخوار والصوت الذي سمعته [illegible] قال لا

[illegible]

ـكة له وقد دنوت منه وحاورته محاورة الأكفاء فلم يستطع لي شيئًا. قال الأسد لا يغرنك ذلك منه ولا يصغرن عندك أمره فإن الريح الشديدة لا تعبأ بضعيف الحشيش لكنها تحطم طوال النخل وعظيم الشجر وتقلع الدوحة العظيمة. قال دمنة لا يهابن الملك منه شيئًا ولا يكبرن عليه أمره فأنا آتيه به ليكون لك عبدًا سامعًا مطيعًا. قال الأسد دونك وما بدا لك. فانطلق دمنة إلى الثور فقال له غير هائب ولا مكترث إن الأسد أرسلني إليك لآتيه بك وأمرني إن أنت عجلت إليه طائعًا أن أؤمنك على ما سلف من ذنبك في التأخر عنه وترك لقائه وإن أنت تأخرت عنه وأحجمت أن أعجل الرجعة إليه فأخبره. قال له شتربة ومن هذا الأسد الذي أرسلك إليّ وأين هو وما حاله. قال دمنة هو ملك السباع وهذه الأرض التي نحن عليها وهو بمكان كذا ومعه جند كثير من جنسه. فرعب شتربة من ذكر الأسد والسباع وقال إن أنت جعلت لي الأمان على نفسي أقبلت معك إليه. فأعطاه دمنة من الأمان ما وثق به ثم أقبل والثور معه

١ [illegible] ٢ مكترث ٣ [illegible] ٤ [illegible] ٥ [illegible]

حتى دخلا على الأسد فأحسن الأسد إلى الثور وقرّبه وقال له
متى قدمت هذه البلاد وما أقدمك إياها فقصّ شتربة عليه قصته
فقال له الأسد اصحبني والزمني فإني مكرمك ومحسن إليك
فدعا له الثور وأثنى عليه وشكره وقد أعجب به الأسد إعجابا
شديدا لما ظهر من عقله وأدبه ثم إنه قرّبه وأكرمه وأنس به
وائتمنه على أسراره وشاوره في أمره ولم تزده الأيام إلا عجبا
به ورغبة فيه وتقريبا حتى صار أخص أصحابه عنده منزلة *
فلما رأى دمنة أن الثور قد اختص بالأسد دونه ودون أصحابه
وأنه قد صار صاحب رأيه وخلواته ولهوه حسده حسدا عظيما
وبلغ منه غيظه كل مبلغ فشكا ذلك إلى أخيه كليلة وقال له
ألا تعجب يا أخي من عجز رأيي وصنعي بنفسي ونظري فيما ينفع
الأسد وأغفلت نفع نفسي حتى جلبت إلى الأسد ثورا غلبني على
منزلتي قال كليلة قد أصابك ما أصاب الناسك قال دمنة
وكيف كان ذلك

قال كليلة زعموا أن ناسكا أصاب من بعض الملوك
كسوة فاخرة فبصر به سارق فطمع في ثيابه وعمل على سرقتها

[illegible] وقال [illegible] أريد أن تحملك [illegible] وحد
[illegible] السلك في صحته [illegible] ورفق له في
[illegible] حتى [illegible] السلك [illegible] حتى [illegible]
[illegible] ذلك [illegible] بما [illegible]
[illegible] علم أن صاحبه قد [illegible] في [illegible] في
[illegible] وعليه [illegible]
[illegible] في [illegible] وتحكك بهما [illegible]
[illegible] السلك [illegible] ومضى حتى
دخل [illegible] الذي [illegible] الأ [illegible]
[illegible]
[illegible] قد [illegible] أن [illegible] الا [illegible] قد [illegible]
[illegible] سبيل [illegible]
[illegible] السلك [illegible] الأكل و [illegible]
[illegible] حتى [illegible] في [illegible]
في [illegible] كانت قد [illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible] الرجل [illegible] ذلك [illegible] [illegible]

[illegible] الى [illegible] مرة [illegible] منه وكل ذلك [illegible]

[illegible]

[illegible] لا [illegible] رجلا [illegible]

[illegible]

[illegible]

وكان [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الحجام [illegible]

[illegible]

[illegible] لا [illegible] الاسكاف [illegible] ثم [illegible] الرجل

[illegible] فقعد على [illegible] الاسكاف

سكران فرأى الرجل في [illegible] فقام [illegible] ودخل

مغضبا [illegible] امرأته [illegible] ثم [illegible] في [illegible] في

المنزل وذهب [illegible] لا يعقل . وجاءت امرأة الحجام [illegible]

[illegible] ١ [illegible] ٢ [illegible] ٣ [illegible] ٤ [illegible] ٥ [illegible] ٦ [illegible]

أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ طَالَ جُلُوسُهُ فَقَالَتْ لَهَا انْظُرِي إِلَى مَا أَنَا فِيهِ
بِسَبَبِهِ فَإِنْ شِئْتِ أَحْسَنْتِ إِلَيَّ وَحَلَلْتِنِي وَرَبَطْتُكِ مَكَانِي حَتَّى
أَنْطَلِقَ إِلَيْهِ وَأُعَجِّلَ الْعَوْدَةَ فَأَجَابَتْهَا امْرَأَةُ الْحَجَّامِ إِلَى ذَلِكَ
وَحَلَّتْهَا وَانْطَلَقَتْ إِلَى الرَّجُلِ وَرَبَطَتْ نَفْسَهَا مَكَانَهَا
فَاسْتَيْقَظَ الْإِسْكَافُ قَبْلَ أَنْ تَعُودَ زَوْجَتُهُ فَنَادَاهَا بِاسْمِهَا فَلَمْ
تُجِبْهُ امْرَأَةُ الْحَجَّامِ وَخَافَتْ مِنَ الْفَضِيحَةِ أَنْ يُنْكِرَ صَوْتَهَا ثُمَّ
دَعَاهَا ثَانِيَةً فَلَمْ تُجِبْهُ فَامْتَلَأَ غَيْظاً وَحَنَقاً وَقَامَ نَحْوَهَا بِالشَّفْرَةِ
فَجَدَعَ أَنْفَهَا وَقَالَ خُذِي هَذَا فَأَتْحِفِي بِهِ صَدِيقَكِ وَهُوَ لَا يَشُكُّ
فِي أَنَّهَا امْرَأَتُهُ ثُمَّ جَاءَتِ امْرَأَةُ الْإِسْكَافِ فَرَأَتْ صَنِيعَ زَوْجِهَا
بِامْرَأَةِ الْحَجَّامِ فَسَاءَهَا ذَلِكَ وَكَبُرَ عَلَيْهَا وَحَلَّتْ وَثَاقَهَا فَانْطَلَقَتْ
إِلَى مَنْزِلِهَا مَجْدُوعَةَ الْأَنْفِ وَكُلُّ ذَلِكَ بِعَيْنِ النَّاسِكِ وَسَمْعِهِ ثُمَّ
إِنَّ امْرَأَةَ الْإِسْكَافِ جَعَلَتْ تَبْتَهِلُ وَتَدْعُو عَلَى زَوْجِهَا الَّذِي
الَّذِي ظَلَمَهَا وَتَقُولُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ زَوْجِي قَدْ ظَلَمَنِي فَأَعِدْ عَلَيَّ
أَنْفِي صَحِيحاً ثُمَّ رَفَعَتْ صَوْتَهَا وَنَادَتْ زَوْجَهَا أَيُّهَا الْفَاجِرُ الظَّالِمُ
قُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ صَنِيعُكَ بِي وَصَنَعَ اللهُ بِي كَيْفَ رَحِمَنِي وَرَدَّ عَلَيَّ

١ اي يحبس عليه ٢ السكين ٣ قطع ٤ عدة من كبير ٥ رده

صحيحا كما كان فقام وأوقد المصباح ونظر فإذا أنف زوجته
صحيح فاستغفر إليها وتاب عن ذنبه واستغفر ربه وأما
امرأة الحجام فإنها أتت منزلها وتفكرت في طلب
العذر عند زوجها وأهلها في جدع أنفها ووقع الالتباس فلما
كان عند السحر استيقظ الحجام فقال لامرأته ائتيني بأدواتي كلها
فإني أريد المضي إلى بعض الأشراف فلم تأته إلا بالموسى فقال لها ائتيني
بالأدوات جميعها فلم تأته إلا بالموسى فغضب حتى طلب
الأداة فرماها بالموسى في الظلمة وصاحت أنفي أنفي حتى جاء
أهلها وأقاربها فوجدوها على تلك الحالة فأخذوا الحجام فانطلقوا
به إلى القاضي فقال له القاضي ما حملك على جدع أنف
امرأتك فلم تكن له حجة يحتج بها فأمر به القاضي أن يقتص
منه فلما قدم للقصاص وافى الناسك فتقدم إلى القاضي وقال
له أيها الحاكم لا يشتبهن عليك هذا الأمر فإن اللص ليس هو
الذي سرقني وإن الثعلب ليس الذئبان قتلاه وإن المرأة
ليس السم قتلها وإن امرأة الحجام ليس زوجها جدع أنفها
وإنما نحن فعلنا ذلك بأنفسنا فسأله القاضي عن التفسير

١ الأداة هي ٢ من حسبه وفي [illegible] ٣ [illegible]

فأخبره بالقصة فأمر القاضي بإطلاق الحمام

قال دمنة قد سمعت هذا المثل وهو شبيه بأمري، وعلي ضرر لي حديثي شيء ولكن لي حيلة . قال كليلة خبرني عن ذلك وما تريد أن تعزم عليه في ذلك . قال دمنة أنا لست اليوم أرجو أن تزداد منزلتي عند الأسد فوق ما كانت عليه ولكن ألتمس أن أعود إلى ما كانت حالي عليه فإن أموراً ثلاثة العاقل جدير بالنظر فيها والاحتيال لها بجهده منها النظر فيما مضى من الضر والنفع فيحترس من الضر الذي أصابه فيما سلف لئلا يعود في ذلك الضر ويلتمس النفع الذي مضى ويحتال لمعاودته . ومنها النظر فيما هو مقيم فيه من المنافع والمضار والاستيثاق بما ينفع والهرب مما يضر . ومنها النظر في مستقبل ما يرجو من قبل النفع وما يخاف من قبل الضر فيستتم ما يرجو ويتوقى ما يخاف بجهده . وإني لما نظرت في الأمر الذي به أرجو أن تعود منزلتي وما غلبت عليه مما كنت فيه لم أجد حيلة ولا وجهاً إلا الاحتيال لآكل العشب هذا حتى أفرق بينه وبين الحياة فإنه إن فارق الأسد عادت لي

[illegible]

مَنْزِلَتي وَلَعَلَّ ذٰلِكَ يَكُونُ خَيْراً لِلأَسَدِ فَإِنَّ إِفْراطَهُ في تَقْريبِ
الثَّوْرِ خَليقٌ أَنْ يَشينَهُ وَيَضُرَّهُ في أَمْرِهِ. قالَ كَليلَةُ ما أَرَى عَلَى
الأَسَدِ في رَأْيِهِ في الثَّوْرِ وَمَكانِهِ مِنْهُ وَمَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ شَيْناً وَلا شَرّاً.
قالَ دِمْنَةُ إِنَّما يُؤْتَى السُّلْطانُ وَيَفْسُدُ أَمْرُهُ مِنْ قِبَلِ سِتَّةِ
أَشْياءَ: الحِرْمانِ وَالفِتْنَةِ وَالهَوَى وَالفَظاظَةِ وَالزَّمانِ وَالخُرْقِ
فَأَمّا الحِرْمانُ فَأَنْ يُحْرَمَ مِنْ صالِحي الأَعْوانِ وَالنُّصَحاءِ وَالسّاسَةِ
مِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالنَّجْدَةِ وَالأَمانَةِ وَأَنْ يَكونَ مَنْ حَوْلَهُ فاسِدٌ
مانِعاً مِنْ وُصولِ أُمورِ المَمْلَكَةِ إِلَيْهِ وَأَنْ يُحْرَمَ هُوَ أَهْلَ النَّصيحَةِ
وَالصَّلاحِ مِنْ عِنايَتِهِ وَالتِفاتِهِ إِلَيْهِمْ. وَأَمّا الفِتْنَةُ فَهِيَ تَحارُبُ
رَعِيَّتِهِ وَوُقوعُ الخِلافِ وَالنِّزاعِ بَيْنَهُمْ. وَأَمّا الهَوَى فَالإِغْرامُ
بِالنِّساءِ وَالحَديثِ وَاللَّهْوِ وَالشُّرْبِ وَالصَّيْدِ وَما أَشْبَهَ ذٰلِكَ
وَأَمّا الفَظاظَةُ فَهِيَ إِفْراطُ الشِّدَّةِ حَتّى يَجْمَحَ اللِّسانُ بِالشَّتْمِ
وَاليَدُ بِالبَطْشِ في غَيْرِ مَوْضِعِهِما. وَأَمّا الزَّمانُ فَهُوَ ما يُصيبُ
النّاسَ مِنَ السِّنينَ مِنَ المُوتانِ وَنَقْصِ الثَّمَراتِ وَالغَزَواتِ
وَأَشْباهِ ذٰلِكَ. وَأَمّا الخُرْقُ فَإِعْمالُ الشِّدَّةِ في مَوْضِعِ اللِّينِ

١ يوجد عليه عيب ٢ جمع [illegible] ٣ [illegible] ٤ [illegible]
٥ [illegible] ٨ الحروب

واللين في موضع الشدة. وإن الأسد قد أغرم بالثور إغراماً شديداً هو الذي ذكرت لك أنه خليق أن يشينه ويضره في أمره. قال كليلة: وكيف تطيق الثور وهو أشد منك وأكرم على الأسد منك وأكثر أعواناً. قال دمنة: لا تنظر إلى صغري وضعفي فإن الأمور ليست بالضعف ولا القوة ولا الصغر ولا الكبر في الجثة. فرب صغير ضعيف قد بلغ بحيلته ودهائه ورأيه ما يعجز عنه كثير من الأقوياء. أولم يبلغك أن غراباً ضعيفاً احتال لأسود[1] حتى قتله. قال كليلة: وكيف كان ذلك

قال دمنة: زعموا أن غراباً كان له وكر في شجرة على جبل وكان قريباً منه جحر ثعبان[2] أسود فكان الغراب إذا أفرخ عمد الأسود إلى فراخه فأكلها فبلغ ذلك من الغراب فأحزنه فشكا ذلك إلى صديق له من بنات آوى وقال له: أريد مشاورتك في أمر قد عزمت عليه. قال: وما هو؟ قال الغراب: قد عزمت أن أذهب إلى الأسود إذا نام فأنقر عينيه فأفقأهما لعلي أستريح منه. قال ابن آوى: بئس الحيلة التي احتلت فالتمس أمراً تصيب فيه بغيتك من الأسود من غير أن تغرر بنفسك

١ حية عظيمة ٢ حية ٣ في [illegible]

وَتُخَاطِرَ بِهَا وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِثْلَكَ مِثْلَ ٱلْعُلْجُومِ ٱلَّذِي أَرَادَ
قَتْلَ ٱلسَّرَطَانِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ قَالَ ٱلْغُرَابُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ قَالَ
ٱبْنُ آوَى زَعَمُوا أَنَّ عُلْجُومًا عَشَّشَ فِي أَجَمَةٍ كَثِيرَةِ ٱلسَّمَكِ فَكَانَ
يَخْتَلِفُ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ ٱلسَّمَكِ فَيَأْكُلُ مِنْهُ فَعَاشَ بِهَا مَا عَاشَ
ثُمَّ هَرِمَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ صَيْدًا فَأَصَابَهُ جُوعٌ وَجَهْدٌ شَدِيدٌ. فَجَلَسَ
حَزِينًا يَلْتَمِسُ ٱلْحِيلَةَ فِي أَمْرِهِ فَمَرَّ بِهِ سَرَطَانٌ فَرَأَى حَالَتَهُ وَمَا هُوَ
عَلَيْهِ مِنَ ٱلْكَآبَةِ وَٱلْحُزْنِ. فَدَنَا مِنْهُ وَقَالَ لَهُ مَا لِي أَرَاكَ أَيُّهَا
ٱلطَّائِرُ هٰكَذَا حَزِينًا كَئِيبًا. قَالَ ٱلْعُلْجُومُ وَكَيْفَ لَا أَحْزَنُ وَقَدْ
كُنْتُ أَعِيشُ مِنْ صَيْدِ مَا هٰهُنَا مِنَ ٱلسَّمَكِ. وَإِنِّي رَأَيْتُ ٱلْيَوْمَ
صَيَّادَيْنِ قَدْ مَرَّا بِهٰذَا ٱلْمَكَانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ إِنَّ هٰهُنَا
سَمَكًا كَثِيرًا أَفَلَا نَصِيدُهُ أَوَّلًا. فَقَالَ ٱلْآخَرُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي
مَكَانِ كَذَا سَمَكًا أَكْثَرَ مِنْ هٰذَا ٱلسَّمَكِ فَلْنَبْدَأْ بِذٰلِكَ فَإِذَا
فَرَغْنَا مِنْهُ جِئْنَا إِلَى هٰذَا فَأَفْنَيْنَاهُ. وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُمَا إِذَا فَرَغَا
مِمَّا ثَمَّ ٱنْتَهَيَا إِلَى هٰذِهِ ٱلْأَجَمَةِ فَٱصْطَادَا مَا فِيهَا فَإِذَا كَانَ
ذٰلِكَ فَهُوَ هَلَاكِي وَنَفَادُ مُدَّتِي. فَٱنْطَلَقَ ٱلسَّرَطَانُ إِلَى جَمَاعَةِ
ٱلسَّمَكِ فَأَخْبَرَهُنَّ بِذٰلِكَ فَأَقْبَلْنَ إِلَى ٱلْعُلْجُومِ فَٱسْتَشَرْنَهُ وَقُلْنَ

١ يريد ٢ ـه

لَهُ إِنَّا أَتَيْنَاكَ لِتُشِيرَ عَلَيْنَا فَإِنَّ ذَا الْعَقْلِ لَا يَدَعُ مُشَاوَرَةَ عَدُوِّهِ وَبَقَاؤُكَ بِبَقَائِنَا. قَالَ الْعُلْجُومُ أَمَّا مُكَابَرَةُ الصَّيَّادِينَ فَلَا طَاقَةَ لِي بِهَا وَلَا أَعْلَمُ حِيلَةً إِلَّا الْمَصِيرَ إِلَى غَدِيرٍ قَرِيبٍ مِنْ هَاهُنَا فِيهِ سَمَكٌ وَمِيَاهٌ كَثِيرَةٌ وَقَصَبٌ فَإِنِ اسْتَطَعْتُنَّ الِانْتِقَالَ إِلَيْهِ كَانَ فِيهِ صَلَاحُكُنَّ وَخِصْبُكُنَّ. فَقُلْنَ لَهُ مَا يَمُنُّ عَلَيْنَا بِذَلِكَ غَيْرُكَ. فَجَعَلَ الْعُلْجُومُ يَحْمِلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَمَكَتَيْنِ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِمَا إِلَى بَعْضِ التِّلَالِ فَيَأْكُلُهُمَا. حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ جَاءَ لِأَخْذِ السَّمَكَتَيْنِ فَجَاءَهُ السَّرَطَانُ فَقَالَ لَهُ إِنِّي أَيْضًا قَدْ أَشْفَقْتُ مِنْ مَكَانِي هَذَا وَاسْتَوْحَشْتُ مِنْهُ فَاذْهَبْ بِي إِلَى ذَلِكَ الْغَدِيرِ. فَقَالَ لَهُ حُبًّا وَكَرَامَةً وَاحْتَمَلَهُ وَطَارَ بِهِ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ التَّلِّ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ السَّمَكَ فِيهِ نَظَرَ السَّرَطَانُ فَرَأَى عِظَامَ السَّمَكِ مَجْمُوعَةً هُنَاكَ فَعَلِمَ أَنَّ الْعُلْجُومَ صَاحِبُهَا وَأَنَّهُ يُرِيدُ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ إِذَا لَقِيَ الرَّجُلُ عَدُوَّهُ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي يَعْلَمُ أَنَّهُ فِيهَا هَالِكٌ سَوَاءٌ قَاتَلَ أَمْ لَمْ يُقَاتِلْ كَانَ حَقِيقًا أَنْ يُقَاتِلَ عَنْ نَفْسِهِ كَرَمًا وَحِفَاظًا وَلَا يُمَكِّنَ مِنْ نَفْسِهِ حَتَّى يَفْرُغَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْحِيلَةِ فِي قِتَالِهِ لِأَنَّهُ قَدْ بَنَى أَمْرَهُ عَلَى الظَّفَرِ فَعَلَ

١ [illegible] ٢ [illegible]

خلاصة في ذلك القتال والهلاك واقع به كيف كان. فلم يزل يحتال على العلجوم حتى تمكن من عنقه فأهوى بكلبتيه عليها فعصرها فماتت وخلص السرطان إلى جماعة السمك فأخبرهن بذلك * وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن بعض الحيلة مهلكة للمحتال ولكني أدلك على أمر إن أنت قدرت عليه كان فيه هلاك الأسود من غير أن تهلك به نفسك وتكون فيه سلامتك. قال الغراب وما ذاك. قال ابن آوى تنطلق فتتبصر في طيرانك لعلك أن تظفر بشيء من حلي النساء فتخطفه ولا تزال طائرا واقعا بحيث لا تفوت العيون فإذا رأيت الناس قد تبعوك تأتي جحر الأسود فترمي بالحلي عنده فإذا رأى الناس ذلك أخذوا حليهم وأراحوك من الأسود. فانطلق الغراب محلقا في السماء فوجد امرأة من بنات العظماء على شاطئ نهر تغتسل وقد وضعت ثيابها وحليها ناحية فانقض واختطف من حليها عقدا وطار به فتبعه الناس ولم يزل طائرا واقعا بحيث يراه كل أحد حتى انتهى إلى جحر الأسود

١ أي ماتت ٢ تخلص من حجر ٣ أي تنظر وتبحث ٤ مرتفعا ٥ وقع

وألقى العقد عليه والناس ينظرون إليه. فلما رأوا ذلك أخذوا العقد وقتلوا الأسود. وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الحيلة تجزئ ما لا تجزئ القوة. قال كليلة: إن الثور لو لم يجتمع مع شدته رأيه لكان كما تقول، ولكن له مع شدته وقوته حسن الرأي والعقل، فماذا تستطيع له. قال دمنة: إن الثور كما ذكرت في قوته ورأيه ولكنه مقر لي بالفضل، وأنا خليق أن أصرعه كما صرعت الأرنب الأسد. قال كليلة: وكيف كان ذلك

قال دمنة: زعموا أن أسدا كان في أرض كثيرة المياه والعشب، وكان في تلك الأرض من الوحوش في سعة المياه والمرعى شيء كثير، إلا أنه لم يكن ينفعها ذلك لخوفها من الأسد، فاجتمعت وأتت إلى الأسد فقالت له: إنك لتصيب منا الدابة بعد الجهد والتعب. وقد رأينا لك رأيا فيه صلاح لك وأمن لنا، فإن أنت أمنتنا ولم تخفنا فلك علينا في كل يوم دابة نرسل بها إليك في وقت غدائك. فرضي الأسد بذلك وصالح الوحوش عليه ووفين له به. ثم إن أرنبا أصابتها القرعة وصارت غداء الأسد فقالت للوحوش: إن أنتن رفقتن بي فيما لا يضركن

١ أي الملك

رجوت أن أريحكم من الأسد. فقالت الوحوش: وما الذي
تكلفينا من الأمور؟ قالت: تأمرن الذي ينطلق بي إلى الأسد
أن يمهلني[1] ريثما أبطئ عليه بعض الإبطاء. فقالوا لها: ذلك
لك. فانطلقت الأرنب متباطئة حتى جاوزت الوقت الذي
كان يتغدى فيه الأسد. ثم تقدمت إليه وحدها رويدا وقد جاع
فغضب وقام من مكانه نحوها فقال لها: من أين أقبلت؟ قالت: أنا
رسول الوحوش إليك بعثتني ومعي أرنب لك فتبعني أسد
في بعض تلك الطريق فأخذها مني وقال: أنا أولى بهذه
الأرض وما فيها من الوحش. فقلت له: إن هذا غداء[2] الملك
أرسلت به الوحوش إليه فلا تغصبنه. فسبك وشتمك فأقبلت
مسرعة لأخبرك. فقال الأسد: انطلقي معي فأريني موضع هذا
الأسد. فانطلقت الأرنب إلى جب فيه ماء غامر صاف
فاطلعت فيه وقالت: هذا المكان. فاطلع الأسد فرأى ظله
وظل الأرنب في الماء فلم يشك في قولها ووثب إلى الأسد ليقاتله
فغرق في الجب. فانقلبت الأرنب إلى الوحوش فأعلمتهن
صنيعها بالأسد. قال كليلة: إن قدرت على هلاك الثور بشيء

١ يمهلني ٢ غداء

بين يديه مضرة بالأسد فإنك فإن الثور قد ضرّ بي وبك وبغيرنا من جنده وإن أنت لم تقدر على ذلك إلا بهلاك الأسد فلا تقدم عليه فإنه عذر مني ومنك. ثم إن دمنة ترك الدخول على الأسد أياماً كثيرة ثم أتاه على خلوة منه فقال له الأسد ما حبسك عني منذ زمان لم أرك ألا لخير كان انقطاعك. قال دمنة ليكن خيراً أيها الملك قال الأسد وهل حدث أمر قال دمنة حدث ما لم يكن الملك يريده ولا أحد من جنده. قال وما ذاك قال كلام فظيع قال أخبرني به. قال دمنة إن كل كلام يكرهه سامعه لا يجسر عليه قائله وإن كان ناصحاً مشفقاً إلا إذا كان المقول له عاقلاً فإنه إذا كان كذلك احتمل القول على عمل نصيحة وعلم ما فيه من النصيحة لأن ما كان فيه من نفع فهو له وإنك أيها الملك لذو فضيلة ورأيك يدلك على أن يوجعني أن أقول ما تكره وإني واثق بك أنك تعرف نصحي وإيثاري إياك على نفسي وإنه ليعرض لي أنك غير مصدقي فيما أخبرك ولكني إذا تذكرت وتفكرت أن نفوسنا معاشر الوحوش متعلقة بك لم أجد بداً من أداء الحق الذي يلزمني وإن

أي ادعى ما تريد

أنت لم تسألني وخشيت أن لا تقبله مني فإنه يقال من كتم السلطان نصيحته والأطباء مرضه والإخوان رأيه فقد خان نفسه. قال الأسد فما ذاك. قال دمنة حدثني الأمين الصدوق عندي أن شتربة خلا برؤوس جندك وقال لهم إني قد خبرت الأسد وبلوت رأيه ومكيدته وقوته فاستبان لي أن ذلك يؤول منه إلى ضعف وعجز وسيكون لي وله شأن من الشؤون. فلما بلغني ذلك علمت أن شتربة خوان غدار وأنك أكرمته الكرامة كلها وجعلته نظير نفسك وهو يظن أنه مثلك وأنك متى زلت عن مكانك كان له ملكك ولا يدع جهداً إلا بلغه فيك وقد كان يقال إذا عرف الملك من الرجل أنه قد ساواه في المنزلة والحال فليصرعه وإن لم يفعل به ذلك كان هو المصروع. وشتربة أعلم بالأمور وأبلغ فيها والعاقل هو الذي يحتال للأمر قبل تمامه ووقوعه فإنك لا تأمن أن يكون ولا تستدركه. فإنه يقال الرجال ثلاثة حازم وأحزم منه وعاجز. فأحد الحازمين من إذا نزل به الأمر لم يدهش له ولم يذهب قلبه شعاعاً[1] ولم تعي به حيلته ومكيدته التي يرجو

[1] يرجع — آسفاً وحيرة كآبة من شدة الخوف

بها أن تخرج منه. وأحزم من هذا المقدام ذو العدة الذي يعرف الابتلاء قبل وقوعه فيعظمه إعظاما ويحتال له حيلة حتى كأنه قد لزمه فيحسم الداء قبل أن يبتلى به ويدفع الأمر قبل وقوعه. وأما العاجز فهو في تردد وتمن وتوان حتى يهلك. ومن أمثال ذلك مثل السمكات الثلاث. قال الأسد وكيف كان ذلك

قال دمنة زعموا أن غديرا كان فيه ثلاث من السمك كيسة وأكيس منها وعاجزة. وكان ذلك الغدير بنجوة من الأرض لا يكاد يقربه أحد وبقربه نهر جار. فاتفق أنه اجتاز بذلك النهر صيادان فأبصرا الغدير فتواعدا أن يرجعا إليه بشباكهما فيصيدا ما فيه من السمك. فسمع السمكات قولهما فأما أكيسهن فلما سمعت قولهما ارتابت بهما وتخوفت منهما فلم تعرج على شيء حتى خرجت من المكان الذي يدخل فيه الماء من النهر إلى الغدير فنجت بنفسها. وأما الكيسة الأخرى فإنها مكثت مكانها وتهاونت في الأمر حتى جاء الصيادان. فلما رأتهما وعرفت ما يريدان ذهبت لتخرج من

يحري أكثر الأمر ٢ حاذقين ٣ ما ارتفع من الأرض ٤ لم تنعطف وتعرج

حيثُ تدخلُ [illegible] دارِ أبيها فقد [illegible] لك أنّه [illegible]
قالت فرصتُ وهذهِ عاقبةُ التفريطِ فكيفَ نخبرُه عن هذهِ
الحالِ وقصّةِ [illegible] حيلة [illegible] الأرض [illegible] العاقلُ
يقنطُ من منفعِ الرأيِ ولا ييأسُ على حالٍ ولا يدعُ الرأيَ
والجهدَ ثمّ [illegible] حتى [illegible] على
[illegible] عن [illegible] الصدر [illegible]
[illegible] في الأرض [illegible] أمير [illegible]
[illegible]
قال الأسد قد [illegible] ذلك [illegible]
[illegible]
خير [illegible] ولا [illegible] قال دمنة [illegible]
أيها الملك [illegible] على [illegible] أكرمت [illegible]
إياه كل [illegible] حلاوة [illegible] منتفع [illegible] الندم
يزال [illegible] حتى [illegible] في [illegible] أهل [illegible]
تلقفها [illegible] إلى [illegible] ولا سيما أهل الخيانة والفجور

[illegible]

فإن اللئيم الأحمق لا يخدم السلطان ولا ينصح له إلا من فرق
وحاجة فإذا استغنى وذهبت الهيبة والحاجة عاد إلى جوهره
كذنب الكلب الذي يربط ليستقيم فلا يزال مستويًا ما دام
مربوطًا فإذا حُلّ انحنى وتعوّج كما كان. واعلم أيها الملك
أنه من لم يقبل من نصحائه ما يثقل عليه مما ينصحون له لم يحمد
رأيه كالمريض الذي يدع ما ينعت له الطبيب ويعمد
إلى ما يشتهيه. وحق على مؤازر السلطان أن يبالغ في
التحضيض له على ما يزيد سلطانه قوة ويزينه والكف عما
يضره ويشينه. وخير الإخوان والأعوان أقلهم مداهنة في
النصيحة وخير الأعمال أحمدها عاقبة وخير النساء الموافقة
لبعلها وخير الثناء ما كان على أفواه الأخيار وأشرف الملوك
من لا يخالطه بطر ولا يستكبر عن قبول النصيحة وخير الأخلاق
أعونها على الورع. وقد قيل لو أن امرأ توسد النار وافترش
الحيات كان أحق أن يهنئه النوم ممن يحس من صاحبه
بعداوة يريده بها ويطمئن إليه. وأعجز الملوك آخذهم بالهوينا

وأقلّهم نظرًا في مستقبل الأمور وأشبههم بالعليل الهائج الذي لا يلتفت إلى شيء فإن آخرة أمر المتهاون به وإن ضاع الأمور حمل ذلك على قرنائه. قال الأسد لقد أغلظت في القول وقول الناصح مقبول محمول. وإن كان شتربة معاديًا لي كما تقول فإنه لا يستطيع أن يضرّني ولا أن يبثّ في ساعدي وكيف يقدر على ذلك وهو آكل عشب وأنا آكل لحم وإنما هو لي طعام وليس عليّ منه مخافة ثم ليس إلى الغدر به سبيل بعد الأمان الذي جعلته له وبعد إكرامي له وثنائي عليه وإن غيّرت ما كان مني وبدّلته فقد سفّهت رأيي وجهّلت نفسي وغدرت بذمّتي ونقضت عهدي. قال دمنة لا يغرّنك قولك هو لي طعام وليس عليّ منه مخافة فإن شتربة إن لم يستطعك بنفسه احتال لك من قبل غيره. ويقال إن استضافك ضيف ساعة من نهار وأنت لا تعرف أخلاقه فلا تأمنه على نفسك ولا تأمن أن يصلك منه أو بسببه ما أصاب القملة من البرغوث. قال الأسد وكيف كان ذلك

١ نصحي ٢ نسخة ن نعمه ٣ ... أي الجبن ٤ عهدي وحرمتي

قال دمنة زعموا أن قملة لزمت فراش رجل من الأغنياء دهرا فكانت تصيب من دمه وهو نائم لا يشعر وتدب دبيبا رفيقا فمكثت كذلك حينا حتى استضافها ليلة من الليالي برغوث فقالت له بت الليلة عندنا في دم طيب وفراش لين فأقام البرغوث عندها حتى إذا أوى الرجل إلى فراشه وثب عليه البرغوث فلدغه لدغة أيقظته وأطار النوم عنه فقام الرجل وأمر أن يفتش فراشه فنظر فلم ير إلا القملة فأخذت فقصعت وفر البرغوث وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن صاحب الشر لا يسلم من شره أحد وإن كان هو ضعيفا عن ذلك جاءه الشر من قبل غيره وإن كنت لا تخاف من شتربة فخف غيره من جندك الذين قد حملهم عليك وعلى عداوتك فوقع في نفس الأسد كلام دمنة فقال فما الذي ترى إذن وبماذا تشير قال دمنة إن الضرس المأكول لا يزال صاحبه منه في ألم وأذى حتى يقلعه والطعام الذي قد عفن في البطن الراحة في قذفه والعدو المخوف دواؤه قتله قال الأسد لقد تركتني أكره مجاورة شتربة وأنا مرسل إليه

١ قصعت قتلت ٢ [illegible] ٣ المخوف

أو ذكرتُ له ما وقع في نفسي منه ثم أمرته بالخاق حيث أحبّ
وكره دمنة ذلك وعلم أن الأسد متى كلّم شتربة في ذلك
وسمع منه حجة عرف باطل ما أتى به واطّلع على غدره وكذبه
ولم يخفَ عليه أمره. فقال للأسد أمّا إرسالك إلى شتربة
فلا أراه لك رأيًا ولا حزمًا فلينظر الملك في ذلك فإنه لا
يزال لك في نفسك الخيار ما دام لا يعلم بأنّ أمره قد وصل
إلى الملك وإنه متى علم ذلك خفتُ أن يعاجل الملك بالمكابرة
وهو إن قاتلك قاتلك مستعدًّا وإن فارقك فارقك فراقًا
يلحقك منه النقص ويلزمك منه العار مع أن ذوي الرأي
من الملوك لا يعلنون عقوبة من لم يعلن ذنبه ولكن لكلّ
ذنب عندهم عقوبة فلذنب العلانية عقوبة العلانية ولذنب
السرّ عقوبة السرّ. قال الأسد إنّ الملك إذا عاقب أحدًا عن
ظنّة ظنّها من غير تيقّن بجرمه فنفسه عاقب وإيّاها ظلم
وكان نقص البصير. قال دمنة أمّا إذا كان هذا رأي الملك
فلا يدخلنّ عليك شتربة إلّا وأنت مستعدّ له وإيّاك أن
تصيبك منه غرّة أو غفلة فإنّي لا أحسب الملك حين

يَدْخُلُ عَلَيْهِ الأَسَدُ فَسَيَعْرِفُ أَنَّهُ قَدْ هَمَّ بِمَعْصِيَتِهِ . وَمِنْ عَلاماتِ ذٰلِكَ
أَنَّكَ تَرَى هَيْئَتَهُ مُتَغَيِّرَةً وَتَرَى أَوْصالَهُ تَرْعَدُ وَتَراهُ مُلْتَفِتًا يَمِينًا
وَشِمالًا وَتَراهُ يُصَوِّبُ قَرْنَيْهِ فِعْلَ الَّذِي هَمَّ بِالنِّطاحِ وَالْقِتالِ
قالَ الأَسَدُ سَأَكُونُ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ وَإِنْ رَأَيْتُ مِنْهُ ما يَدُلُّ عَلَى ما
ذَكَرْتَ عَلِمْتُ أَنْ ما فِي أَمْرِهِ شَكٌّ * فَلَمَّا فَرَغَ دِمْنَةُ مِنْ
تَحْرِيشِ الأَسَدِ عَلَى الثَّوْرِ وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ ما كانَ
يَلْتَمِسُ وَأَنَّ الأَسَدَ سَيَحْذَرُ مِنَ الثَّوْرِ وَيَتَهَيَّأُ لَهُ أَرادَ أَنْ يَأْتِيَ
الثَّوْرَ لِيُغْرِيَهُ بِالأَسَدِ وَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِتْيانُهُ مِنْ قِبَلِ الأَسَدِ
مَخافَةَ أَنْ يَبْلُغَهُ ذٰلِكَ فَيَتَأَذَّى بِهِ فَقالَ يا أَيُّها الْمَلِكُ أَلا آتِي
شَتْرَبَةَ فَأَنْظُرَ إِلَى حالِهِ وَأَمْرِهِ وَأَسْمَعَ كَلامَهُ لَعَلِّي أَنْ أَطَّلِعَ عَلَى
سِرِّهِ فَأُطْلِعَ الْمَلِكَ عَلَى ذٰلِكَ وَعَلَى ما يَظْهَرُ لِي مِنْهُ فَأَذِنَ لَهُ
الأَسَدُ فِي ذٰلِكَ فَانْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى شَتْرَبَةَ كَالْكَئِيبِ الْحَزِينِ
فَلَمَّا رَآهُ الثَّوْرُ رَحَّبَ بِهِ وَقالَ ما كانَ سَبَبُ انْقِطاعِكَ عَنِّي
فَإِنِّي لَمْ أَرَكَ مُنْذُ أَيَّامٍ أَلِسَلامَةٍ غِبْتَ . قالَ دِمْنَةُ وَمَتَى كانَ مِنْ
أَهْلِ السَّلامَةِ مَنْ لا يَمْلِكُ نَفْسَهُ وَأَمْرُهُ بِيَدِ غَيْرِهِ مِمَّنْ لا يُوثَقُ بِهِ
وَلا يَزالُ عَلَى خَطَرٍ وَخَوْفٍ حَتَّى ما مِنْ ساعَةٍ تَمُرُّ وَهُوَ آمِنٌ فِيها

١ معصية ٢ ترعد ٣ يوجّه ٤ تحريشه تنبيهه ٥ [illegible]

عَلَى نَفْسِهِ. قَالَ شَتْرَبَةُ: وَمَا الَّذِي حَدَثَ؟ قَالَ دِمْنَةُ: حَدَثَ
مَا قُدِّرَ وَهُوَ كَائِنٌ. وَمَنْ ذَا الَّذِي عَايَنَ الْغَرَرَ، وَمَنْ ذَا الَّذِي بَلَغَ
مِنَ الدُّنْيَا جَسِيمًا مِنَ الْأَمْرِ فَلَمْ يَبْطَرْ، وَمَنْ ذَا الَّذِي بَلَغَ مُنَاهُ فَلَمْ
يَغْتَرَّ، وَمَنْ ذَا الَّذِي تَبِعَ هَوَاهُ فَلَمْ يَخْسَرْ، وَمَنْ ذَا الَّذِي حَادَثَ
النِّسَاءَ فَلَمْ يُفْتَتَنْ، وَمَنْ ذَا الَّذِي طَلَبَ مِنَ اللِّئَامِ فَلَمْ يُحْرَمْ،
وَمَنْ ذَا الَّذِي خَالَطَ الْأَشْرَارَ فَسَلِمَ، وَمَنْ ذَا الَّذِي صَحِبَ
السُّلْطَانَ فَدَامَ لَهُ مِنْهُ الْأَمْنُ وَالْإِحْسَانُ. وَلَقَدْ صَدَقَ الَّذِي
قَالَ: مَثَلُ السَّلَاطِينِ فِي قِلَّةِ وَفَائِهِمْ لِمَنْ صَحِبَهُمْ وَسَخَاءِ
أَنْفُسِهِمْ عَمَّنْ فَقَدُوا مِنْ قُرَنَائِهِمْ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْخَانِ كُلَّمَا
فَقَدَ وَاحِدًا جَاءَ آخَرُ. قَالَ شَتْرَبَةُ: إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ كَلَامًا يَدُلُّ
عَلَى أَنَّهُ قَدْ رَابَكَ مِنَ الْأَسَدِ رَيْبٌ وَهَالَكَ مِنْهُ أَمْرٌ. قَالَ دِمْنَةُ:
أَجَلْ قَدْ رَابَنِي مِنْهُ ذَلِكَ وَلَيْسَ هُوَ فِي أَمْرِ نَفْسِي. قَالَ شَتْرَبَةُ:
فَفِي نَفْسِ مَنْ رَابَكَ؟ قَالَ دِمْنَةُ: قَدْ تَعْلَمُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَتَعْلَمُ
حَقَّكَ عَلَيَّ وَمَا كُنْتُ جَعَلْتُ لَكَ مِنَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ أَيَّامَ
أَرْسَلَنِي[١] الْأَسَدُ إِلَيْكَ، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ حِفْظِكَ وَإِطْلَاعِكَ
عَلَى مَا اطَّلَعْتُ عَلَيْهِ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْهُ. قَالَ شَتْرَبَةُ: وَمَا

[١] أرسلني

الذي أعلمك فيه دمنة حدثني بخبر الصدوق الذي لا مرية
في قوله أن الأسد قال لبعض أصحابه وجلسائه قد أعجبني
سمن الثور وليس بي إلى حياته حاجة فأنا آكله ومطعم
أصحابي من لحمه فلما سمعت هذا القول وعرفت غدره وسوء
عهده أقبلت إليك لأقضي حقك وتحتال أنت لأمرك فلما
سمع شتربة كلام دمنة وتذكر ما كان دمنة جعل له من العهد
والميثاق وفكر في أمر الأسد ظن أن دمنة قد صدقه ونصح له
ورأى أن الأمر شبيه بما قال دمنة فأهمه ذلك وقال ما
كان للأسد أن يغدر بي ولم آت إليه ذنبا ولا إلى أحد من
جنده منذ صحبته ولا أظن الأسد إلا قد حمل علي بالكذب
وشبه عليه أمري فإن الأسد قد صحبه قوم سوء وجرب
منهم الكذب وأمور تصدق إذا بلغته عن غيرهم فإن صحبة
الأشرار ربما أورثت صاحبها سوء ظن بالأخيار وحملته ما
جربه منهم على الخطأ في حق غيرهم كخطأ البطة التي
زعموا أنها رأت في الماء ضوء كوكب فظنته سمكة
فحاولت أن تصيدها فلما جربت ذلك مرارا علمت أنه

١ ذلك ٢ م ادس به ٣ جـ

من شيء يصادفه فتركته ثم رأت من غد ذلك اليوم سمكة فظنت أنها مثل الذي رأته بالأمس فتركتها ولم تطلب صيدها. فإن كان الأسد قد بلغه عني كذب فصدقه علي وسمعه فيّ فما جرى على غيري يجري علي. وإن كان لم يبلغه شيء وأراد السوء بي من غير علة فإن ذلك لمن عجب الأمور. وقد كان يقال إن من العجب أن يطلب الرجل رضى صاحبه ولا يرضى. وأعجب من ذلك أن يلتمس رضاه فيسخط. فإذا كانت الموجدة عن علة كان الرضى موجودا والعفو مأمولا. وإذا كانت عن غير علة انقطع الرجاء لأن العلة إذا كانت الموجدة في ورودها كان الرضى مأمولا في صدورها. وقد نظرت فلا أعلم بيني وبين الأسد جرما ولا كبير ذنب ولا صغيره. ولعمري لا يستطيع أحد طال صحبته صاحبه أن يحترس في كل شيء من أمره ولا أن يتحفظ من أن يكون منه كبيرة أو صغيرة يكرهها صاحبه. ولكن الرجل ذا العقل والوفاء إذا سقط عنده صاحبه سقطة نظر فيها وعرف قدر مبلغ خطائه عمدا كان أو خطأ ثم ينظر هل في الصفح عنه

١ يحصي ٢ أعمر بعلة ٣ خلاف وروده

أو يخاف ضررهُ وشينهُ فلا يجد صاحبهُ بشيءٍ يجد فيه إلى صلحهِ سبيلا. فإن كان الأسد قد حقد عليّ ذنباً فلستُ أعلمهُ إلا أني خالفتهُ في بعض رأيه نظراً مني ونصيحة له فلعله أن يكون قد نزّل أمري على جرأة عليه ومخالفة له ولا أجد لي في هذا المحضر إثماً لأني لم أخالفهُ في شيء إلا ما قد ندر منه مخالفته الرشد والمنفعة والدين ولم أجاهر بشيء من ذلك على رؤوس جنده وعند أصحابه ولكن كنت أخلو به وأكلمهُ سراً كلام الهائب الموقّر. وعلمتُ أنه من التمس الرخص من الإخوان عند المشاورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة أخطأ منافع الرأي وازداد فيما وقع فيه من ذلك تورطاً وحمل الوزر. وإن لم يكن هذا فلعله أن يكون ذلك من بعض سكرات السلطان فإن صحبة السلطان خطرة وإن صوحب بالسلامة والثقة والمودة وحسن الصحبة فربما عثر مصاحبهُ عثرة فلا ينتعش ولا تقال عثرته وإن لم يكن هذا فبعض ما أوتيتُ من الفضل قد جعل لي فيه

١ مكان المحضور ٢ ذنباً ٣ الهدى ٤ جمع رخصة وهي اليسر والتسهيل ٥ دخولا في الورطة وهي الهلاك ٦ الإثم ٧ يرتفع من سقطته

مُهلكاتٌ وبعضُ محاسنِ آفةُ صاحبِها فإنَّ الشجرةَ الحميدةَ الثمرِ ربّما كانَ داؤها في حملِها فتلوى أغصانُها وتُهصرُ أطرافُها حتى تنكسرَ والطاووسَ الذي ذنبُهُ فضلةُ سببُ قتلِهِ والفرسَ المطهَّمَ يُجرى زمنًا راكبُهُ حتى ينقطعَ والبلبلَ لحسنِ الصوتِ يُحبسُ دونَ غيرِهِ من الطيرِ وإنْ لم يكنْ هذا ولا هذا فهو إذنْ من موقعِ القضاءِ والقدرِ الذي لا يُدفعُ والقدرُ هو الذي يسلبُ الأسدَ قوّتَهُ وشدّتَهُ ويُدخلُهُ القبرَ وهو الذي يحملُ الرجلَ الضعيفَ على ظهرِ الفيلِ الهائجِ وهو الذي يُسلّطُ على الحيّةِ ذاتِ الحُمةِ مَن ينزعُ حُمتَها ويلعبُ بها وهو الذي يُصيّرُ العاجزَ حازمًا ويُخطّ الشهمَ مضايقَ ويوسّعُ على المقترِ ويُشجّعُ الجبانَ ويُجبّنُ الشجاعَ عندما تعتريهِ المقاديرُ بالعللِ التي أُسّستْ عليها * فقالَ دمنةُ إنَّ إرادةَ الأسدِ بكَ ليستْ من تحريشِ الأشرارِ ولا سكرةِ السلطانِ ولا تغيُّرِ ذلكَ ولكنّها الغدرُ والفجورُ منهُ فإنّهُ فاجرٌ خوّانٌ غدّارٌ لطعامِهِ حلاوةٌ

١ جمد وحامد ٢ بجره ٣ مختبس ٤ كسر مجرى ٥ يعوق
٦ الاسد ٧ نحسة ٨ حمد ثقة

وآخره سم مميت. قال شتربة: إني قد استلذذت حلاوة الدنيا وذقتها وقد انتهت بي إلى آخرها الذي فيه الموت. ولولا الحين ما كان مقامي عند الأسد وهو آكل لحم وأنا آكل عشب. فأنا في هذه الورطة كالنحلة التي تجلس على نور النيلوفر إذ تستلذ ريحه وطعمه فتحبسها تلك اللذة عن الحين الذي ينبغي أن تطير فيه فإذا جاء الليل ينضم عليها فترتبك فيه وتموت. ومن لم يرض من الدنيا بالكفاف الذي يغنيه وطمحت عينه إلى ما سوى ذلك ولم يتخوف عاقبته كان كالذباب الذي لا يرضى بالشجر والرياحين ولا يقنعه ذلك حتى يطلب الماء الذي يسيل من أذن الفيل فيضربه الفيل بأذنه فيهلكه. ومن يبذل وده ونصيحته لمن لا يشكره فهو كمن يبذر في السباخ. ومن يشير على المعجب فهو كمن يشاور الميت ويسار الأصم. قال دمنة: دع عنك هذا الكلام واحتل لنفسك. قال شتربة: بأي شيء أحتال لنفسي إذا أراد الأسد أكلي مع ما عرفتني من رأي الأسد وسوء أخلاقه. واعلم أنه

[illegible]
[illegible]

ولو لم يؤذني الأسد لأراد أصحابه بمكرهم وفجورهم هلاكي ولقدروا على ذلك فإنه إذا اجتمع المكرة الظلمة على البريء الصالح كانوا خلقاء أن يهلكوه وإن كانوا ضعفاء وهو قوي كما أهلك الذئب والغراب وابن آوى الجمل حين اجتمعوا عليه بالمكر والخديعة والخيانة. قال دمنة وكيف كان ذلك

قال شتربة زعموا أن أسدا كان في أجمة مجاورة لطريق من طرق الناس وكان له أصحاب ثلاثة ذئب وغراب وابن آوى وأن رعاة مروا بذلك الطريق ومعهم جمال فتخلف منها جمل فدخل تلك الأجمة حتى انتهى إلى الأسد فقال له الأسد من أين أقبلت قال من موضع كذا قال فما حاجتك. قال ما يأمرني به الملك قال تقيم عندنا في السعة والأمن والخصب فأقام الأسد والجمل معه زمانا طويلا ثم إن الأسد مضى في بعض الأيام لطلب الصيد فلقي فيلا عظيما فقاتله قتالا شديدا وأفلت منه مثقلا بالجراح يسيل منه الدم وقد خدشه الفيل بأنيابه فلما وصل إلى مكانه وقع لا يستطيع حراكا ولا يقدر على طلب الصيد. فلبث الذئب

١ جمع ماكر ٢ جمع ظالم ٣ جدير

والغراب وابن آوى بما لا يجدون طعاماً لأنهم كانوا يأكلون
من فضلات الأسد وطعامه فأصابهم وأصابه جوع شديد
وهزال وعرف الأسد منهم ذلك فقال لقد جهدتم واحتجتم
إلى ما تأكلون فقالوا لا تهمنا أنفسنا لكنا نرى الملك على
ما نرى فليتنا نجد ما يأكله ويصلحه قال الأسد ما أشك في
نصيحتكم ولكن انتشروا لعلكم تصيبون صيداً تأتوني به فيصيبني
ويصيبكم منه رزق. فخرج الذئب والغراب وابن آوى من عند
الأسد فتنحوا ناحية وائتمروا فيما بينهم وقالوا ما لنا ولهذا الآكل
العشب الذي ليس شأنه من شأننا ولا رأيه من رأينا الا نزين
للأسد فيأكله ويطعمنا من لحمه قال ابن آوى هذا مما لا
نستطيع ذكره للأسد لأنه قد أمن الجمل وجعل له من ذمته
قال الغراب أنا أكفيكم أمر الأسد ثم انطلق فدخل عليه
فقال له الأسد هل أصبت شيئاً. قال الغراب إنما
يصيب من يسعى ويبصر. وأما نحن فلا سعي لنا ولا بصر بنا
من الجوع ولكن قد وفقنا إلى أمر واجتمعنا عليه إن وافقنا
الملك فنحن له مجيبون قال الأسد وما ذاك. قال الغراب هذا

١ نقص انفس ٢ تشاوروا ٣ عهد ٤ جهد

الجملُ آكلُ العشب شرُّهُ يسيرٌ من غير منفعةٍ بمنفعة
ولا رَدِّ عائدةٍ ولا عملٍ يُعقبُ مصلحةً فلما سمع الأسدُ ذلك
غضبَ وقال ما أخطأ رأيَكَ وما أعجزَ مقالَكَ وأبعدكَ عن
الوفاءِ والرحمةِ وما كنتَ حقيقًا أن تجترئَ عليَّ بهذه المقالة
وتستقبلني بهذا الخطاب مع ما علمتَ من أني قد أمَّنتُ الجملَ
وجعلتُ له من ذمتي أوَلم يبلغك أنه لم يتصدق متصدقٌ
بصدقةٍ هي أعظمُ أجرًا ممن أمَّن نفسًا خائفةً وحقن دمًا مهدورًا
وقد أمّنتُهُ ولستُ بغادرٍ به ولا خافرٍ له ذمة قال الغرابُ إني
لأعرفُ ما يقول الملكُ ولكنّ النفسَ الواحدة يُفتدى بها أهلُ
البيتِ وأهلُ البيت تُفتدى بهم القبيلةُ والقبيلة يُفتدى بها أهلُ
المِصرِ وأهلُ المصرِ فِدى الملكِ وقد نزلت بالملك الحاجةُ
وأنا أجعلُ له من ذمته مخرجًا على أن لا يتكلّف الملكُ ذلك ولا
يليَهُ بنفسه ولا يأمرَ به أحدًا ولكنا نحتالُ بحيلةٍ لنا وله فيها
صلاحٌ وظفرٌ فسكت الأسدُ عن جواب الغرابِ عن هذا
الخطاب فلما عرفَ الغرابُ إقرارَ الأسدِ أتى صاحبيهِ فقال
لهما قد كلّمتُ الأسدَ في أكلِهِ الجملَ على أن نجتمعَ نحن والجملُ

١ يعني منفعة ٢ سبب؟ ٣ بمصر ٤ ...

عند الأسد فنذكر ما أصابه ونتوجع له اهتمامًا منا بأمره وحرصًا
على صلاحه ويعرض كل واحد منا نفسه عليه تجملًا ليأكله
فيرد الآخرون عليه ويسفهون رأيه ويبينون الضرر في أكله
وإذا حدث به الجمل صوبنا رأيه فهلك وسلمنا كلنا ورضي
الأسد عنا. ففعلوا ذلك وتقدموا إلى الأسد فقال الغراب قد
احتجت أيها الملك إلى ما يقوتك ونحن أحق أن نهب أنفسنا
لك فإنا بك نعيش فإذا هلكت فليس لأحد منا بقاء بعدك
ولا لنا في الحياة من خير فليأكلني الملك فقد طبت بذلك
نفسًا فأجابه الذئب وابن آوى أن اسكت فلا خير للملك
في أكلك وليس فيك شبع فقال ابن آوى لكن أنا أشبع
الملك فليأكلني فقد رضيت بذلك وطبت عنه نفسًا فرد
عليه الذئب والغراب بقولهما إنك لمنتن قذر قال
الذئب إني لست كذلك فليأكلني الملك فقد سمحت
بذلك وطابت به نفسي فاعترضه الغراب وابن آوى وقالا
قد قالت الأطباء من أراد قتل نفسه فليأكل لحم ذئب *
فظن الجمل أنه إذا عرض نفسه على الأكل التمسوا له عذرًا

[illegible]

كما أشار بعضهم ببعض الأعذار فيسلم ويرضى الأسد عنه
بذلك وينجو من المهالك. فقال الجمل: أنا في سبيلك شبعٌ وريٌّ
ولحمي طيبٌ هنيءٌ وبطني نظيفٌ فليأكلني الملك ويطعم
أصحابه وخدمه فقد رضيتُ بذلك وطابت نفسي به
فقال الذئب وابن آوى والغراب: لقد صدق الجمل وكرم
وقال ما عرف. ثم إنهم وثبوا عليه فمزّقوه * وإنما ضربت
لك هذا المثل لتعلم أنه إن كان أصحاب الأسد قد اجتمعوا
على هلاكي فإني لستُ أقدر أن أمتنع منهم ولا أحترس وإن
كان رأي الأسد لي على غير ما هم عليه من الرأي فإن ذلك
لا ينفعني ولا يغني عني شيئاً وقد يقال: خير السلاطين من شبه
النسر وحوله الجيف لا من شبه الجيفة وحولها النسور ولو
أن الأسد لم يكن في نفسه لي إلا الخير والرحمة لغيّرته كثرة
الأقاويل فإنها إذا كثرت لم تكفّ دون أن تذهب الرقة
والرأفة ألا ترى أن الماء ليس كالقول وأن الحجر أشدّ من
الإنسان ولكنه إذا دام تحدّره على الحجر لم يزل به حتى يثقبه
ويؤثّر فيه وكذلك القول في الإنسان. قال دمنة فماذا

[...]ن نصنع الآن. قال شتربة: ما أرى إلا الاجتهاد ومجاهدة القتال، فإنه ليس للمصلي في صلاته ولا للمتصدق في صدقته ولا للورع في ورعه من الأجر ما للمجاهد عن نفسه إذا كانت مجاهدته على الحق. قال دمنة: لا ينبغي لأحد أن يخاطر بنفسه وهو يستطيع غير ذلك، ولكن ذا الرأي جاعل القتال آخر الحيل، وبادئ قبل ذلك بما استطاع من رفق وتمحل. وقد قيل: لا تحقرن العدو الضعيف المهين، ولا سيما إذا كان ذا حيلة ويقدر على الأعوان، فكيف بالأسد على جراءته وشدته، فإن من حقر عدوه لضعفه أصابه ما أصاب وكيل البحر من الطيطوى.

قال شتربة: وكيف كان ذلك؟

قال دمنة: زعموا أن طائرا من طيور البحر يقال له الطيطوى كان وطنه على ساحل البحر ومعه زوجة له، فلما جاء أوان فرخهما قالت الأنثى للذكر: لو التمسنا مكانا حريزا أبعد لنفرخ فيه، فإني أخاف من وكيل البحر إذا مد الماء أن يذهب بفراخنا. فقال لها: ما أراه يجيل علينا، فإن وكيل البحر يخاف أن أنتقم منه، فافرخي في مكانك فإنه موافق لنا، والماء والزهر منا قريب.

[illegible]

قالت له: يا [illegible] ما [illegible] [illegible] ذكر وتهدده

[illegible] وقد [illegible] من الأصدقاء

[illegible] كثرت [illegible]

قالت له: إن من لم يسمع قول [illegible]

حين [illegible] قول الناصحين [illegible] ذلك

قالت الأنثى: زعموا أن غديرا كان عنده عشب وكان

فيه بطتان وكان في الغدير سلحفاة بينها وبين البطتين مودة

وصداقة فاتفق أن غيض ذلك الماء فجاءت البطتان لوداع

السلحفاة وقالتا: السلام عليك فإننا ذاهبتان عن هذا المكان

لأجل نقصان الماء عنه. فقالت: إنما يبين نقصان الماء على

مثلي فإني كالسفينة لا أقدر على العيش إلا بالماء فأما

أنتما فتقدران على العيش حيث كنتما فاذهبا بي معكما.

قالتا: نعم. قالت: كيف السبيل إلى حملي؟ قالتا: نأخذ بطرفي

عود وتتعلقين بوسطه ونطير بك في الجو وإياك إذا

سمعت الناس يتكلمون أن تنطقي. ثم أخذتاها فطارتا بها

في الجو فقال الناس: عجب سلحفاة بين بطتين قد حملتاها

[illegible]

فلما سمعت ذلك قالت فقال الله أعلمكم أيها الناس . فلما
فتحت فاها بالنطق وقعت على الأرض فماتت . قال الذكر
قد سمعت مقالتك فلا تخافي وكيل البحر . فلما مدّ الماء دنا
وكيل البحر فذهب بفرخيهما . فقالت الأنثى قد عرفت في بدء
الأمر أن هذا كائن وما أصابنا إنما هو بتفريطك . قال الذكر
قد قلت ما قلت وأنا على قولي وسوف ترين صنعي به وانتقامي
منه . ثم مضى إلى جماعة الطير فقال لهن إنكن أخواتي وثقاتي
وعدتي . فقلن ماذا تريد أن نفعل . قال تجتمعن وتذهبن معي
إلى سائر الطير فنشكو إليهن ما لقيت من وكيل البحر ونقول
لهن إنكن طير مثله . فأجبنه فقالت له جماعة الطير إن العنقاء[1]
بنت الريح هي سيدتنا وملكتنا فاذهب بنا إليها حتى نصيح بها
فتظهر لنا فنشكو إليها ما نالك من وكيل البحر ونسألها أن تنتقم
لنا منه بقوة ملكها . ثم إنهن ذهبن إليها مع الطيطوى فاستغثنها
وصحن بها فتراءت لهن فأخبرنها بقصتهن وسألنها أن تطير
معهن إلى محاربة وكيل البحر فأجابتهن إلى ذلك فلما علم
وكيل البحر أن العنقاء قد قصدته في جماعة الطير خاف من

١ طيري اعانتي في صحبتها

محاربة ملك لا طاقة له به. فقد فرح الطيطوى وصاحبته ورجعت العنقاء عنهم. وإنما حدثتك بهذا الحديث لتعلم أن القتال مع الأسد لا أرى لك رأيًا. قال شتربة فما أنا بمقاتل الأسد ولا ناصب له العداوة سرًّا ولا علانية ولا متغير له عما كنت عليه حتى يبدو لي منه ما أتخوف فأغالبه. فكره دمنة قوله وعلم أن الأسد إن لم ير من الثور العلامات التي كان ذكرها له اتهمه وأساء به الظن. فقال لشتربة اذهب إلى الأسد فستعرف حين ينظر إليك ما يريد منك. قال شتربة وكيف أعرف ذلك قال دمنة سترى الأسد حين تدخل عليه مقعيًا على ذنبه رافعًا صدره إليك مادًّا بصره نحوك قد صرّ أذنيه وفغر فاه واستوى للوثبة. قال إن رأيت هذه العلامات من الأسد عرفت صدقك في قولك * ثم إن دمنة لما فرغ من تحريش الأسد على الثور والثور على الأسد توجه إلى كليلة. فلما التقيا قال كليلة إلام انتهى عملك الذي كنت فيه. قال دمنة قريب من الفراغ على ما أحب وتحب. ثم إن كليلة ودمنة انطلقا جميعًا ليحضرا قتال الأسد والثور وينظرا ما يجري بينهما

١ جالسًا على ذنبه ناصبًا يديه [illegible] . ٢ نصب

وما يؤول إليه أمرهما وجاء شتربة فدخل على الأسد فرآه مقعيا كما وصفه له دمنة فقال ما صاحب السلطان إلا كصاحب الحية التي في صدره لا يدري متى تهيج عليه ثم إن الأسد نظر إلى الثور فرأى الدلالات التي ذكرها له دمنة فلم يشك أنه جاء لقتاله فواثبه ونشأت بينهما حرب واشتد قتال الثور والأسد وطال وسالت بينهما الدماء. فلما رأى كليلة أن الأسد قد بلغ من القتال ما بلغ قال لدمنة أيها الفسل ما أنكر جهلك وأسوأ عاقبتك في تدبيرك قال دمنة وما ذاك. قال كليلة جرح الأسد وهلك الثور وإن أخرق الخرق من حمل صاحبه على سوء الخلق والمبارزة والقتال وهو يجد إلى غير ذلك سبيلا وإنما الرجل إذا أمكنته الفرصة من عدوه يتركه مخافة التعرض له بالمجاهرة ورجاء أن يقدر عليه بدون ذلك. وإن العاقل يدبر الأشياء ويقيسها قبل مباشرتها فما رجا أن يتم له منها أقدم عليه وما خاف أن يتعذر عليه منها انحرف عنه ولم يلتفت إليه وإني لأخاف عليك عاقبة بغيك هذا فإنك قد أحسنت القول ولم تحسن العمل. أين معاهدتك إياي أنك

١ الدني في مروءته ٢ أقبح ٣ جمع خرق وهو الضعيف الرأي ٤ [illegible]

لا تضر بالأسد في تدبيرك. وقد قيل لا خير في القول إلا مع
العمل ولا في الفقه إلا مع الورع ولا في الصدقة إلا مع النية
ولا في المال إلا مع الجود ولا في الصديق إلا مع الوفاء ولا في
الحياة إلا مع الصحة ولا في الأمن إلا مع السرور وقد شرطت
أمراً لا يقدر عليه إلا العاقل الرفيق واعلم أن الأدب يذهب
عن العاقل الطيش ويزيد الأحمق طيشاً كما أن النهار يزيد
كل ذي بصر نظراً ويزيد الخفاش سوء النظر. فذو العقل
لا يبطره منزلة أصابها وإن تعاظم أمره وقدره ويكون عند
ذلك كالجبل الذي لا تحركه الرياح الشديدة. والسخيف
كالعشب يحركه أدنى ريح. وقد ذكر لي من أمرك شيئاً
سمعته وإنه قال إن السلطان إذا كان صالحاً ووزراؤه وزراء
سوء منعوا خيره فلا يقدر أحد أن يدنو منه ومثله في ذلك
مثل الماء الطيب الذي فيه التماسيح لا يقدر أحد أن يتناوله
وإن كان إلى الماء محتاجاً وإنما الملك وزينته أن تكون
جنوده ووزراؤه ذوي صلاح فيسددون أحوال الناس
وينظرون في صلاحهم وأنت يا دمنة أردت أن لا يدنو

مِنَ ٱلْأَسَدِ أَحَدَ سِوَاكَ وَهٰذَا أَمْرٌ لَا يَصِحُّ وَلَا يَتِمُّ أَبَدًا وَذٰلِكَ لِلْمَثَلِ ٱلْمَضْرُوبِ إِنَّ ٱلْبَحْرَ بِأَمْوَاجِهِ وَٱلسُّلْطَانَ بِأَصْحَابِهِ · وَمِنَ ٱلْحُمْقِ ٱلْحِرْصُ عَلَى ٱلْتِمَاسِ ٱلْإِخْوَانِ بِغَيْرِ ٱلْوَفَاءِ لَهُمْ وَٱلْتِمَاسِ ٱلْآخِرَةِ بِٱلرِّيَاءِ وَمَوَدَّةِ ٱلنِّسَاءِ بِٱلْغِلْظَةِ وَنَفْعِ ٱلنَّفْسِ بِضَرِّ أَحَدٍ · وَمَا عِظَتِي وَتَأْدِيبِي إِيَّاكَ إِلَّا كَمَا قَالَ ٱلرَّجُلُ لِلطَّائِرِ لَا تَلْتَمِسْ تَقْوِيمَ مَا لَا يَسْتَقِيمُ وَلَا تُعَالِجْ تَأْدِيبَ مَا لَا يَتَأَدَّبُ قَالَ دِمْنَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ كَلِيلَةُ زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ ٱلْقِرَدَةِ كَانُوا سَاكِنِينَ فِي جَبَلٍ فَٱلْتَمَسُوا فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ ذَاتِ رِيَاحٍ وَأَمْطَارٍ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا فَرَأَوْا يَرَاعَةً تَطِيرُ كَأَنَّهَا شَرَارَةُ نَارٍ فَظَنُّوهَا نَارًا وَجَمَعُوا حَطَبًا كَثِيرًا فَأَلْقَوْهُ عَلَيْهَا وَجَعَلُوا يَنْفُخُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَتَرَوَّحُونَ بِأَيْدِيهِمْ طَمَعًا فِي أَنْ يُوقِدُوا نَارًا يَصْطَلُونَ بِهَا مِنَ ٱلْبَرْدِ · وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ طَائِرٌ عَلَى شَجَرَةٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَقَدْ رَأَى مَا صَنَعُوا فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ وَيَقُولُ لَا تَتْعَبُوا فَإِنَّ ٱلَّذِي رَأَيْتُمُوهُ لَيْسَ بِنَارٍ · فَلَمَّا طَالَ ذٰلِكَ عَلَيْهِ عَزَمَ عَلَى ٱلْقُرْبِ مِنْهُمْ لِيَنْهَاهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَعَرَفَ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ لَا تَلْتَمِسْ

١ خلاف أرفق ٢ جمع قرد ٣ دابة تطير في الليل كأنها نار ٤ ينفخون ريح ٥ يتدفؤن

تقويم ما لا يستقيم فإن الحجر الصلب الذي لا ينقطع لا تجرب عليه السيوف والعود الذي لا ينحني لا تعمل منه القوس فلا تتعب. فأبى الطائر أن يطيعه وتقدم إلى القردة يعرفهم أن اليراعة ليست بنار فتناوله بعض القردة فضرب به الأرض فمات * فهذا مثلك معي في ذلك ثم قد غلب عليك الخب والفجور وهما خلتا سوء والخب شرهما عاقبة ولهما مثل. قال دمنة وما ذلك المثل

قال دمنة زعموا أن خبا ومغفلا اشتركا في تجارة وسافرا فبينما هما في الطريق تخلف المغفل لبعض حاجته فوجد كيسا فيه ألف دينار فأخذه. فأحس به الخب فرجعا إلى بلدهما حتى إذا دنوا من المدينة قعدا لاقتسام المال. فقال المغفل خذ نصفه وأعطني نصفه وكان الخب قد قرر في نفسه أن يذهب بالألف جميعها فقال له لا نقتسم فإن الشركة والمفاوضة أقرب إلى الصفاء والمخالطة ولكن آخذ نفقة وتأخذ مثلها وندفن الباقي في أصل هذه الشجرة فهو مكان حريز وذلك أكتم لأمرنا. فإذا احتجنا جئنا أنا وأنت فنأخذ

١ تخبث بالخدع ٢ وتعمد أخذ

حاجتنا منه ولا يعلم بموضعها أحد فأخذا منها يسيرا ودفنا الباقي في أصل شجرة ودخلا المدينة ثم إن الخب خالف المغفل إلى الدنانير فأخذها وسوى الأرض كما كانت وجاء المغفل بعد ذلك فقال للخب قد احتجت إلى نفقة فانطلق بنا نأخذ حاجتنا فقام الخب معه وذهبا إلى المكان فحفرا فلم يجدا شيئا. فأقبل الخب على وجهه يلطمه ويقول لا تغتر بصحبة صاحب خالفتني إلى الدنانير فأخذتها. فجعل المغفل يحلف ويلعن آخذها ولا يزداد الخب إلا شدة في اللطم وقال ما أخذها غيرك وهل شعر بها أحد سواك ثم طال بينهما ذلك فترافعا إلى القاضي فاقتص القاضي قصتهما فادعى الخب أن المغفل أخذها وجحد المغفل فقال للخب ألك على دعواك بينة قال نعم الشجرة التي كانت الدنانير عندها تشهد لي أن المغفل قد أخذها وكان الخب قد ذهب إلى أبيه فقص عليه القصة وطلب إليه أن يذهب فيتوارى في الشجرة بحيث إذا سئل أجاب فقال له أبوه رب متحيل أوقعه تحيله في ورطة عظيمة لا يقدر على الخلاص منها فإياك أن يكون مثلك مثل

١ [illegible] ٢ [illegible] ٣ [illegible]

العلجوم قال المغفل للخب وكيف كان ذلك

قال الخب زعموا أن علجوماً جاور حية فكان كلما أفرخ جاءت إلى عشه وأكلت فراخه ففزع في ذلك إلى السرطان فقال له السرطان إن تطعني فاجمع سمكاً كثيراً وفرقه من جحر ابن عرس إلى جحر الحية فإنه إذ بدأ في أكل السمك انتهى إلى جحر الحية فأكلها ففعل وكان كذلك ثم تدرج ابن عرس إلى جحر الحية في طلب عادتها حتى بلغ إلى جحر العلجوم فأكله وفراخه جميعاً * وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن من لم يتثبت في الحيل ويدبرها ويتحرز فيها وقعت حيلته في يديها تحتال له * قال المغفل قد فهمت ما ذكرت ولكن لا تخف فإن الأمر يسير حقير ولم يزل به حتى طاوعه وصدق معه فدخل جوف الشجرة * ثم إن القاضي لما سمع من الخب حديث شهادة الشجرة أكبره وانطلق هو وأصحابه والخب والمغفل معه حتى وافى الشجرة فسألها عن الخبر فقال الشيخ من جوفها نعم المغفل أخذها فلما سمع القاضي ذلك اشتد تعجبه وجعل يطوف بالشجرة حتى بان له

١ تق

حَرَقَ فِيهَا فَتَأَمَّلَهُ فَلَمْ يَرَ فِيهِ شَيْئًا فَدَعَا بِحَطَبٍ وَأَمَرَ أَنْ تُحْرَقَ الشَّجَرَةُ فَأُضْرِمَتْ حَوْلَهَا النِّيرَانُ فَٱسْتَغَاثَ أَبُو الْخَبِّ عِنْدَ ذٰلِكَ فَأُخْرِجَ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى الْهَلَاكِ. فَسَأَلَهُ الْقَاضِي عَنِ الْقِصَّةِ فَأَخْبَرَهُ بِالْخَبَرِ فَأَوْقَعَ بِالْخَبِّ ضَرْبًا وَبِابْنِهِ صَفْعًا وَأَرْكَبَهُ مَشْهُورًا وَغَرَّمَ الْخَبَّ الدَّنَانِيرَ فَأَخَذَهَا وَأَعْطَاهَا لِلْمُغَفَّلِ * وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْخِبَّ وَالْخَدِيعَةَ رُبَّمَا كَانَ صَاحِبُهُمَا هُوَ الْمَغْبُونَ وَإِنَّكَ يَا دِمْنَةُ جَامِعٌ لِلْخِبِّ وَالْخَدِيعَةِ وَالْفُجُورِ وَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ ثَمَرَةَ عَمَلِكَ مَعَ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَاجٍ مِنَ الْعُقُوبَةِ لِأَنَّكَ ذُو لَوْنَيْنِ وَلِسَانَيْنِ وَإِنَّمَا عُذُوبَةُ مَاءِ الْأَنْهَارِ مَا لَمْ تَبْلُغْ إِلَى الْبِحَارِ وَصَلَاحُ أَهْلِ الْبَيْتِ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِمِ الْمُفْسِدُ وَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَشْبَهُ بِكَ مِنَ الْحَيَّةِ ذَاتِ اللِّسَانَيْنِ الَّتِي فِيهَا السُّمُّ فَإِنَّهُ قَدْ يَجْرِي مِنْ لِسَانِكَ كَسُمِّهَا وَإِنِّي لَمْ أَزَلْ لِذٰلِكَ السُّمِّ مِنْ لِسَانِكَ خَائِفًا وَبِمَا يَحُلُّ بِكَ مُتَوَقِّعًا. وَالْمُفْسِدُ بَيْنَ الْإِخْوَانِ وَالْأَصْحَابِ كَالْحَيَّةِ الَّتِي يُرَبِّيهَا الرَّجُلُ وَيُطْعِمُهَا وَيَمْسَحُهَا وَيُكْرِمُهَا ثُمَّ لَا يَكُونُ لَهُ مِنْهَا غَيْرُ اللَّدْغِ وَقَدْ يُقَالُ الْزَمْ ذَا الْعَقْلِ وَذَا الْكَرَمِ وَذَا الْأَصْلِ الطَّيِّبِ

١ سيرا على موضع معين ٢ ترجمة دمنها ٣ مسخرا

وَاسْتَرْسِلْ إِلَيْهِمْ وَإِيَّاكَ وَمُفَارَقَتَهُمْ وَاصْحَبِ الصَّاحِبَ إِذَا كَانَ عَاقِلاً كَرِيماً أَوْ عَاقِلاً غَيْرَ كَرِيمٍ فَالْعَاقِلُ الْكَرِيمُ كَامِلٌ وَالْعَاقِلُ غَيْرُ الْكَرِيمِ اصْحَبْهُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مَحْمُودِ الْخَلِيقَةِ وَاحْذَرْ مِنْ سُوءِ أَخْلَاقِهِ وَانْتَفِعْ بِعَقْلِهِ. وَالْكَرِيمُ غَيْرُ الْعَاقِلِ الْزَمْهُ وَلَا تَدَعْ مُوَاصَلَتَهُ وَإِنْ كُنْتَ لَا تَحْمَدُ عَقْلَهُ وَانْتَفِعْ بِكَرَمِهِ وَانْفَعْهُ بِعَقْلِكَ. وَالْفِرَارَ كُلَّ الْفِرَارِ مِنَ اللَّئِيمِ الْأَحْمَقِ وَإِنِّي بِالْفِرَارِ مِنْكَ لَجَدِيرٌ. وَكَيْفَ يَرْجُو إِخْوَانُكَ عِنْدَكَ كَرَماً وَوُدّاً وَقَدْ صَنَعْتَ بِمَلِكِكَ الَّذِي أَكْرَمَكَ وَشَرَّفَكَ مَا صَنَعْتَ وَإِنَّ مَثَلَكَ مَثَلُ التَّاجِرِ الَّذِي قَالَ إِنَّ أَرْضاً تَأْكُلُ جِرْذَانُهَا مِائَةَ مَنٍّ حَدِيداً لَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ لِبُزَاتِهَا أَنْ تَخْتَطِفَ الْفِيَلَةَ. قَالَ دِمْنَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ كَلِيلَةُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ كَذَا تَاجِرٌ فَأَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ لِابْتِغَاءِ الرِّزْقِ وَكَانَ عِنْدَهُ مِائَةُ مَنٍّ حَدِيدٍ فَأَوْدَعَهَا رَجُلاً مِنْ إِخْوَانِهِ وَذَهَبَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ فَجَاءَ وَالْتَمَسَ الْحَدِيدَ فَقَالَ لَهُ قَدْ أَكَلَتْهُ الْجِرْذَانُ قَالَ قَدْ سَمِعْتُ أَنْ لَا شَيْءَ أَقْطَعُ مِنْ أَنْيَابِهَا لِلْحَدِيدِ. فَفَرِحَ

١ صيغة ٢ منّ رطلان ٣ ما يرجحه

ٱلرَّجُلُ بِتَصْدِيقِهِ عَلَى مَا قَالَ وَٱدَّعَى. ثُمَّ إِنَّ ٱلتَّاجِرَ خَرَجَ فَلَقِيَ ٱبْنًا لِلرَّجُلِ فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ ٱلرَّجُلُ مِنَ ٱلْغَدِ فَقَالَ لَهُ هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ مِنِ ٱبْنِي. فَقَالَ لَهُ ٱلتَّاجِرُ إِنِّي لَمَّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ بِٱلْأَمْسِ رَأَيْتُ بَازِيًا قَدِ ٱخْتَطَفَ صَبِيًّا صِفَتُهُ كَذَا وَلَعَلَّهُ ٱبْنُكَ. فَلَطَمَ ٱلرَّجُلُ رَأْسَهُ وَقَالَ يَا قَوْمُ هَلْ سَمِعْتُمْ أَوْ رَأَيْتُمْ أَنَّ ٱلْبُزَاةَ تَخْطَفُ ٱلصِّبْيَانَ. فَقَالَ نَعَمْ وَإِنَّ أَرْضًا تَأْكُلُ جُرْذَانُهَا مِائَةَ مَنٍّ حَدِيدًا لَيْسَ بِعَجَبٍ أَنْ تَخْتَطِفَ بُزَاتُهَا ٱلْفِيَلَةَ. قَالَ لَهُ ٱلرَّجُلُ أَنَا أَكَلْتُ حَدِيدَكَ وَهٰذَا ثَمَنُهُ فَارْدُدْ عَلَيَّ ٱبْنِي * وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ مَنْ غَدَرَ بِمَلِكِهِ وَصَاحِبِ نِعْمَتِهِ فَلَيْسَ بِعَجَبٍ أَنْ يَغْدِرَ بِغَيْرِهِ. وَإِذَا صَحِبَ أَحَدٌ صَاحِبًا وَغَدَرَ بِمَنْ سِوَاهُ فَقَدْ عَلِمَ صَاحِبُهُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ لِلْمَوَدَّةِ مَوْضِعٌ. فَلَا شَيْءَ أَضْيَعُ مِنْ مَوَدَّةٍ تُمْنَحُ مَنْ لَا وَفَاءَ لَهُ وَحِبَاءٍ يُصْطَنَعُ عِنْدَ مَنْ لَا شُكْرَ لَهُ وَأَدَبٍ يُحْمَلُ إِلَى مَنْ لَا يَتَأَدَّبُ بِهِ وَلَا يَسْمَعُهُ وَسِرٍّ يُسْتَوْدَعُ مَنْ لَا يَحْفَظُهُ. وَإِنَّ شَجَرَةَ ٱلْمُرَّةِ لَوْ طُلِيَتْ بِٱلْعَسَلِ لَمْ يُجْدِهَا ذٰلِكَ شَيْئًا. وَإِنَّ صُحْبَةَ ٱلْأَخْيَارِ تُورِثُ ٱلْخَيْرَ وَصُحْبَةَ

١ لعله ٢ نفع

الأشرار تورث الشر. كالريح إذا مرت بالطيب حملت
طيبا وإذا مرت بالنتن حملت نتنا وقد طال وثقل كلامي عليك

فانتهى كليلة من كلامه إلى هذا المكان وقد فرغ الأسد
من الثور. ثم فكر في قتله بعد أن قتله وذهب عنه الغضب
وقال لقد فجعني شتربة بنفسه وكان ذا عقل ورأي وخلق
كريم. ولا أدري لعله كان بريئا أو مكذوبا عليه. فحزن
وندم على ما كان منه. وتبين ذلك في وجهه وبصر به دمنة
فترك محاورة كليلة وتقدم إلى الأسد فقال له ليهنئك الظفر
إذ أهلك الله أعداءك فما يحزنك أيها الملك. قال أنا
حزين على عقل شتربة ورأيه وأدبه. قال له دمنة لا ترحمه
أيها الملك فإن العاقل لا يرحم من يخافه. وإن الرجل
الحازم ربما أبغض الرجل وكرهه ثم قربه وأدناه لما يعلم
عنده من الغنى والكفاية. فعل الرجل المتكاره على الدواء
الشنيع رجاء منفعته. وربما أحب الرجل وعز عليه فأقصاه
وأهلكه مخافة ضرره كالذي تلدغه الحية في إصبعه فيقطعها
ويتبرأ منها مخافة أن يسري سمها إلى بدنه. فرضي الأسد

بقول دمنة ثم علم بعد ذلك بكذبه وفجوره فقتله شر قتلة

باب
الفحص عن أمر دمنة

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد حدثتني عن الواشي الماهر المحتال كيف يفسد بالنميمة المودة الثابتة بين المتحابين فحدثني الآن بما كان من حال دمنة وإلام آل أمره بعد قتل شتربة وما كان من معاذيره عند الأسد وأصحابه حين راجع الأسد رأيه في الثور وذكر النميمة على دمنة وما كانت حجته في الاحتجاج بها

قال الفيلسوف إني وجدت في حديث دمنة أن الأسد حين قتل شتربة ندم على قتله وذكر قديم صحبته وجسيم خدمته وأنه كان أكرم أصحابه عليه وأخصهم منزلة لديه وأقربهم وأدناهم إليه وكان يواصل له المشورة دون خواصه وكان من أخص أصحابه عنده بعد الثور النمر فاتفق أنه أمسى ليلة عند الأسد فخرج من عنده جوف الليل

يريد مربضه فاجتاز على منزل كليلة ودمنة فلما انتهى إلى
الباب سمع كليلة يعاتب دمنة على ما كان منه ويلومه في
السعاية واستعمالها مع الكذب والبهتان في حق الخاصة وعرف
النمر عصيان دمنة وترك القبول منه فوقف يستمع ما يجري
بينهما وكان فيما قال كليلة لدمنة لقد ارتكبت مركبا صعبا
ودخلت مدخلا ضيقا وجنيت على نفسك جناية موبقة وعاقبتها
وخيمة وسوف يكون مصرعك شديدا إذا انكشف للأسد أمرك
واطلع عليه وعرف غدرك ومحالك وبقيت لا ناصر لك
فيجتمع عليك الهوان والقتل مخافة شرك وحذرا من غوائلك
فلست متخذك بعد اليوم خليلا ولا مفش لك سرا لأن العلماء
قد قالوا تباعد ممن لا رغبة لك فيه وأنا حقيق بمباعدتك
والتماس الخلاص لنفسي مما وقع في نفس الأسد من هذا الأمر
فلما سمع النمر هذا من كلامهما قفل راجعا فدخل على أم
الأسد فأخذ عليها العهود والمواثيق أنها لا تبوح بما يسر إليها
فعاهدته على ذلك فأخبرها بما سمع من كلام كليلة ودمنة
فلما أصبحت دخلت على الأسد فوجدته كئيبا حزينا مهموما

١ في ربح

قد وَجَدَ عليه من قتلِ شَتْرَبَة فقالت له ما هذا الهمّ الذي حَضَرَكَ وغَلَبَ عليكَ قال يُحزِنُني قتلُ شتربةَ إذا تذكّرتُ صُحبَتَهُ ومواظبتَهُ معي وما كنتُ أسمعُ من مؤامرتِهِ وأسكنُ إليه في مشاورتِهِ وأقبلُ من مناصحتِهِ قالت أمُّ الأسدِ إن كنتَ ترى أنَّ لك في قتلِهِ فرجاً فلا ينبغي لك أن تحزنَ وإلا فالملكُ يشهدُ أنَّ عملَكَ الذي عملتَهُ لم يكنْ صواباً ولا عدلاً . إنّ العلماءَ قد قالوا إذا أردتَ أن تعلمَ عدوّكَ من صديقِكَ فكّرْ في نفسِكَ وإنْ لم يكنْ فيك له شيءٌ فاعلمْ أنّه لكَ كذلك . فانظرِ الآنَ وأنتَ في ذاتِ نفسِكَ هل ترى ضميرَكَ يشهدُ لكَ أنَّ الذي فعلتَهُ بالثورِ كان عدلاً أم ظلماً قال الأسدُ صحَّ ما تقولينَ في أمرِ قتلِ الثورِ الأخضرِ الذي قد جُستُ في نفسي كي تعرفَ فلم أجدْ فيها إلا ما يدلُّ على براءةِ شتربةَ وقتلِهِ ظلماً وبغياً مكذوباً عليه من أجلِ شرّيرٍ وإنّ كثرةَ البحثِ عن الأمورِ تُخرجُ الحقَّ وتُبطلُ الباطلَ وإنّ حديثَكِ يدلُّ على مكنونِ سرٍّ أفيبلغُكِ شيءٌ عن هذا الأمرِ فقالت أمُّ الأسدِ إنّ أشدَّ ما شهدَ امرؤٌ على نفسِهِ وقد خطأ لا عصمهم

أي اشتد عليك ٢ من بريك حيرة

كيف أقدمت على قتل الثور بلا علم ولا يقين. ولولا قول العلماء في إذاعة الأسرار وما فيها من الإثم والعار لذكرت لك وأخبرتك بما علمت. فإن العلماء قد قالوا[1] إن أحمد الناس عاقبة في الدنيا والآخرة أكتمهم للسر. قال الأسد إن أقوال العلماء لها وجوه كثيرة ومعان مختلفة وإنهم قد قالوا أيضاً من اطلع على ذنوب المذنبين وكتمها عن السلطان فلم يعاقبوا على ذنوبهم عوقب هو يوم القيامة. وإن الذي أطلعك على هذا السر العظيم لم يطلعك عليه إلا لتعلمني به وتطلعني على ما أسر إليك من ذلك وأخبريني به ولا تطويه عني. فأخبرته بجميع ما قد ألقى إليه النمر من غير أن تخبره باسمه وقالت إني أجهل قول العلماء في تعظيم العقوبة وتشديدها وما تدخل على الرجل من العار في إذاعة الأسرار ولكني حببت أن أخبرك بما فيه مصلحة لك بعد قول العلماء إن فساد عامة الأشياء يكون من جهتين أحدهما إفشاء السر والأخرى ترك عقوبة من يستوجب العقوبة ولإفشاء السر خير من أن يبقى على هذا

١ [illegible]

الخائن دمنة الذي أدخل العداوة بينك وبين الثور بمكره
وفجوره. فلو كتمته مرة [illegible] من الغضب حتى يعاد وخيف منه
أكبر من هذا [illegible] فقد أمر العلماء بالبعد عن
المجاني والصفح عن أهل الذنب ولكن [illegible] من أشرار [illegible]
عظيم والذنب الكبير [illegible] فلما قضت أم الأسد هذا الكلام خرج
عند الأسد ما فعل دمنة [illegible] وحده فأدخل عليه
ثم أمر أن يؤتى بدمنة فلما حضر دمنة نكس الأسد رأسه إلى
الأرض مليا فالتفت دمنة إلى بعض من حضر فقال ما الذي
حدث وعلام [illegible] ولا أدري أحزن الملك. فالتفتت
أم الأسد إليه وقالت إنه قد بان للملك [illegible] وعظيم
[illegible] بدعك [illegible] دمنة وقد حدث من أمرك
حتى وجب به قتلك قال [illegible] يهلك كذبك وفجورك
وخديعتك في قتل الثور من غير ذنب كان منه فلست حقيقا
أن تترك بعد هذا حيا فقال دمنة [illegible] الأول للآخر
شيئا لأنه يقال أشد الناس في توقي الأمر يصيبه الشر قبل
المستسلم له. فلا يكن الملك وخاصته وجنوده المثل

[illegible]

السوء. ولقد صدق من قال كلما ازداد الإنسان في الخير
اجتهادا كان الشر إليه أسرع. وقد قيل من صحب الأشرار
وهو يعلم حالهم كان أذى من غيره، ولذلك انقطعت النساك
بأنفسها عن الخلق واختارت الوحدة على المخالطة وحب
العمل لله على حب الدنيا وأهلها. ومن يجزي بالخير خيرا
وبالإحسان إحسانا إلا الله. ومن طلب الجزاء على الخير من
الناس كان حقيقا أن يحظى بالحرمان إذ يخطئ الصواب في
خلوص العمل لغير الله وطلب الجزاء من الناس. ولكن
عاقبة ما يسعى أن يعاقب به الغدر يصيب به الأخيار. وهذا
الأمر شبيه بشأني إذ حملني حب الملك ونصحي له وشفقتي
عليه أن أطلعه على سر عدوه الخائن، وإن الملك قد شاهد
منه ذلك عيانا وصحت عنده العلامات التي ذكرتها له. أفهذا
جزائي منه أن أقتل. فلما سمع الأسد ذلك من كلام دمنة أمر
أن يخرج من عنده حتى ينظر في أمره ويجتهد في الفحص عنه فلا
يعود إلى العجلة والظلم. فعند ذلك سجد دمنة للأسد شكرا
له وكرامة وقال أيها الملك لا تعجل في قتلي ولا تسمع في كلام

الأشرارِ وليفحصْ الملكُ عن أمري حتى يتبيّنَ لهُ صدقي. وقدْ قالتِ الحكماءُ إنّ النارَ تختفي في الحجارةِ فلا تخرجُ منها إلا بالمعالجةِ والقدحِ. ولو كنتُ أعلمُ في نفسي ذنبًا فيما بيني وبينَ الملكِ لما أقمتُ بينَ يديكَ وأنا أرغبُ إلى الملكِ إنْ كانَ في شكٍّ منْ أمري أنْ يأمرَ بالفحصِ عنهُ ويكونَ منْ يتولّى ذلكَ لا تأخذُهُ في اللهِ لومةُ لائمٍ ولا أسألُ في ذلكَ إلا اللهَ وهوَ الذي يعلمُ سرائرَ العبادِ وما تُكنُّ صدورُهم وإنّ أحقَّ ما رغبتْ فيهِ رعيّةُ الملكِ هوَ محاسنُ الأخلاقِ وموافقةُ الصوابِ وجميلُ السيرِ وإنّ ...لَ فمنسوبٌ حتى ...ها وقدْ قالتِ العلماءُ منْ صدّقَ ما لا يجبُ أنْ يُصدَّقَ أصابهُ ما أصابَ التاجرَ الذي فتحَ سرّهُ لينبشَ عنهُ. قالَ الأسدُ وكيفَ كانَ ذلكَ.

قالَ دمنةُ زعموا أنّهُ كانَ في بعضِ المدنِ تاجرٌ وكانَ لهُ خازنٌ في بيتِ ... وإنّ التاجرَ أرادَ اختلاسَ شيءٍ منَ المالِ فلمْ يستطعْ لأنّ الأحراسَ ... فأدخلَ الخازنُ ... المالَ أقفلَ عليهِ البابَ فأرادَ الخروجَ أتى ففتّشهُ قبلَ أنْ يخرجَ وكانَ إلى جنبِ التاجرِ رجلٌ مصوّرٌ

١ لحدث

مَاهِرٌ وَكَانَ هُوَ لِلْخَازِنِ صَدِيقًا فَقَالَ لَهُ الْخَازِنُ يَوْمًا هَلْ لَكَ أَنْ تُوَاطِئَنِي عَلَى الاخْتِلَاسِ مِنْ هٰذَا الْمَالِ. قَالَ نَعَمْ. قَالَ وَمَا الْحِيلَةُ وَلَا سَبِيلَ لِي إِلَى الْخُرُوجِ إِلَيْكَ وَلَا سَبِيلَ لَكَ إِلَى الدُّخُولِ إِلَيَّ وَقَدْ كَرِهْتُ حَالِي مَعَ التَّاجِرِ. قَالَ الْمُصَوِّرُ أَوَمَا يَبْعَثُ الْمَالَ بِيَدِكَ إِلَى التَّاجِرِ تُؤْوِي مِنْهُ شَيْئًا فِي الظَّلَامِ. قَالَ بَلَى وَلٰكِنْ أَخْشَى أَنْ يَرَانَا أَحَدٌ. قَالَ فَأَنَا آمُرُ قَرِيبًا مِنَ النَّافِذَةِ إِذَا اشْتَدَّ الظَّلَامُ فَتَعْرِفُنِي فَأَدْنُو إِلَيْكَ فَتَرْمِي لِي بِصُرَّةٍ فَآخُذُهَا وَلَا يُشْعَرُ بِنَا. فَرَضِيَ الْخَازِنُ بِذٰلِكَ وَأَعْجَبَهُ وَأَقَامَا عَلَيْهِ حِينًا. ثُمَّ إِنَّ الْخَازِنَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِلْمُصَوِّرِ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَجْعَلَ عَلَامَةً أَعْلَمُ بِهَا مَجِيئَكَ مِنْ غَيْرِ صَفِيرٍ وَلَا إِيمَاءٍ وَلَا مَا يُرْتَابُ بِهِ مِنْ شَأْنِكَ وَشَأْنِي فَإِنِّي قَدْ تَخَوَّفْتُ أَنْ يَجْسُرَ بِنَا أَحَدٌ. فَقَالَ الْمُصَوِّرُ عِنْدِي مِنْ ذٰلِكَ مَا شِئْتَ. إِنَّ عِنْدِي مُلَاءَةً فِيهَا مِنْ أَحْسَنِ الصُّوَرِ وَتَمَاثِيلِ الصَّنْعَةِ فِي أَسَاجِيرَ [illegible] تُرَى لَكَ فِيهِ. ثُمَّ إِنَّ الْمُصَوِّرَ لَبِسَ الْمُلَاءَةَ وَتَرَدَّى بِهَا وَرَمَى لَهُ بِصُرَّةٍ فِيهَا [illegible] عَلَى ذٰلِكَ حَتَّى تَعَرَّفَ بِهِمَا فِي تِلْكَ الْحَالَةِ جَارُ الْمُصَوِّرِ. وَكَانَ

١ أو بعضه

بينه وبين خادم المصوّر صداقة فطلب الملاءة منه وقال
أريد أن أريها صديقا لي لأسرّه بذلك وأسرع الكرّة
ردّها قبل أن تعلم بذلك مولاك فأعطاه إيّاها . ولمّا أتى
الليل أسرع فلبسها ومرّ من حيث كان يمرّ المصوّر فلمّا رآه
الجارية لم تشكّ في محبّته فرمت إليه بالصرّة فتناولها وانطلق
ورجع بالملاءة إلى خادم المصوّر فدفعها إليه فوضعها موضعها
وكان المصوّر عن بيته غائبا فلمّا عاد إلى منزله لبس الملاءة
على عادته وأتى الجارية فعجبت من رجوعه ولم يكن لديها ما
ترمي به وتعرّف المصوّر لا شيء ثمّ تلاقيا بعد ذلك
فقال لها المصوّر ألم ترمي لي الصرّة قالت أولم تمرّ قبل
مرورك ورميت لك بها فرجع المصوّر إلى منزله فدعا
خادمه وتوعّده بقتل[1] أو يخبره بالحقيقة فأخبره بالقصّة فأخذ
الملاءة فأحرقها . وإنّما ضربت لك هذا المثل إرادة
أن لا يعجل الملك في أمري بشبهة . ولست أقول هذا كراهة
للموت فإنّه وإن كان كريها لا منجى منه وكلّ حيّ هالك .
وإنّ العلماء قد قالوا من اقترف خطيئة أو إثما أسلم

١ قتل

نَفْسَهُ إِلَى ٱلْقَتْلِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ تَدْعُوهُ إِلَى ذٰلِكَ عَفَا ٱللهُ عَنْهُ وَأَنْجَاهُ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ عَذَابِ ٱلنَّارِ. وَلَوْ كُنْتُ فِي شُبْهَةٍ مِنْ نَفْسِي وَعَلِمْتُ أَنَّ هَوَى ٱلْمَلِكِ فِي إِتْلَافِي لَطِبْتُ لَهُ بِذٰلِكَ نَفْسًا. فَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُضُورِ لَمْ يَنْطِقْ بِهٰذَا حُبًّا لِلْمَيِّتِ وَلٰكِنْ لِخَلَاصِ نَفْسِهِ وَٱلْتِمَاسِ ٱلْعُذْرِ لَهَا فَقَالَ لَهُ دِمْنَةُ وَيْلَكَ وَهَلْ عَلَيَّ فِي ٱلْتِمَاسِ ٱلْعُذْرِ لِنَفْسِي عَيْبٌ وَهَلْ أَحَدٌ أَقْرَبُ إِلَى ٱلْإِنْسَانِ مِنْ نَفْسِهِ وَإِذَا لَمْ يَلْتَمِسْ لَهَا ٱلْعُذْرَ فَمَنْ يَلْتَمِسُهُ. لَقَدْ ظَهَرَ مِنْكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَمْلِكُ كِتْمَانَهُ مِنَ ٱلْحَسَدِ وَٱلْبُغْضِ. وَلَقَدْ عَرَفَ مَنْ سَمِعَ مِنْكَ أَنَّكَ لَا تُحِبُّ لِأَحَدٍ خَيْرًا. وَأَنَّكَ عَدُوُّ نَفْسِكَ فَمَنْ سِوَاهَا أَوْلَى. وَمِثْلُكَ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَعَ ٱلْبَهَائِمِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مَعَ ٱلْمَلِكِ وَأَنْ يَكُونَ بِبَابِهِ. فَلَمَّا أَجَابَهُ دِمْنَةُ بِذٰلِكَ خَرَجَ مُكْتَئِبًا حَزِينًا مُسْتَحْيِيًا. فَقَالَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ لِدِمْنَةَ لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْكَ أَيُّهَا ٱلْمُحْتَالُ فِي قِلَّةِ حَيَائِكَ وَكَثْرَةِ وَقَاحَتِكَ وَسُرْعَةِ جَوَابِكَ لِمَنْ كَلَّمَكَ. قَالَ دِمْنَةُ لِأَنَّكِ تَنْظُرِينَ إِلَيَّ بِعَيْنٍ وَاحِدَةٍ وَتَسْمَعِينَ مِنِّي بِأُذُنٍ وَاحِدَةٍ مَعَ أَنَّ شِقْوَةَ جَدِّي قَدْ زَوَتْ عَنِّي كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى لَقَدْ سَعَوْا إِلَى ٱلْمَلِكِ بِسِعَايَةٍ عَلَيَّ

١ وفي حتف ٢ غم

فإني أرى كل شيء قد تغيّر حتى صار الناس لا ينطقون بالحق وصار من بباب الملك لاستخفافهم به وطول كرامته إياهم وما هم فيه من العيش والنعمة لا يدرون في أي وقت ينبغي لهم الكلام ولا متى يجب عليهم السكوت. قالت: ألا تنظرون إلى هذا الخبيث مع عظيم ذنبه كيف يجعل نفسه بريئاً كمن لا ذنب له. قال دمنة: إن الذين يعملون غير عملهم يسوّوا على شيء كالذي يضع الرماد موضعاً ينبغي أن يضع فيه الرمل ويستعمل فيه السرجين، والرجل الذي يلبس لباس المرأة والمرأة التي تلبس لباس الرجل، والضيف الذي يقول أنا ربّ البيت، والذي ينطق بين الجماعة بما لا يُسأل عنه. وإنما الخبيث من لا يعرف الأمور وأحوال الناس ولا يقدر على دفع الشر عن نفسه ولا يستطيع ذلك. قالت أم الأسد: أتظن أيها الغادر أن احتيالك هذا يخدع الملك ولا يقتلك. قال دمنة: الغادر هو الذي لا يأمن عدوه مكره وإذا استمكن من عدوه قتله على غير ذنب. قالت أم الأسد: أيها الغادر الكذوب أتظن أنك ناجٍ من عاقبة كذبك وأن

١ أي بين

مُحالُكَ هذا وبَغْيُكَ مَعَ عِظَمِ جُرْمِكَ قالَ دِمْنَةُ الكَذُوبُ هُوَ
الَّذي يَقُولُ ما لَمْ يَكُنْ ويَأْتي بِما لَمْ يَقُلْ ولَمْ يَفْعَلْ وأَمَّا أَنا فَكَلامي
حَقٌّ والمَلِكُ يَعْلَمُ أَنّي لَوْ كُنْتُ كاذِبًا لَمْ تَكُنْ لي جُرْأَةٌ أَنْ أَتَكَلَّمَ
هٰذا الكَلامَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِأَنَّهُ قَدْ قيلَ سَيَتَّضِحُ البَريءُ ولا
أَدَلَّ لِسانًا مِنْ ذي حُجَّةٍ فَأَتَتْ أُمُّ الأَسَدِ لِلْعُلَماءِ وحُكّامِهِمُ الَّذينَ
يُوضِحُونَ مَرَّةً بِفَصْلِ الخِطابِ ثُمَّ بَحَثَتْ وحَثَّتْ فَدَفَعَ الأَسَدُ
دِمْنَةَ إِلى القاضي فَأَمَرَ القاضي بِحَبْسِهِ فَأُلْقِيَ في عُنُقِهِ غُلٌّ وانْطُلِقَ
بِهِ إِلى السِّجْنِ ❊ فَلَمّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ أُخْبِرَ كَلِيلَةُ أَنَّ دِمْنَةَ في الحَبْسِ
فَأَتاهُ مُسْتَخْفِيًا فَلَمّا رَآهُ وما هُوَ عَلَيْهِ مِنْ ضِيقِ القُيُودِ وحَرَجِ المَكانِ
بَكى وقالَ ما وَصَلْتَ إِلى ما وَصَلْتَ إِلَيْهِ إِلّا لِاسْتِعْمالِكَ الخَديعَةَ
والمَكْرَ وإِعْراضِكَ عَنْ عِظَتي ونُصْحي ولٰكِنْ لَمْ يَكُنْ لي بُدٌّ فيما مَضى مِنْ
إِنْذارِكَ ونَصيحَتِكَ والمُسارَعَةِ إِلَيْكَ في حينِ الرَّغْبَةِ فيكَ
فَإِنَّهُ لِكُلِّ مَقامٍ مَقالٌ ولِكُلِّ مَوْضِعٍ مَجالٌ ولَوْ كُنْتُ قَصَّرْتُ
في عِظَتِكَ حينَ كُنْتَ في عافِيَةٍ لَكُنْتُ اليَوْمَ شَريكَكَ في ذَنْبِكَ
غَيْرَ أَنَّ العُجْبَ دَخَلَ مِنْكَ مَدْخَلًا قَهَرَ رَأْيَكَ وغَلَبَ عَلى عَقْلِكَ
وكُنْتُ أَضْرِبُ لَكَ الأَمْثالَ كَثيرًا وأُذَكِّرُكَ قَوْلَ العُلَماءِ[5]

١ حصّ ٢ المصرية يحكم و [illegible] ٣ [illegible] ٤ [illegible]

وَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ: إِنَّ ٱلْمُحْتَالَ يَمُوتُ قَبْلَ أَجَلِهِ. قَالَ دِمْنَةُ: قَدْ عَرَفْتُ صِدْقَ ذَلِكَ. وَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ: لَا تَجْزَعْ مِنَ ٱلْعَذَابِ إِذَا وَقَعْتَ مِنْكَ عَلَى خَطِيئَةٍ، وَلَأَنْ تُعَذَّبَ فِي ٱلدُّنْيَا بِجُرْمِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُعَذَّبَ فِي ٱلْآخِرَةِ بِجَهَنَّمَ مَعَ ٱلْإِثْمِ. قَالَتْ كَلِيلَةُ: قَدْ فَهِمْتُ كَلَامَكَ، وَلَكِنَّ ذَنْبَكَ عَظِيمٌ وَعِقَابَ ٱلْأَسَدِ شَدِيدٌ أَلِيمٌ. وَكَانَ بِقُرْبِهِمَا فِي ٱلسِّجْنِ فَهْدٌ مُعْتَقَلٌ يَسْمَعُ كَلَامَهُمَا وَلَا يَرَيَانِهِ، فَعَرَفَ مُعَاتَبَةَ كَلِيلَةَ لِدِمْنَةَ عَلَى سُوءِ فِعْلِهِ وَمَا كَانَ مِنْهُ، وَأَنَّ دِمْنَةَ مُقِرٌّ بِسُوءِ عَمَلِهِ وَعَظِيمِ ذَنْبِهِ، فَحَفِظَ ٱلْمُحَاوَرَةَ بَيْنَهُمَا وَكَتَمَهَا لِيَشْهَدَ بِهَا إِنْ سُئِلَ عَنْهَا. ثُمَّ إِنَّ كَلِيلَةَ ٱنْصَرَفَتْ إِلَى مَنْزِلِهَا، وَدَخَلَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ حِينَ أَصْبَحَتْ عَلَى ٱلْأَسَدِ فَقَالَتْ لَهُ: يَا سَيِّدَ ٱلْوُحُوشِ، حَرِيتَ أَنْ تَنْسَى مَا قُلْتَ لِي أَمْسِ، وَأَنَّكَ أَمَرْتَ بِهِ مِنْ وَقْتِهِ وَرَضِيتَ بِهِ رَبَّ ٱلْعِبَادِ. وَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ: لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَوَانَى فِي ٱلْجِدِّ لِلتَّقْوَى، بَلْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُدَافِعَ عَنْ ذَنْبِ ٱلْأَثِيمِ. فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْأَسَدُ كَلَامَ أُمِّهِ أَمَرَ أَنْ يَحْضُرَ ٱلنَّمِرُ، وَهُوَ صَاحِبُ ٱلْقَضَاءِ، فَلَمَّا حَضَرَ قَالَ لَهُ وَلِلْجَوَّاسِ ٱلْعَادِلِ: ٱجْلِسَا [illegible] فِي مَوْضِعِ ٱلْحُكْمِ، وَنَادِيَا فِي ٱلْجُنْدِ صَغِيرِهِمْ

* أي رفعت [illegible]

وكبراءهم أن يجتمعوا وينظروا في حال دمنة ويبحثوا عن شأنه
ويفحصوا عن ذنبه وحجته وعذره في كتب القضاء ويرفعوا
ذلك إليه يوماً فيوماً فلما سمع النمر ذلك وخرج من عنده
وكان عند الأسد [illegible] لأسمعها وتباعدت بأمر الملك
وخرجا من عنده فعملا بمقتضى ما أمرهما به حتى إذا كان من
اليوم الذي جلسوا فيه لأن ساعات من النهار [illegible]
بعث إلى دمنة فأتي به فوقف بين يديه واجتمعت الجموع فلما
استقر به المكان نادى سيد الجمع بأعلى صوته أيها الجمع
إنكم قد علمتم أن سيد السباع لم يزل منذ قتل شتربة حزين
النفس كثير الهم والحزن [illegible] قد قتل شتربة [illegible]
وأنه أخذ بكذب دمنة ونميمته وهذا دمنة قد مثل بين
يديكم ومجلس الأسد وقد جلست [illegible] دمنة [illegible] فمن علم منكم
شيئاً في أمر دمنة من خير أو شر فليقل ذلك وليتكلم به على
رؤوس الجمع والأشهاد ليكون القضاء في أمره بحسب
ذلك فإن القضاة أحق الناس [illegible] في أموره [illegible] عن
الهوى ومتابعة الأصحاب على الباطل فلا [illegible]

¹ [illegible] ² [illegible] [illegible]

القاضي أيها الجمع اسمعوا قول سيدكم ولا تكتموا ما عرفتم من أمره واعتبروا في كتم الستر عليه ثلاث خصال أما إحداهنّ وهي أهمهنّ فلا تزدروا نعمة ولا تعدّوا يسيرًا فإنّ من أعظم الخطايا قتل البريء الذي لا ذنب له بالكذب والنميمة. ومن علم من أمر هذا الكذّاب الذي اتّهم البريء بكذبه ونميمته شيئًا فستر عليه فهو شريكه في الإثم والعقوبة. والثانية أنّه إذا اعترف المذنب بذنبه كان أسلم له. والأخرى أنّ للملك وجنده أن يعفو عنه ويصفح. والثالثة ترك مراعاة أهل الدم والفجور وقطع أسباب من صحبتهم ومودّتهم عن الخاصّة والعامّة. فمن علم من أمر هذا المخذول شيئًا فليتكلّم به على رؤوس الأشهاد ليكون ذلك حجّة عليه. وقد قيل إنّه من كتم شهادة ميّت ألجم بلجام من نار يوم القيامة. فليقل كلّ واحد منكم ما علم ❊ فلما سمع ذلك الجمع كلامه أمسكوا عن القول. فقال دمنة ما يسكتكم تكلّموا بما علمتم واعلموا أنّ لكلّ كلمة جوابًا. وقد قيل أيضًا من شهد بما لم ير وقال ما لا يعلم يصيبه ما أصاب الطبيب الذي قال لما لا يعلمه إنّي أعلمه.

قالَتِ ٱلْجَماعَةُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّهُ كانَ فِي بَعْضِ ٱلْمُدُنِ طَبِيبٌ لَهُ رِفْقٌ وَعِلْمٌ. وَكانَ ذا فِطْنَةٍ فِيما يَجْرِي عَلَى يَدِهِ مِنَ ٱلْمُعالَجاتِ فَكَبِرَ ذٰلِكَ ٱلطَّبِيبُ وَضَعُفَ بَصَرُهُ. وَكانَ لِمَلِكِ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ ٱبْنَةٌ قَدْ زَوَّجَها لِٱبْنِ أَخٍ لَهُ فَعَرَضَ لَها ما يَعْرِضُ لِلْحَوامِلِ مِنَ ٱلْأَوْجاعِ فَجِيءَ بِهٰذا ٱلطَّبِيبِ فَلَمَّا حَضَرَ سَأَلَ ٱلْجارِيَةَ عَنْ وَجَعِها وَما تَجِدُ فَأَخْبَرَتْهُ فَعَرَفَ داءَها وَدَواءَها وَقالَ لَوْ كُنْتُ أُبْصِرُ جَمَعْتُ ٱلْأَخْلاطَ عَلَى مَعْرِفَتِي بِأَجْناسِها وَلا أَثِقُ فِي ذٰلِكَ بِأَحَدٍ غَيْرِي وَكانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ جاهِلٌ فَبَلَغَهُ ٱلْخَبَرُ فَأَتاهُمْ وَٱدَّعَى عِلْمَ ٱلطِّبِّ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ خَبِيرٌ بِمَعْرِفَةِ أَخْلاطِ ٱلْأَدْوِيَةِ وَٱلْعِلَّةِ خَبِيرٌ عارِفٌ بِطَبائِعِ ٱلْأَدْوِيَةِ ٱلْمُرَكَّبَةِ وَٱلْمُفْرَدَةِ فَأَمَرَهُ ٱلْمَلِكُ أَنْ يَدْخُلَ خِزانَةَ ٱلْأَدْوِيَةِ فَيَأْخُذَ مِنْ أَخْلاطِ ٱلدَّواءِ حاجَتَهُ فَلَمَّا دَخَلَ ٱلْجاهِلُ ٱلْخِزانَةَ وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ ٱلْأَدْوِيَةُ وَلا يَدْرِي ما هِيَ وَلا لَهُ بِها مَعْرِفَةٌ أَخَذَ فِي جُمْلَةِ ما أَخَذَ مِنْها صُرَّةً فِيها سُمٌّ قاتِلٌ لِوَقْتِهِ وَدَفَعَهُ بِٱلْأَدْوِيَةِ وَلا عِلْمَ لَهُ بِهِ وَلا مَعْرِفَةَ عِنْدَهُ بِجِنْسِهِ فَلَمَّا تَمَّتْ أَخْلاطُ ٱلْأَدْوِيَةِ سَقَى ٱلْجارِيَةَ

١ حجة

منه فماتت لوقتها فلمّا عرف الملك ذلك دعا بالجاهل
فسقاه من ذلك الدواء فمات من ساعته * وإنّما ضربت لكم
هذا المثل لتعلموا ما يدخل على القائل والعامل من الأذاة
شبهةً في الخروج عن حدّه فمن خرج منكم عن حدّه
أصابه ما أصاب ذلك الجاهل وقصّة أمثاله وقد قلت
ما أعلم وإنّما حقّ الكلمة تمامه والكلام بين أيديكم
فانظروا لأنفسكم فلمّا سمع سيّد الخنازير ذلك ووجّه نظره إليه
نحو الأسد فقال يا أهل الشرف من الجند سمعتم مقالي ووعت
أحلامكم كلامي وفهمتم فالقول في شأن الصالحين إنّهم
يعرفون بسيماهم وأنتم معاشر ذوي الأقدار يجب نصحه
له لكم وبما يعرفه كم تعرفون الصالحين بسيماهم وصورهم
وتخبرون أشياء أكثر ... الصغير وههنا أشياء كثيرة
تدلّ على هذا الخبيث دمنة وتخبر عن شرّه فاطلبوها على ظاهر
جسمه تستيقنوا وتسكنوا إلى ذلك قال القاضي لسيّد
الخنازير قد علمت وعلم الجماعة الحاضرون أنّك عارف بما
في الصور من علامات السوء ففسّر لنا ما تقول وأطلعنا على ما

[illegible]

ترى في صورة هذا الخبيث فأخذ سيد الخنازير يذم دمنة[١]
وقال إن العلماء قد كتبوا وأخبروا أنه من كانت عينه
اليسرى أصغر من عينه اليمنى وهي لا تزال تختلج وكان
أنفه مائلا إلى جنبه الأيمن فهو خبيث جامع للخبث والفجور
فلما سمع دمنة ذلك قال إن شأنكم تقيسون الكلام وتذكرون
العلم فاسمعوا مني ما قلتم وتدبروا بعقولكم فقد وعيتم ما
قال هذا فإن كان يزعم أن ما في جسمي من هذه العلامات
هو الدليل على صدق ما رميت به من الذنب فقد وسمت
بسمات وعلامات أضطرتني إلى الإثم فعملت بها ما عملت
فهي في ذلك براءة لي وعذر مما عملته ثم التفت إلى الأسد
والخنازير وقال فقد دل من حضر فيه عقلك وما مثلك في
ذلك إلا مثل رجل قال لامرأته انظري إلى عيبك وبعد ذلك
انظري إلى عيب جاراتك قيل له وكيف كان ذلك

قال دمنة زعموا أن مدينة أغار عليها العدو فقتلوا وسبوا
وغنموا وانطلقوا إلى بلادهم فاقتسموا ما كان معهم فحصل مما وقع في
قسمه رجل حراث ومعه امرأتان وكان هذا الحراث يجيء

١ حرب ٢ يد

أدبهم في الطعام واللباس . فذهب الحراث ذات يوم ومعه
امرأتان يحتطبون [illegible] فأصابت إحدى المرأتين
في رجلها حرقة [illegible] فاستترت بها . ثم قالت زوجها الأخرى
[illegible] كيف لا تستحي وتستتر . فقال زوجها
[illegible] يا [illegible] إن بك [illegible] حسبك كله [illegible] ما عند
صاحبتك ما [illegible] به فيك ويسألك [illegible] الذي
[illegible] العلامات الفاضحة القبيحة ثم تجترئ على طعام
الملك وتقوم بين يديه مع ما فيك من القروح ومع
معرفة [illegible] ومعرفة غيرك من عيوب نفسك . فتكلم
[illegible] الذي لا يشتبه فيه [illegible] طلع على
عملك كل جميع من حضر قد عرف ذلك [illegible] كان يجري عن
طهارة ما [illegible] من الصدقة [illegible] قد كذبت على
[illegible] في وجهي [illegible] ما قلت في بغير علم
وعلى رؤوس الجماعة [illegible] على إظهار ما أعرف من
عيوبك ومعرفة الجماعة وحق على من [illegible] حتى معرفتك
أن يمنع الملك من استعماله إياك على طعامه . فقد كلفت

١ [illegible] ٢ [illegible]

ن تعمل الزراعة لكنت جديرا بالخذلان فيها. فالأحرى بك أن لا تدنو إلى عمل من الأعمال وأن لا تكون ذنبا ولا [illegible] مما لعلّي فضلا عن خاصّ خدمة الملك. قال سيّد الخنازير: ويلي أتقول هذه المقالة وتلقاني بهذا المنطق. قال دمنة: نعم وحقّا قلت فيك وإيّاك أعني أيّها الأعرج المكسور [illegible] في وركيه الأسود الأقدع الرجل الممسوح الذي [illegible] المنتن التي [illegible] المنظر والخبر. فلما قال دمنة ذلك [illegible] وجه سيّد الخنازير وسقط وتحوّل وتغيّر [illegible] وسكت وفتر [illegible]. فقال دمنة حين رأى انكساره وبكاءه: ما ينبغي أن يطول بكاؤك إذ أطلع الملك على قذرك وعيوبك فعزلك عن طعامه وحال بينك وبين خدمته وأبعدك عن حضرته. ثمّ إن شعهر [illegible] الأسد قد حرّبه [illegible] فوجد فيه [illegible] فقرّبه في خدمته [illegible] فخطّه يجري [illegible] وبضاعة عينه. فقدم الشعهر فدخل على الأسد فحدّثه بالخبر كلّه على جليّته. فأمر الأسد بعزل سيّد الخنازير عن عمله

[illegible]

[illegible] ٥ زدد في كلام آخر

وَأَمَرَ أَنْ لَا يُدْخَلَ عَلَيْهِ وَلَا يُرَى وَجْهُهُ وَأَمَرَ بِدِمْنَةَ أَنْ يُرَدَّ إِلَى
السِّجْنِ وَقَدْ مَضَى مِنَ النَّهَارِ أَكْثَرُهُ. وَجَمِيعُ مَا جَرَى وَقِيلَ
وَقَالَ كُتِبَ وَخُتِمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ النَّمِرِ وَرَجَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى
مَنْزِلِهِ * ثُمَّ إِنَّ شعهر [illegible] كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَلِيلَةَ إِخَاءٌ
وَمَوَدَّةٌ وَكَانَ عِنْدَ الْأَسَدِ وَجِيهًا وَعَلَيْهِ كَرِيمًا. وَإِنَّ كَلِيلَةَ
أَخَذَهُ الْوَجْدُ [illegible] مِنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ أَخِيهِ وَحَذَرًا عَلَيْهِ
فَمَرِضَ وَمَاتَ. ثُمَّ انْطَلَقَ شعهر إِلَى دِمْنَةَ فَأَخْبَرَهُ بِمَوْتِ
كَلِيلَةَ فَبَكَى وَحَزِنَ وَقَالَ مَا أَصْنَعُ بِالْحَيَاةِ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْأَخِ
الصَّفِيِّ وَالْحُرِّ الْوَفِيِّ. إِنَّ الْآنَ دَاخِلُ بَلِيَّةٍ أَذَى الشَّرِّ مِنْ
كُلِّ جَانِبٍ وَأَكْثَرُهُ الْهَمُّ وَالْحُزْنُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَلَكِنْ
أَحْمَدُ اللهَ تَعَالَى إِذْ أَبْقَى [illegible] حِينَ [illegible] مِنْ ذَوِي
قَرَابَتِي أَخًا مِثْلَكَ فَإِنِّي قَدْ وَثِقْتُ بِعِنَايَةِ اللهِ تَعَالَى وَإِحْسَانِهِ
بِي فِيمَا رَأَيْتُ مِنْ [illegible] عِنَايَتِكَ بِي وَدَرَعَتِكَ لِي وَقَدْ عَلِمْتُ
أَنَّكَ رَجَائِي وَرُكْنِي فِيمَا أَنَا فِيهِ وَأُرِيدُ مِنْ إِنْعَامِكَ أَنْ
تَنْطَلِقَ إِلَى مَكَانِ كَذَا فَتَنْظُرَ إِلَى مَا جَمَعْتُهُ أَنَا وَأَخِي بِحِيلَتِنَا
وَسَعْيِنَا وَبِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى فَتَأْتِيَنِي بِهِ. فَفَعَلَ الشعهر مَا أَمَرَهُ

١ أي همّ شديد ٢ كلمة ترك ٣ ذري

به دمنة. فلما وضع المال بين يديه أعطاه شعهر وقال له
إنك على الدخول والخروج على الأسد أقدر من غيرك
فتفرغ لشأني وانصرف فتهمم بي واسمع ما ذكرني به عند
الأسد إذا رفع إليه ما جرى بيني وبين خصومي وما يبدو من
أم الأسد في حقي وما ترى من إمضاء الأسد بها ومحاسبته إياها
في أمري واحفظ ذلك كله. فأخذ الشعهر ما أعطاه دمنة
وانصرف عنه على هذا العهد فانطلق إلى منزله فوضع المال
فيه. ثم إن الأسد بكر من بعد غد حتى إذا مضى من النهار
ساعتان استأذن عليه أصحابه في الدخول فأذن لهم فدخلوا
عليه ووضعوا الكتاب بين يديه فلما عرف قولهم وقول دمنة
دعا بأمه فقرأ عليها ذلك فلما سمعت ما في الكتاب نادت
بأعلى صوتها إن أنا أغلظت في القول فلا تلمني فإنك لست
تعرف ضرك من نفعك أليس هذا ما كنت أنهاك عن سماعه
لأنه كلام هذا المجرم المسيء الغادر المفسد. ثم إنها خرجت
مغضبة وذلك بعين الشعهر الذي جاءه دمنة وسمعه فخرج
في إثرها مسرعاً حتى أتى دمنة فحدثه بالحديث. فبينما هو

عنده إذ جاء رسول الأسد فانطلق بدمنة إلى مجمع عند
القاضي فلما مثل بين يدي القاضي افتتح سيد المجلس فقال يا
دمنة قد أنبأني عن خبرك الأمين الصادق وليس ينبغي أن
نفحص عن شأنك أكثر من هذا لأن العلماء قالوا إن الله
تعالى جعل الدنيا سببا إلى الآخرة ومصداقا لها لأنها دار الرسل
والأنبياء الدالين على خير الهادين إلى الجنة الداعين إلى
معرفة الله تعالى وقد ثبت شأنك عندنا وأخبرنا عنك
من وثقنا بقوله إلا أن سيدنا أمرنا بالعود في أمرك والفحص
عن شأنك وإن كان عندنا ظاهرا بينا قال دمنة أراك أيها
القاضي لم تتعود العدل في القضاء وليس في عدل الملوك
دفع المظلومين ومن لا ذنب له إلى قاض غير عادل بل
المخاصمة لهم والذود عن حقوقهم فكيف ترى أن أقتل
ولم أخاصم وتعجل ذلك موثقة بهواك ولم تمض بعد ثلاثة
أيام ولكن صدق الذي قال إن الذي تعود عمل البر
يهون عليه عمله وإن صعب فقال القاضي إنا نجد في كتب
الأولين أن القاضي العاقل ينبغي له أن يعرف عمل المحسن

١ رسول سلطان مقدم على وجهه ٢ سببه ٣ مصدقه ٤ تعود

وَٱلْمُسِيءِ لِيُجَازِيَ ٱلْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ وَٱلْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ. فَإِذَا ذَهَبَ إِلَى هَذَا ٱزْدَادَ ٱلْمُحْسِنُونَ حِرْصًا عَلَى ٱلْإِحْسَانِ وَٱلْمُسِيئُونَ ٱجْتِنَابًا لِلذُّنُوبِ. وَٱلرَّأْيُ لَكَ يَا دِمْنَةُ أَنْ تَنْظُرَ ٱلَّذِي وَقَعْتَ فِيهِ وَتَعْتَرِفَ بِذَنْبِكَ وَتُقِرَّ بِهِ وَتَتُوبَ فَلَأَنْ يُعَاقَبَ ٱمْرُؤٌ فِي ٱلدُّنْيَا خَيْرٌ مِنْ عِقَابِ ٱلْآخِرَةِ. فَأَجَابَهُ دِمْنَةُ: إِنَّ صَالِحِي ٱلْقُضَاةِ لَا يَقْطَعُونَ بِٱلظَّنِّ وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ لَا فِي ٱلْخَاصَّةِ وَلَا فِي ٱلْعَامَّةِ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا. وَأَنْتُمْ إِنْ ظَنَنْتُمْ أَنِّي مُجْرِمٌ فِيمَا فَعَلْتُ فَإِنِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْكُمْ وَعِلْمِي بِنَفْسِي يَقِينٌ لَا شَكَّ فِيهِ وَعِلْمُكُمْ بِي غَايَةُ ٱلشَّكِّ. وَإِنَّمَا قَبُحَ أَمْرِي عِنْدَكُمْ أَنِّي سَعَيْتُ بِغَيْرِي فَمَا عُذْرِي عِنْدَكُمْ إِذَا سَعَيْتُ بِنَفْسِي كَاذِبًا عَلَيْهَا فَأَسْلَمْتُهَا لِلْقَتْلِ وَٱلْعَطَبِ عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنِّي بِبَرَاءَتِي وَسَلَامَتِي مِمَّا قُرِفْتُ بِهِ وَنَفْسِي أَعْظَمُ ٱلْأَنْفُسِ عَلَيَّ حُرْمَةً وَأَوْجَبُهَا حَقًّا. فَلَوْ فَعَلْتُ هَذَا بِأَقْصَاكُمْ وَأَدْنَاكُمْ مَا وَسِعَنِي فِي دِينِي وَلَا حَسُنَ بِي فِي مُرُوءَتِي وَلَا حَقَّ لِي أَنْ أَفْعَلَهُ فَكَيْفَ أَفْعَلُهُ بِنَفْسِي. فَٱكْفُفْ أَيُّهَا ٱلْقَاضِي عَنْ هَذِهِ ٱلْمَقَالَةِ فَإِنَّهَا إِنْ كَانَتْ نَصِيحَةً فَقَدْ أَخْطَأَتْ مَوْضِعَهَا وَإِنْ كَانَتْ

١ أي متعرض بك ٢ أبعد[illegible] ٣ [illegible]

خَدِيعَة فَإِنَّ أَقْبَحَ ٱلْخِدَاعِ مَا كَانَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ. مَعَ أَنَّ ٱلْخِدَاعَ وَٱلْمَكْرَ لَيْسَا مِنْ أَعْمَالِ صَالِحِي ٱلْقُضَاةِ وَلَا ثِقَاتِ ٱلْوُلَاةِ. وَٱعْلَمْ أَنَّ قَوْلَكَ مِمَّا يَتَّخِذُهُ ٱلْجُهَّالُ وَٱلْأَشْرَارُ سُنَّةً يَقْتَدُونَ بِهَا لِأَنَّ أُمُورَ ٱلْقَضَاءِ يَأْخُذُ بِصَوَابِهَا أَهْلُ ٱلصَّوَابِ وَبِخَطَئِهَا أَهْلُ ٱلْخَطَإِ وَٱلْبَاطِلِ وَٱلْقَلِيلُو ٱلْوَرَعِ. وَمَا أَخَافُ عَلَيْكَ أَيُّهَا ٱلْقَاضِي مِنْ مَقَالَتِكَ هٰذِهِ أَعْظَمَ ٱلرَّزَايَا وَٱلْبَلَايَا. وَلَيْسَ مِنَ ٱلْبَلَاءِ وَٱلْمُصِيبَةِ أَنَّكَ لَمْ تَزَلْ فِي بَيْتِ ٱلْمَلِكِ وَتَحْظُو لِخَاصَّةِ وَٱلْعَامَّةِ فَاضِلًا فِي رَأْيِكَ مُقْنِعًا فِي عَقْلِكَ مَرْضِيًّا فِي حُكْمِكَ وَعَفَافِكَ وَفَضْلِكَ. وَرُبَّمَا ٱلْبَلَاءُ كَيْفَ أَنْسِيتَ ذٰلِكَ فِي أَمْرِي. أَوَمَا بَلَغَكَ عَنِ ٱلْعُلَمَاءِ أَنَّهُمْ قَالُوا مَنِ ٱدَّعَى عِلْمَ مَا لَا يَعْلَمُهُ وَشَهِدَ عَلَى ٱلْغَيْبِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ ٱلْبَازِيَارَ ٱلْقَاذِفَ زَوْجَةَ مَوْلَاهُ. قَالَ ٱلْقَاضِي وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْمُدُنِ رَجُلٌ مِنَ ٱلْمَرَازِبَةِ مَذْكُورٌ. وَكَانَتْ لَهُ ٱمْرَأَةٌ ذَاتُ جَمَالٍ وَعَفَافٍ. وَكَانَ لِلرَّجُلِ بَازِيَارٌ مَاهِرٌ خَبِيرٌ بِعِلَاجِ ٱلْبُزَاةِ وَسِيَاسَتِهَا وَكَانَ هٰذَا ٱلْبَازِيَارُ عِنْدَ هٰذَا ٱلرَّجُلِ بِمَكَانٍ جَلِيلٍ بِحَيْثُ أَدْخَلَهُ

١ مرضيًا أي رضيّ ٢ [illegible] ٣ جمع مرزبان وهو رئيس الفرس

دارهِ وأحلّهُ مع حرمهِ . فاتّفقَ أن وقعتْ كلمةٌ من
البازيارِ لزوجةِ مولاهُ فسخطتْ بذلكَ ونفرتْ فغضبَ
وعملَ على أن يكيدَها بمكيدةٍ . فخرجَ يوماً إلى الصيدِ
على عادتِهِ فأصابَ فرخَيْ ببغاءٍ فأخذَهما وجاءَ بهما
إلى منزلِهِ وربّاهما . فلمّا كبرا فرّقَ بينهما وجعلَهما في قفصينِ
وعلّمَ أحدَهما أن يقولَ رأيتُ ريبةً في مولاتي وعلّمَ الآخرَ
أن يقولَ ما أنا فلا أقولُ شيئاً . ثمّ أدّبهما على ذلكَ حتّى أتقناهُ
وحذقاهُ في ستّةِ أشهرٍ . فلمّا بلغَ الذي أرادَ منهما حملَهما إلى
أستاذِهِ فلمّا رآهما أعجباهُ وتصفّقا بينَ يديهِ فأطرباهُ إلّا أنّهُ لم
يعلمْ ما يقولانِ لأنّ البازيارَ كانَ قد علّمَهما بلغةِ البلخيّينَ .
وإنّ المرزبانَ أُعجبَ بهما عجباً شديداً وحظيَ البازيارُ
عندهُ بذلكَ حظوةً كريمةً فأمرَ امرأتَهُ بالاحتياطِ عليهما
والاحتفاظِ بهما ففعلتِ المرأةُ ذلكَ . فاتّفقَ أنّهُ بعدَ مدّةٍ
قدِمَ على الرجلِ قومٌ من عظماءِ بلخٍ فتأنّقَ لهم في الطعامِ
والشرابِ وجمعَ من أصنافِ الفواكهِ وأنفقَ شيئاً كثيراً

١ ساتو

وحضر القوم فلما فرغوا من الطعام وشرعوا في الحديث أشار
المرزبان إلى البازيار أن يأتي بالببغاءين فأحضرهما فلما
وضعتا بين يديه صاحتا بما كانتا علمتاه فعرف أولئك العظماء
ما قالتا فنظر بعضهم إلى بعض ونكسوا رؤوسهم حياء وخجلا
وجعل يغمز بعضهم بعضا . فقال الرجل ما أعلم ما تقولان
ولكن يعجبني ذلك منهما وسألهم عما تقولان فامتنعوا أن
يقولوا ما قالتا فألح عليهم وأكثر السؤال عما قالتا . فقالوا
إنهما تقولان كذا وكذا ونحن من شأننا أن كل من بيت
يعمل فيه الفجور فلما فعل ذلك أشار الرجل أن يكلموهما
بلسان البلخية بغير ما علمتاه به ففعلوا ذلك فوجدوهما
لا تعرفان غير ما تكلمتا به وتبين لهم وللجماعة حصانة
المرأة وبراءتها مما رميت به ووضح كذب البازيار فأمر
بالبازيار أن يدخل عليه وكان على يده باز أشهب فصاحت
به المرأة من داخل البيت أيها العدو لنفسه أنت رأيتني على
ما ذكرت وعلمت به الببغاءين قال نعم رأيتك على

١ عفاف ٢ يصر في سواد

مثل هؤلاء. فوثب البازي الى وجهه ففقأ عينه بمخالبه فقالت المرأة بحقٍّ اصابك هذا انه لجزاء من الله تعالى لشهادتك بما لم تره عينك * وانما ضربت لك هذا المثل ايها القاضي لتزداد علمًا بوخامة عاقبة الشهادة بالكذب في الدنيا والآخرة. فلما سمع القاضي ذلك من مقال دمنة نهض ورفعه الى الاسد على وجهه فنظر فيه الاسد ثم دعا امه فعرضه عليها فقالت حين تدبرت كلام دمنة لقد صار اهتمامي بما اتخوف من احتيال دمنة لك بمكره ودهائه حتى يقتلك او يفسد عليك امرك اعظم من اهتمامي بما سلف من ذنبه اليك في الغش والسعاية حتى قتلت صديقك بغير ذنب. فوقع قولها في نفسه فقال لها اخبريني عن الذي اخبرك عن دمنة بما اخبرك فيكون حجة لي في قتل دمنة فقالت اكره افشاء سر من استكتمنيه ولا يهنئني سروري بقتل دمنة اذا تذكرت اني استظهرت عليه بركوب ما نهت عنه العلماء من كشف السر. ولكني اطلب الذي استودعنيه ان يحلني من ذكره

١ هؤلاء ٢ في على حكمه ٣ ما لم تره ٤ ابدًا ٥ سلف ٦ بركاب
٧ يحلني في حل من ذكري فقال لها

ويقوم هو بعينه وما سمع منه. ثم انصرفت وأرسلت الى النمر وذكرت له ما يحق عليه من التقرب بالأسد وحسن معونته على الحق وإخراج نفسه من الشهادة التي لا يكتمها مثله مع ما يحق عليه من نصر المظلومين وتثبيت حجة الحق في الحياة والممات. فإن العلماء قد قالت من كتم حجة ميت أخطأ حجته يوم القيامة. فلم يزل به حتى قام فدخل على الأسد فشهد عنده بما سمع من إقرار دمنة. فلما شهد النمر بذلك أرسل الفهد المسجون الذي سمع إقرار دمنة وحفظه الى الأسد فقال إن عندي شهادة فأخرجوني فشهد بما سمع من إقراره. فقال لهما الأسد ما منعكما أن تقوما بشهادتكما وقد علمتما أمرنا وهمنا بالفحص عن أمر دمنة. فقال كل واحد منهما قد علمت أن شهادة الواحد لا توجب حكما فكرهت التعرض لغير ما يمضي به الحكم حتى اذا شهد أحدنا قام الآخر. فقبل الأسد قولهما وأمر بدمنة أن يقتل فقتل وصلب على رؤوس الأشهاد ونادى المنادي هذا جزاء من يسعى بين الملوك وبين أخدانهم وبطانتهم بالكذب والبهتان

١ لم يصب ٢ حاشيتهم

فَمَنْ نَظَرَ فِي هٰذَا فَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَرَادَ مَنْفَعَةَ نَفْسِهِ بِضَرِّ غَيْرِهِ بِالْخِلَابَةِ وَالْمَكْرِ فَإِنَّهُ حَرِيٌّ عَلَى خِلَابَتِهِ وَمَكْرِهِ

بَابُ

الْحَمَامَةِ الْمُطَوَّقَةِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ مَثَلَ الْمُتَحَابَّيْنِ كَيْفَ قَطَعَ بَيْنَهُمَا الْكَذُوبُ وَإِلَى مَاذَا صَارَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَحَدِّثْنِي إِنْ رَأَيْتَ عَنْ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ كَيْفَ يَبْتَدِئُ تَوَاصُلُهُمْ وَيَسْتَمْتِعُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ قَالَ الْفَيْلَسُوفُ إِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَعْدِلُ بِالْإِخْوَانِ شَيْئًا فَالْإِخْوَانُ هُمُ الْأَعْوَانُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ وَالْمُؤَاسُونَ عِنْدَ مَا يَنُوبُ مِنَ الْمَكْرُوهِ وَمِنْ أَمْثَالِ ذٰلِكَ مَثَلُ الْحَمَامَةِ الْمُطَوَّقَةِ وَالْجُرَذِ وَالظَّبْيِ وَالْغُرَابِ قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ بَيْدَبَا زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ سَكَاوَنْدَجِينَ عِنْدَ مَدِينَةِ دَاهِرَ مَكَانٌ كَثِيرُ الصَّيْدِ يَنْتَابُهُ الصَّيَّادُونَ وَكَانَ فِي ذٰلِكَ الْمَكَانِ

١ الخديعة بالغش ٢ أي جدير ٣ يحدث ٤ يتردد عليه

شجرة كثيرة الأغصان ملتفة الورق فيها وكر غراب فبينما هو ذات يوم ساقط في وكره إذ بصر بصياد قبيح المنظر سيء الخلق على عاتقه شبكة وفي يده عصا مقبلا نحو الشجرة فذعر منه الغراب وقال لقد ساق هذا الرجل إلى هذا المكان إما حيني وإما حين غيري فلأثبتن مكاني حتى أنظر ماذا يصنع ثم إن الصياد نصب شبكته ونثر عليها الحب وكمن قريبا منها فلم يلبث إلا قليلا حتى مرت به حمامة يقال لها المطوقة وكانت سيدة الحمام ومعها حمام كثير فعميت هي وصاحباتها عن الشرك فوقعن على الحب يلتقطنه فعلقن في الشبكة كلهن وأقبل الصياد فرحا مسرورا فجعلت كل حمامة تضطرب في حبائلها وتلتمس الخلاص لنفسها قالت المطوقة لا تخاذلن في المعالجة ولا تكن نفس إحداكن أهم إليها من نفس صاحبتها ولكن نتعاون جميعا ونطير كطائر واحد فيحمل بعضنا بعضا فجمعن أنفسهن ووثبن وثبة واحدة فقلعن الشبكة جميعهن بتعاونهن وعلون بها في الجو ولم يقطع الصياد رجاءه منهن وظن أنهن لا يجاوزن إلا قريبا حتى

١ مضطربة ٢ شراكها ٣ وتترك إحدى

يتبعهن. فقال الغراب لأتبعهن وأنظر ما يكون منهن. فالتفتت
المطوقة فرأت الصياد يتبعهن فقالت للحمام هذا الصياد جادّ
في طلبكن فإن نحن أخذنا في الفضاء لم يخف عليه أمرنا ولم يزل
يتبعنا وإن نحن توجهنا إلى العمران خفي عليه أمرنا وانصرف
وبمكان كذا جرذ هو لي أخ فلو انتهينا إليه قطع عنا هذا الشرك
ففعلن ذلك وأيس الصياد منهن وانصرف وتبعهن الغراب
ينظر إليهن علّه يعرف منهن حيلة تكون له عدة عند الحاجة
فلما انتهت الحمامة المطوقة إلى الجرذ أمرت الحمام أن
يسقطن فوقعن وكان للجرذ مئة جحر أعدها للمخاوف. فنادته
المطوقة باسمه وكان اسمه زيرك فأجابها الجرذ من جحره من
أنت قالت أنا خليلتك المطوقة. فأقبل إليها الجرذ يسعى
فقال لها ما أوقعك في هذه الورطة قالت له ألم تعلم أنه ليس
من الخير والشر شيء إلا وهو مقدر على من تصيبه المقادير
وهي التي أوقعتني في هذه الورطة فقد لا يمتنع من القدر من
هو أقوى مني وأعظم أمرا وقد تنكسف الشمس ويخسف
القمر إذا قضي ذلك عليهما. ثم إن الجرذ أخذ في قرض

الاماكن المعمورة ٢ بشر

العقد الذي فيه المطوقة فقالت له المطوقة ابدأ بقطع
عقد سائر الحمام وبعد ذلك أقبل على عقدي وأعادت عليه
ذلك مرارا وهو لا يلتفت إلى قولها فلما أكثرت عليه القول
وكررت قال لها لقد كررت القول علي كأنك ليس لك في
نفسك حاجة ولا لك عليها شفقة ولا ترعين لها حقا. قالت
إني أخاف إن أنت بدأت بقطع عقدي أن تمل وتكسل عن
قطع ما بقي وعرفت أنك إن بدأت بهن قبلي وكنت أنا
الأخيرة لم ترض وإن أدركك الفتور أن أبقى في الشرك.
قال الجرذ هذا مما يزيد الرغبة فيك والمودة لك ثم إن الجرذ
أخذ في قرض الشبكة حتى فرغ منها فانطلقت المطوقة
وحمامها معها فلما رأى الغراب صنيع الجرذ رغب في مصادقته
فجاء ونادى الجرذ باسمه فخرج الجرذ من جحره فقال ما حاجتك
قال إني أريد مصادقتك قال الجرذ ليس بيني وبينك تواصل
وإنما العاقل ينبغي له أن يطلب ما يجد إليه سبيلا ويترك
طلب ما ليس إليه سبيل كمن أراد أن يجري السفن في
البر والعجل في البحر وإنما أنت الآكل وأنا طعام لك.

[illegible]

قال الغراب إن أكلي إياك وإن كنت لي طعاما مما لا يغني عني شيئا وإن مودتك آنس لي مما ذكرت ولست بحقيق إذا جئت أطلب مودتك أن ترجعني خائبا فإنه قد ظهر لي منك من حسن الخلق ما رغبني فيك وإن لم تكن تلتمس إظهار ذلك فإن العاقل لا يخفى فضله وإن هو أخفاه كالمسك الذي يكتم ثم لا يمنعه ذلك من النشر الطيب والأرج الفائح قال الجرذ إن أشد العداوة عداوة الجوهر وهي عداوتان منها ما هي متكافئة كعداوة الفيل والأسد فإنه ربما قتل الأسد الفيل أو الفيل الأسد ومنها ما قوة أحدهما على الآخر كالذي بيني وبين السنور وبيني وبينك فإن العداوة التي بيننا ليست تضرك وإنما ضررها علي فإن الماء لو أطيل إسخانه لم يمنعه ذلك من إطفائه النار إذا صب عليها وإنما مصاحب العدو ومصالحه كصاحب الحية يحملها في كمه والعاقل لا يستأنس إلى العدو الأريب قال الغراب قد فهمت ما تقول وأنت خليق أن تأخذ بفضل خليقتك وتعرف صدق مقالي ولا تصعب علي

١ مثل ٢ هـ

الأمر فإنك ليس إلى التواصل بيننا سبيل فإن العقلاء الكرام
لا يبتغون على معروف جزاء والمودة بين الصالحين سريع
اتصالها بطيء انقطاعها ومثل ذلك مثل كوز الذهب بطيء
الانكسار سريع الإعادة هين الإصلاح إن أصابه ثلم أو كسر
والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها ومثل
ذلك مثل كوز الفخار سريع الانكسار ينكسر من أدنى شيء
ولا وصل له أبدا والكريم يود الكريم واللئيم لا يود أحدا إلا
عن رغبة أو رهبة وأنا إلى ودك ومعروفك محتاج لأنك
كريم وأنا ملازم بابك غير ذائق طعاما حتى تؤاخيني وعلم
بي ولو كنت أشاء ضررك لفعلت حين كنت مختبئا فوق رأسك
عند ما كنت تقطع حبائل أخوانك قال الجرذ قد قبلت
إخاءك فإني لم أردد أحدا عن حاجة قط وإنما بدأتك بما
بدأتك به إرادة التوثق بنفسي فإن أنت غدرت بي لم تقل
إني وجدت الجرذ ضعيف الرأي سريع الانخداع ثم خرج من
جحره فوقف عند الباب فقال له الغراب ما يمنعك من
الخروج إلي والاستئناس بي أو في نفسك بعد مني ريبة قال

١ خذ بيدي الاحتياط

الجرذ إنّ أهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين ويتواصلون
عليهما وهما ذات النفس وذات اليد فالمتبادلون ذات
النفس هم الأصفياء وأما المتبادلون ذات اليد فهم المتعاونون
الذين يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض ومن كان يصنع
المعروف لبعض منافع الدنيا فإنما مثله فيما يبذل ويعطي
كمثل الصياد وإلقائه الحبّ للطير لا يريد بذلك نفع الطير
وإنما يريد نفع نفسه فتعاطي ذات النفس أفضل من تعاطي
ذات اليد وإني وثقت منك بذات نفسك ومنحتك من نفسي
مثل ذلك وليس يمنعني من الخروج إليك سوء ظنّ بك
ولكن قد عرفت أن لك أصحابا جوهرهم كجوهرك وليس رأيهم
فيّ كرأيك قال الغراب إنّ من علامة الصديق أن يكون
لصديق صديقه صديقا ولعدوّ صديقه عدوّا وليس لي بصاحب
ولا صديق من لا يكون لك محبا وإنه يهون عليّ قطيعة من
كان كذلك من جوهري فإنّ زارع الريحان إذا رأى بينه
عشبا يفسده قلعه ورمى به ثم إنّ الجرذ خرج إلى الغراب
فتصافحا وتصافيا وأنس كل واحد منهما بصاحبه حتى إذا

[illegible]

مضت أيام فقد الغراب حماره ثم خرجت فقربت من طريق
سائر وأخذت أنتظر بعض السائرين بحمار ولي مكان في
غيبته ولي فيه صديق من الزاحف وهو مختبئ من سمك
وحجر وحيوان هنالك فقال له إني أريد أن أتحقق لك في
هذا المجلس نبين قال الحمار وأنا أشكر لك يا صاحبي هذا
في الحمار وقصص لي قصتها عليك حيث تريد
وتفعل ما تشاء وأخذ الغراب يدب على الحمار وطار به حتى بلغ
حيث أراد فشهد من الغصن نحو شجرة أثمرت
شجرة الغراب ومعه حماره وقد عثرت عليه له صاحبها
فاذا هو فرحت إليه وسألته من أين جئت وأخبرها بقصته
حين تبع الحمام وما كان من مروره من الحمار حتى شفى أبيه
فلما سمعت القصة شكرت الحمار بحثت من عنده ووقفت به ورحبت
به وقالت له ما سبقت في هذه الأرض قال الغراب لحمار
قصص علي الأخبار التي فيت بك تحدثني به وحدثني بهامع
حوادث ما صار من صحة قالت عشت شهرتي قد حمرد وقال
كان منزلي أول مرة بحديقة موروثة في بيت رجل

ناسك وكان خاليا من الأهل والعيال وكان يؤتى في كل يوم بجونة من الطعام فيأكل منها حاجته ويعلق الباقي . وكنت أرصد الناسك حتى يخرج وأثب إلى الجونة فلا أدع فيها طعاما إلا أكلته ورميت به إلى الجرذان فجهد الناسك مرارا أن يعلق الجونة في مكان لا أناله فلم يقدر على ذلك حتى نزل به ذات ليلة ضيف فأكلا جميعا ثم أخذا في الحديث فقال الناسك للضيف من أي أرض أقبلت وأين تريد الآن وكان الرجل قد جاب الآفاق ورأى عجائب فأنشأ يحدث الناسك عما وطئ من البلاد ورأى من العجائب وجعل الناسك خلال ذلك يصفق بيديه لينفرني عن الجونة فغضب الضيف وقال أنا أحدثك وأنت تهزأ بحديثي فما حملك على أن سألتني فاعتذر إليه الناسك وقال إنما أصفق بيدي لأنفر جرذا قد تحيرت في أمره ولست أضع في البيت شيئا إلا أكله . فقال الضيف جرذ واحد يفعل ذلك أم جرذان كثيرة . فقال الناسك جرذان البيت كثيرة ولكن فيها جرذا واحدا هو الذي غلبني فما

١ سلة صغيرة مغطاة ٢ قطع ٣ ... ٤ ... ٥ ...

تستطيع له حيلة. قال الضيف: قد ذكرتني قول الذي قال: لأمر ما باعت هذه المرأة سمسما مقشورا بغير مقشور. قال الناسك: وكيف كان ذلك؟

قال الضيف: نزلت مرة على رجل بمكان كذا فتعشينا ثم فرش لي وتقلب على فراشه. فسمعته يقول في آخر الليل لامرأته: إني أريد أن أدعو غدا رهطا ليأكلوا عندنا فاصنعي لهم طعاما. فقالت المرأة: كيف تدعو الناس إلى طعامك وليس في بيتك فضل عن عيالك وأنت رجل لا تبقي شيئا ولا تدخره. قال الرجل: لا تندمي على شيء أطعمناه وأنفقناه فإن الجمع والادخار ربما كانت عاقبته كعاقبة الذئب. قالت المرأة: وكيف كان ذلك؟

قال الرجل: زعموا أنه خرج ذات يوم رجل قانص ومعه قوسه ونشابه. فلم يجاوز غير بعيد حتى رمى ظبيا فحمله ورجع طالبا منزله. فعرض له خنزير بري فرماه بنشابة نفذت فيه فأدركه الخنزير وضربه بأنيابه ضربة أطارت من يده القوس ووقعا ميتين. فأتى عليهم ذئب فقال: هذا الرجل

[illegible]

والظبي والخنزير يكفيني أكلهم مدة ولكن لا أبدأ إلا بالوتر فآكله
فيكون قوت يومي وأدخر الباقي لغد فعالج الوتر
حتى قطعه فلما قطعه طارت سية القوس فضربت حلقه فمات *
وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الجمع والادخار وخيم
العاقبة فقالت المرأة نعم ما قلت وعندنا من الأرز والسمسم
ما يكفي ستة نفر أو سبعة فأنا غادية على صنع الطعام
فادع من أحببت وأخذت المرأة حين أصبحت سمسما
فقشرته وبسطته في الشمس ليجف وقالت لغلام لهم اطرد
عنه الطير والكلاب وتفرغت المرأة لصنعها وغفل الغلام
عن السمسم فجاء كلب فعاث فيه فاستقذرته المرأة
وكرهت أن تصنع منه طعاما فذهبت به إلى السوق فأخذت
به مقايضة سمسما غير مقشور مثلا بمثل وأنا واقف في السوق
فقال رجل لأمر ما باعت هذه المرأة سمسما مقشورا بغير
مقشور * وكذلك قولي في هذا الجرذ الذي ذكرت أنه على
غير علة ما يقدر على ما شكوت منه فالتمس لي فأسا لعلي
أحتفر جحره فأطلع على بعض شأنه فالتمس الناسك من

[illegible]

بعض جدرانه فسمعت بها الضيف وأنا حينئذ في جحر غير جحري أسمع كلامهما وفي جحري كيس فيه مئة دينار لا أدري من وضعها . فاحتفر الضيف حتى انتهى إلى الدنانير فأخذها وقال للناسك ما كان هذا الجرذ يقوى على الوثوب حيث كان يثب إلا بهذه الدنانير فإن المال جعل قوة وزيادة في الرأي والتمكن وسترى بعد هذا أنه لا يقدر على الوثوب حيث كان يثب فلما كان من الغد اجتمعت الجرذان التي كانت معي فقالت قد أصابنا الجوع وأنت رجاؤنا . فانطلقت ومعي الجرذان إلى المكان الذي كنت أثب منه إلى السلة فحاولت ذلك مرارا فلم أقدر عليه فاستبان للجرذان نقص حالي فسمعتهن يقلن انصرفن عنه ولا تطمعن فيما عنده فإنا نرى له حالا لا نحسبه إلا قد احتاج معها إلى من يعوله . فتركنني ولحقن بأعدائي وجفونني وأخذن في عيبتي عند من يعاديني ويحسدني وضحكن كأنهن لم يعرفنني وكأني لم أكن عليهن رئيسا قط . فقلت في نفسي ما الإخوان ولا الأعوان ولا الأصدقاء إلا بالمال . ووجدت من لا مال له إذا أراد أمرا

فقعد به العدم عما يريده كالماء الذي يبقى في الأودية من
مطر الشتاء لا يمرّ إلى نهر ولا يجري إلى مكان إلى أن ينشف
ولا ينتفع به. ووجدت من لا إخوان له لا أهل له
ومن لا ولد له لا ذكر له ومن لا مال له لا عقل له ولا دنيا ولا
آخرة له لأن من نزل به الفقر لا يجد بدًّا من ترك الحياء ومن ذهب
حياؤه ذهب سروره ومن ذهب سروره مقت نفسه ومن مقت
نفسه كثر حزنه ومن كثر حزنه قلّ عقله وارتبك في أمره ومن
قلّ عقله كان أكثر قوله وعمله عليه لا له ومن كان كذلك
فأحرى أن يكون أنكد الناس حظًّا في الدنيا والآخرة. ثم إن
الرجل إذا افتقر قطعه أقاربه وإخوانه وأهل ودّه ومقتوه
ورفضوه وأهانوه واضطره ذلك إلى أن يلتمس من الرزق ما
يغرر فيه بنفسه ويبذل فيه دينه فيخسر الدارين جميعًا وإن
الشجرة النابتة في السبخة المأكولة من كل جانب كحال
الفقير المحتاج إلى ما في أيدي الناس. ووجدت الفقر رأس
كل بلاء وجالبًا إلى صاحبه كل مقت ومعدن النميمة.
ووجدت الرجل إذا افتقر اتهمه من كان له مؤتمنًا وساء به

١ [illegible]

ظنّ من كان يظنّ به حسنًا فإن أذنب غيره كان هو للتهمة موضعًا وليس من خلّة هي للغني مدحٌ إلّا وهي للفقير ذمٌّ فإن كان شجاعًا قيل أهوجُ[1] وإن كان جوادًا سُمّي مبذّرًا وإن كان حليمًا سُمّي ضعيفًا وإن كان وقورًا سُمّي بليدًا وإن كان صموتًا سُمّي عييًّا وإن كان بليغًا سُمّي مهذارًا فالموت أهون من الحاجة التي تحوج صاحبها إلى المسألة ولا سيما مسألة الأشحّاء واللئام فإن الكريم لو كُلّف أن يُدخل يده في فم أفعى فيخرج منها سمًّا فيبتلعه كان ذلك أهون عليه وأحبّ إليه من مسألة البخيل اللئيم وقد قيل في قديم الأقاويل إن من ابتُلي بمرض في جسده لا يفارقه حتى يتسلّط عليه ما هو أشدّ منه من الحاجة والفقر * وقد كنت رأيت الضيف حين أخذ الدنانير فقسمها مع الناسك جعل الناسك نصيبه في خريطة عند رأسه لما جنّ الليل فطمعت أن أصيب منه شيئًا فأردّه إلى جحري ورجوت أن يزيد ذلك في قوّتي أو يرجع إليّ بعض أصدقائي . فانطلقت

١ كريهة ٢ كثير الحمق ٣ بليد عاجز ٤ قبيح ... ٥ كثير الكلام في الخطإ ... ٦ وعاء من جلد ٧ ...

في المال زهدي ثم حتى أتيت عند رأسه فوجدت الضيف
يقظان وبيده قضيب فضربني على رأسي ضربة موجعة فانقلبت
راجعاً إلى جحري فتماسكت ثم أدركني الحرص والشره فخرجت
طمعاً كطمعي الأول وإذا الضيف يرصدني فضربني
بالقضيب ضربة أسالت مني الدم فتدحرجت على عقبي وتقلبت
ظهراً لبطن إلى جحري فخررت مغشياً علي فأصابني من الوجع
ما بغّض إليّ المال حتى لا أسمع بذكره إلا تداخلني من ذكر
المال رعدة وهيبة ثم تذكرت فوجدت البلاء في الدنيا
إنما يسوقه الحرص والشره لأنهما لا يزالان يدخلان صاحبهما
من شيء إلى شيء والأشياء لا تنفد ولا تنتهي. ولا يزال
صاحب الدنيا في بلية وتعب ونصب. ووجدت ركوب الأهوال
وتجشم الأسفار البعيدة في طلب الدنيا أهون علي من بسط اليد
إلى السخي بالمال فكيف بالشحيح به. ولم أر كالرضى شيئاً
ووجدت العلماء قد قالوا لا عقل كالتدبير ولا ورع
ككف الأذى ولا حسب كحسن الخلق ولا غنى كالرضى.
وأحق ما صبر الإنسان على الشيء نفسه وأفضل البر الرحمة

١ تكلفت [illegible] ٢ [illegible] من دونه ٣ [illegible] على شيء [illegible]

ورأس المودة الاسترسال ورأس العقل معرفة ما يكون مما
لا يكون وقد رأيت الخرس خيرٌ من اللسان الكذوب والعيّ والفقر
خيرٌ من النعمة والسعة من أموال الناس . فصار أمري إلى أن
رضيت وقنعت وانتقلت من بيت الناسك إلى البرية . وكان لي
صديق من الحمام فسبقت إليّ صداقته صداقة الغراب .
والتمست أن الصحبة ثم ذكر لي الغراب ما بينك وبينه من
المودة وأخبرني أنه يريد إتيانك فأحببت أن آتيك معه وكرهت
الوحدة فإنه لا شيء من سرور الدنيا يعدل صحبة الإخوان
ولا غمّ فيها يعدل البعد عنهم وجربت فعلمت أنه لا ينبغي
يلتمس من الدنيا غير الكفاف الذي يدفع به الأذى عن
نفسه وهو اليسير من المطعم والمشرب إذا كان معه صحة وسعة
ولو أن رجلاً وهبت له الدنيا بما فيها لم يكن ينتفع من ذلك
إلا بالقليل الذي يدفع به عن نفسه الحاجة وما سوى ذلك
فليس له منه إلا ما يغيره من النظر إليه حسب * فلما فرغ
الجرذ من كلامه أجابته الحمامة بكلام رقيق وقالت قد
سمعت كلامك وما أحسن ما تكلمت به إلا أني رأيتك تذكر

نفسك ثم ذكرت في نفسك من حيث قلة مالك وسوء حالك
وتغربك عن موطنك فاطرح ذلك عن قلبك واعلم أن
حسن الكلام لا يتم إلا بحسن العمل وأن المريض الذي قد
علم دواء مرضه إن لم يتداو به لم يغن علمه به شيئاً ولم يجد
لدائه راحة ولا خفة فاستعمل رأيك ولا تحزن لقلة المال
فإن الرجل ذا المروءة قد يكرم على غير مال كالأسد الذي
يهاب وإن كان رابضاً والغني الذي لا مروءة له يهان وإن كان
كثير المال كالكلب لا يحفل به وإن طوق وخلخل بالذهب
ولا تكبرن عليك غربتك فإن العاقل لا غربة له كالأسد الذي
لا ينقلب إلا ومعه قوته فلتحسن تعاهدك لنفسك فإنك إذا
فعلت ذلك جاءك الخير يطلبك من كل مكان كما
يطلب الماء انحداره وإنما جعل الفضل للحازم البصير
بالأمور فأما الكسلان المتردد فإنه لا يصحبه وقد قيل في
ستة أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء ظل الغمامة في الصيف وخلة
الأشرار وعشق النساء والثناء الكاذب والمال الكثير
فالعاقل لا يحزن [illegible]

[illegible]

عمله فهو واثق أنه لا يفسد ما عمل ولا يحدث شيئاً يعمله
دهره لا يعقل من أمر آخرته فإن الموت لا يأتي
إلا بغتة ليس له وقت ولا أجل معلوم وأنت عن موعظتي
غني بما عندك من العلم ولكن رأيت أن أقضي من حقك
أنك أخونا وما قبلنا مبذول لك * فلما سمع الغراب كلام
السلحفاة للجرذ وردّها عليه وإلطافها إياه فرح بحديثها وقال
لها قد سررتني وأنعمت علي وأنت حقيقة أن تسري نفسك
بمثل ما سررتني وإن أولى أهل الدنيا بشدة السرور من لا
يزال ربعه من إخوانه وأصدقائه من الصالحين معموراً ولا
يزال عنده منهم جماعة يسرهم ويسرونه ويكون من وراء
أمورهم وحاجاتهم بالتعاهد فإن حسن أثر الكريم لا يزال
صحبته في عقبه حيثما توجه فإن الكريم إذا عثر لا يأخذ
بعثرته ولا يجده إلا الكريم كالفيل إذا وحل لا تخرجه إلا
الفيلة فلما قضى الغراب كلامه والثلاثة متناجون بعضهم
بعضاً إذ أقبل نحوهم ظبي يسعى مذعوراً فذعرت منه السلحفاة
فغاصت في الماء ودخل الجرذ بعض الأجحار وطار الغراب

(١) مرتاد

فوقع على شجرة. وانتهى الظبي إلى الماء فشرب منه يسيرا ثم وقف خائفا يلتفت يمينا وشمالا. ثم إن الغراب حلق في السماء لينظر هل للظبي طالب، فنظر فلم ير شيئا، فنادى الجرذ والسلحفاة فخرجا. فقالت السلحفاة للظبي حين رأته ينظر إلى الماء ولا يقربه: اشرب إن كان بك عطش ولا تخف فإنه لا خوف عليك. فدنا الظبي فرحبت به السلحفاة وحيته وقالت له: من أين أقبلت؟ قال: كنت أسيح في الصحارى، ولم تزل الأساورة[١] تطردني من مكان إلى مكان، حتى رأيت اليوم شبحا فخفت أن يكون قانصا[٢]. قالت: لا تخف فإنا لم نر ههنا قانصا قط، ونحن في هذا المكان مجتمعون نتحدث ونأنس، ونحن نبذل لك ودنا ومكاننا، والماء والمرعى كثير عندنا، فارغب في صحبتنا. فأقام الظبي معهم، وكان لهم عريش يجتمعون فيه ويتذاكرون الأحاديث والأخبار. فبينما الغراب والجرذ والسلحفاة ذات يوم في العريش إذ غاب الظبي، فتوقعوه ساعة فلم يأت، فلما أبطأ أشفقوا أن يكون قد أصابه عنت[٣]. فقال الجرذ والسلحفاة للغراب: انظر هل ترى مما يلينا شيئا. فحلق الغراب في السماء

١ جمع أسوار وهو الرامي بالسهام ٢ صائدا ٣ وقوع في أمر شاق

وطار وإذا الظبي في الحبائل [illegible] فعاد مسرعاً فأخبرهما
بذلك فقالت السلحفاة والغراب للجرذ هذا أمر لا نرجو فيه
غيرك فأغث أخاك فسعى الجرذ مسرعاً فأتى الظبي فقال
له كيف وقعت في هذه الورطة وأنت من الأكياس[1] . قال
أليس ما يغني حذر من قدر ولا يجدي الكيس مع المقادير
شيئاً فبينما هم في الحديث إذ وافتهم السلحفاة فقال لها
الظبي ما أصبت بمجيئك إلينا فإن القانص إذا انتهى إلينا وقد
قطع الجرذ الشرك سبقته عدواً وللجرذ أحجار كثيرة والغراب
يطير وأنت ثقيلة لا سعي لك ولا حركة وأخاف عليك
القانص قالت لا عيش مع فراق الأحبة وإذا فارق الأليف
أليفه فقد سلب فؤاده وحرم سروره وغشي بصره فلم ينته
كلامها حتى وافى القانص ووافق ذلك فراغ الجرذ من قطع
الشرك فنجا الظبي بنفسه وطار الغراب محلقاً ودخل الجرذ بعض
الأحجار ولم يبق غير السلحفاة ودنا الصياد فوجد حبالته مقطعة
فنظر يميناً وشمالاً فلم يجد غير السلحفاة تدب فأخذها وربطها
فلم يلبث الغراب والجرذ والظبي أن اجتمعوا فنظروا القانص

1 جمع كيس [illegible]

قد ربط سجيّة [illegible] وقد [illegible] ما [illegible]
حقبة من أبناء الأدباء [illegible] وتصدق أني [illegible]
لأن الأسر مستمر في [illegible] معروف [illegible]
[illegible] في حدود الأرض وجرى على الحياة [illegible]
الأصدقاء [illegible] بنت [illegible] ولا [illegible]
ولكنه [illegible] الكرم [illegible] من [illegible] الوالد
[illegible] لأنه [illegible] كل [illegible]
إلا الذي [illegible] ولا [illegible] الأولاد
[illegible] لأن [illegible] من [illegible] الأول [illegible]
[illegible] كل لا [illegible] ولا [illegible] طالما [illegible]
[illegible] لم [illegible] كذلك حتى [illegible] الذي
ذكرني [illegible] لمثل [illegible]
[illegible] عليه [illegible]
من فقد [illegible] بعد [illegible] متصل الصبر
[illegible] الأمر [illegible] [illegible] وحدث

١ [illegible] ٢ [illegible] ٣ [illegible]
[illegible] ٤ [illegible] ٥ [illegible] ٦ [illegible] ٧ [illegible]

وكلامك وإن كان لطيفا لا يغني عن [illegible] شيئا [illegible]
كما [illegible] أهل البأس عند اللقاء وذو الأمانة عند الأخذ
والعطاء والأهل والولد عند الفاقة والإخوان عند النوائب
قال الجرذ [illegible] حيلة [illegible] الظبي [illegible]
من الله [illegible] كأنك جريح ويقع الغراب [illegible]
وسعى [illegible] قريبا من [illegible]
من [illegible] طمعا [illegible]
[illegible] حيث لا [illegible] وأمكنه
من [illegible] مرة بعد مرة حتى يبعد [illegible]
[illegible] لا ينصرف إلا وقد قطعت حبائل [illegible]
السلحفاة [illegible] ففعل الظبي والغراب ما أمرهما به الجرذ
وتبعهما القانص فاستطرده الظبي حتى بعد عن الجرذ
والسلحفاة والجرذ مقبل على قطع الحبائل حتى قطعها و[illegible]
[illegible] وعاد القانص مجهودا لاغبا فوجد حبائله
مقطعة ففكر في أمره مع الظبي فظن أنه خُبط في عقله

١ [illegible] ٢ [illegible] ٣ [illegible] ٤ [illegible]

وفكّر في أمر الصبيّ والغراب الذي كان كأنّه يا كرامة
وقرّبهن حاله [illegible] من الأرض وقال [illegible]
[illegible] ووجع [illegible] لا [illegible] إليه واجتمع
[illegible] و[illegible] [illegible]
كأحسن ما كان عليه

وقد كان هذا [illegible] مع [illegible] قد قدر على خلاص
من [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] الذي
[illegible] العقل [illegible]
[illegible] وأعاصد

فهذا من جنون الصبا [illegible] في [illegible]

باب
اللوم والعذل

قال [illegible] قد سمعت مثل [illegible]

[illegible]

ضعفاء وتعزيتهم. فاضرب لي مثل العدو الذي لا ينبغي أن يغتر به وإن أظهر تضرعا وملقا، وأخبرني عن العدو هل يصير صديقا، وهل يوثق من أمره بشيء، وكيف العداوة وما ضررها، وكيف ينبغي للملك أن يصنع إذا طلب عدوه مصالحته.

قال الفيلسوف: من اغتر بالعدو الذي لم يزل عدوا أصابه ما أصاب البوم من الغربان. قال الملك: وكيف كان ذلك؟

قال بدبا: زعموا أنه كان في جبل من الجبال شجرة من شجر الدوح فيه وكر ألف غراب وعليهن وال من أنفسهن، وكان عند هذه الشجرة كهف فيه ألف بومة وعليهن وال منهن. فخرج ملك البوم لبعض غدواته وروحاته وفي نفسه العداوة لملك الغربان، وفي نفس الغربان وملكها مثل ذلك للبوم. فأغار ملك البوم في أصحابه على الغربان في أوكارها فقتل وسبى منها خلقا كثيرا، وكانت الغارة ليلا، فلما أصبحت الغربان اجتمعت إلى ملكها فقلن: قد علمت ما لقينا الليلة من ملك البوم، وما منا إلا من أصبح قتيلا أو

١ حرج: شجر ملتف ٢ وجوه: سادة

جريحًا أو مكسور الجناح أو منتوف الريش أو مقطوع الذنب وأشدّ ما أصابنا ضرًّا جرأتهنّ علينا وعلمهنّ بمكاننا وهنّ عائدات إلينا غير منقطعات عنّا لعلمهنّ بمكاننا فإنّما نحن لك أيّها الملك فانظر لنا ولنفسك. وكان في الغربان خمسة معترفٌ لهنّ بحسن الرأي يُسنَد إليهنّ في الأمور ويُلقى عليهنّ مقاليد الأحوال. وكان الملك كثيرًا ما يشاورهنّ في الأمور ويأخذ آراءهنّ في الحوادث والنوازل. فقال الملك للأوّل من الخمسة ما رأيك في هذا الأمر. قال رأيي قد سبقنا إليه العلماء وذلك أنّهم قالوا ليس للعدوّ الحنق الذي لا طاقة لك به إلّا الهرب منه. فقال الملك للثاني ما رأيك أنت في هذا الأمر. قال ما رأى هذا من الهرب. قال الملك لا أرى لكم ذلك رأيًا أن نرحل عن أوطاننا ونخليها لعدوّنا من أوّل نكبة أصابتنا منه ولا ينبغي لنا ذلك فنكون به عونًا علينا ولكن نجمع أمرنا ونستعدّ لعدوّنا ونذكي نار الحرب فيما بيننا وبين عدوّنا ونحترس من الغِرّة إذا أقبل إلينا فنلقاه

١ في بعض [illegible] ٢ [illegible] ٣ [illegible] ٤ [illegible]
٥ [illegible]

مستعدين ونقاتله قتالاً غير مراجعين فيه ولا مقصرين عنه وتلقى
أطرافنا أطراف العدو ونتحرز بحصوننا وندافع عدونا بالأناة
مرة وبالجلاد أخرى حيث نصيب فرصتنا وبغيتنا وقد ثنينا
عدونا عنا. ثم قال الملك للثالث: ما رأيك أنت؟ قال: لا أرى
ما قالا رأياً ولكن نبث العيون ونبعث الجواسيس ونرسل
الطلائع بيننا وبين عدونا فنعلم هل يريد صلحاً أم يريد
حرباً أم يريد الفدية فإن رأينا أمره أمر طامع في مال لم
نكره الصلح على خراج نؤديه إليه في كل سنة ندفع به عن
أنفسنا ونطمئن في أوطاننا فإن من آراء الملوك إذا اشتدت
شوكة عدوهم فخافوه على أنفسهم وبلادهم أن يجعلوا الأموال
جنة البلاد والملك والرعية. قال الملك للرابع: فما رأيك
في هذا الصلح؟ قال: لا أراه رأياً بل أن نفارق أوطاننا ونصبر
على الغربة وشدة المعيشة خير من أن نضيع أحسابنا ونخضع
للعدو الذي نحن أشرف منه مع أن البوم لو عرضنا ذلك
عليهن لما رضين منا إلا بالشطط. ويقال في الأمثال: قارب

[illegible]
[illegible]

عدوك بعض المقاربة لتنال حاجتك ولا تقاربه كل المقاربة
فيجترئ عليك ويضعف جندك وتذل نفسك ومثل ذلك
مثل الخشبة المنصوبة في الشمس إذا أملتها قليلا زاد ظلها
وإذا جاوزت بها الحد في إمالتها نقص الظل وليس عدونا
راضيا منا بدون الحرب فالرأي لي ولك محاربة * قال
الملك للخامس ما تقول أنت وماذا ترى أالقتال أم الصلح أم
الجلاء عن الوطن قال أما القتال فلا سبيل للمرء إلى قتال
من لا يقوى عليه وقد يقال إنه من لا يعرف نفسه وعدوه
وقاتل من لا يقوى عليه حمل نفسه على حتفه مع أن العاقل
لا يستصغر عدوا فإن من استصغر عدوه اغتر به ومن اغتر
بعدوه لم يسلم منه وأنا للبوم شديد الهيبة وإن أضربت عن
قتالها وقد كنت أهابها قبل ذلك فإن الحازم لا يأمن
عدوه على كل حال فإن كان بعيدا لم يأمن سطوته وإن
كان مكثبا لم يأمن وثبته وإن كان وحيدا لم يأمن مكره
وأحزم الأقوام وأكيسهم من كره القتال لأجل النفقة فيه
فإن ما دون القتال النفقة فيه من المال والقول والعمل

١ [illegible] ٢ [illegible] ٣ [illegible]

وَٱلْقِتَالُ ٱلنَّفَقَةُ فِيهِ مِنَ ٱلْأَنْفُسِ وَٱلْأَبْدَانِ وَرُبَّمَا أُخِذَتْ
بِٱلرِّفْقِ ٱلْيَسِيرِ وَٱلْكَلَامِ ٱللَّيِّنِ. فَلَا يَكُونَنَّ ٱلْقِتَالُ لِلْبُومِ مِنْ
رَأْيِكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ. فَإِنَّ مَنْ قَاتَلَ مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ فَقَدْ غَرَّرَ
بِنَفْسِهِ. وَإِذَا كَانَ ٱلْمَلِكُ مُحَصِّنًا لِلْأَسْرَارِ مُتَخَيِّرًا لِلْوُزَرَاءِ مَهِيبًا
فِي أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ بَعِيدًا مِنْ أَنْ يُقْدَرَ عَلَيْهِ كَانَ خَلِيقًا أَنْ لَا يُسْلَبَ
صَحِيحَ مَا أُوتِيَ مِنْ خَيْرٍ. وَأَنْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ كَذَلِكَ. وَٱلْمَلِكُ
يَزْدَادُ بِرَأْيِ وُزَرَائِهِ كَمَا يَزْدَادُ ٱلْبَحْرُ بِمَوَادِّهِ مِنَ ٱلْأَنْهَارِ. وَقَدِ
ٱسْتَشَرْتَنِي فِي أَمْرٍ جَوَابُكَ مِنِّي عَنْهُ فِي بَعْضِهِ عَلَانِيَةٌ وَقَدْ أَجَبْتُكَ بِهِ
وَفِي بَعْضِهِ سِرٌّ. وَإِنَّ مِنَ ٱلْأَسْرَارِ مَا يَدْخُلُ فِيهِ ٱلرَّهْطُ وَمِنْهَا
مَا يُسْتَعَانُ فِيهِ بِٱلْقَوْمِ وَمِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهِ ٱلرَّجُلَانِ. وَلَسْتُ أَرَى
لِهَذَا ٱلسِّرِّ عَلَى قَدْرِ مَنْزِلَتِهِ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ إِلَّا أَرْبَعُ آذَانٍ وَلِسَانَانِ.
فَنَهَضَ ٱلْمَلِكُ مِنْ سَاعَتِهِ وَخَلَا بِهِ فَٱسْتَشَارَهُ. فَكَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَهُ
عَنْهُ ٱلْمَلِكُ أَنَّهُ قَالَ هَلْ تَعْلَمُ ٱبْتِدَاءَ ٱلْعَدَاوَةِ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْبُومِ.
قَالَ نَعَمْ كَلِمَةٌ تَكَلَّمَ بِهَا غُرَابٌ. قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ.

قَالَ ٱلْغُرَابُ زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ ٱلْكَرَاكِيِّ لَمْ يَكُنْ لَهَا
مَلِكٌ فَأَجْمَعَتْ أَمْرَهَا عَلَى أَنْ تُمَلِّكَ عَلَيْهَا مَلِكَ ٱلْبُومِ. فَبَيْنَمَا

١ أي كلاما   ٢ نوع [illegible]

هي في مجمعها إذ وقع بها غراب فقالت لو جاءنا هذا الغراب لاستشرناه في أمرنا. فلم يلبثن دون أن جاءهن الغراب فاستشرنه فقال لو أن الطير بادت من الأقاليم وفقد الطاووس والبط والنعام والحمام من العالم لما اضطررتنّ إلى أن تملكن عليكن البوم التي هي أقبح الطير منظرا وأسوأها خلقا وأقلها عقلا وأشدها غضبا وأبعدها من كل رحمة مع عماها وما بها من العشا في النهار ونتن رائحتها حتى لا يطيق طائر أن يقرب منها وأشد من ذلك وأقبح أمورها سفهها وسوء أخلاقها الا أن ترين أن تملكنها وتكنّ أنتن تدبرن الأمور دونها برأيكن وعقولكن فان وزراء الملك اذا كانوا صالحين وكان نصيحهم في رأيهم لم يضر في ملكه كونه جاهلا واستقام أمره كما فعلت الارنب التي زعمت أن القمر ملكها وعملت برأيها. قالت الطير وكيف كان ذلك

قال الغراب زعموا أن أرضا من أراضي الفيلة تتابعت عليها السنون وأجدبت وقل ماؤها وغارت عيونها وذوى نبتها ويبس شجرها فأصاب الفيلة عطش شديد فشكون

١ ف واجتمعت ٢ [illegible] ٣ [illegible] ٤ [illegible]

ذلك إلى ملكهن فأرسل الفيل رسله ورواده ¹ في طلب الماء
في كل ناحية فرجع إليه بعض الرسل فقال له إني قد وجدت
بمكان كذا عينا يقال لها عين القمر كثيرة الماء فتوجه ملك
الفيلة بأصحابه إلى تلك العين ليشرب منها هو وفيلته وكانت
العين في أرض الأرانب فوطئن الأرانب في جحرهن
فأهلكن منهن كثيرا فاجتمعت الأرانب إلى ملكها فقلن
له قد علمت ما أصابنا من الفيلة فقال ليحضر منكن كل ذي
رأي برأيه فتقدمت أرنب من الأرانب يقال لها فيروز
وكان الملك يعرفها بحسن الرأي والأدب فقالت إن رأى
الملك أن يبعثني إلى الفيلة ويرسل معي أمينا ليسمع ويرى ما
أقول ويرفعه إلى الملك فقال لها الملك أنت أمينة ونرضى
بقولك فانطلقي إلى الفيلة وبلغي عني ما تريدين واعلمي أن
الرسول برأيه وعقله وفضله يخبر عن عقل المرسل
فعليك باللين والرفق والحلم والتأني فإن الرسول هو الذي
يلين الصدور إذا رفق ويخشن الصدور إذا خرق ثم إن
الأرنب انطلقت في ليلة قمراء حتى انتهت إلى الفيلة وكرهت

١ جمع [illegible] ٢ [illegible] ٣ [illegible] ٤ [illegible]

أن تدوسهن مخافة أن يطأنني بأرجلهن فيقتلنها وإن كنّ
غير متعمدات. ثم أشرفت على الجبل ونادت ملك الفيلة
وقالت له إن القمر أرسلني إليك والرسول غير ملوم فيما
يبلغ وإن أغلظ في القول. قال ملك الفيلة فما الرسالة.
قالت يقول لك إنه من عرف فضل قوته على الضعفاء فاغتر
في ذلك بالأقوياء قياسًا لهم على الضعفاء كانت قوته وبالًا عليه
وأنت قد عرفت فضل قوتك على الدواب فغرّك ذلك فعمدت
إلى العين التي تسمى باسمي فشربت منها ورنّقتها[1] فأرسلني
إليك فأنذرك أن لا تعود إلى مثل ذلك وإنه إن فعلت
أغشي على بصرك وأتلف نفسك وإن كنت في شك من رسالتي
فهلمّ إلى العين من ساعتك فإني موافيك بها. فعجب ملك
الفيلة من قول الأرنب فانطلق إلى العين مع فيروز الرسول
فلما نظر إليها رأى ضوء القمر فيها فقالت له فيروز الرسول
خذ بخرطومك من الماء فاغسل به وجهك واسجد للقمر
فأدخل الفيل خرطومه في الماء فتحرك فخيّل إلى الفيل[2]
أن القمر ارتعد فقال ما شأن القمر ارتعد أتراه غضب

١ كدرتها ٢ نوم

من اذخالي خرطومي في الماء. قالت فيروز الأرنب نعم فسجد الفيل للقمر مرة اخرى وتاب اليه مما صنع وشرط أن لا يعود إلى مثل ذلك هو ولا احد من فيلته * قال الغراب ومع ما ذكرت من أمر البوم ان فيها الخب والمكر والخديعة وشر الملوك المخادع ومن ابتلي بسلطان مخادع وخدمه اصابه ما اصاب الأرنب والصفرد حين احتكما الى السنور. قالت الكراكي وكيف كان ذلك

قال الغراب كان لي جار من الصفاردة في اصل شجرة قريبة من وكري وكان يكثر مواصلتي ثم فقدته فلم اعلم اين غاب وطالت غيبته عني فجاءت ارنب الى مكان الصفرد فسكنته فكرهت ان اخاصم الأرنب فلبثت فيه زمانا ثم ان الصفرد عاد بعد زمان فأتى منزله فوجد فيه الأرنب فقال لها هذا المكان لي فانتقلي منه. قالت الأرنب المسكن لي وتحت يدي وانت مدع له فان كان لك حق فاستعد علي. قال الصفرد القاضي منا قريب فهلمي بنا اليه. قالت الأرنب ومن القاضي قال الصفرد ان بساحل البحر سنورا متعبدا يصوم النهار ويقوم

١ اسعى

[illegible] الليل كله ولا يؤذي دابة ولا يهريق دماً عيشه من الحشيش
ومما يقذفه إليه البحر فإن أحببتما تحاكمنا إليه ورضينا به
قال الأرنب ما أرضاني به إذا كان كما وصفت فانطلقا إليه
فتبعتهما لأنظر إلى حكومة الصوام القوام ثم إنهما ذهبا إليه
فلما بصر السنور بالأرنب والصفرد مقبلين نحوه انتصب قائماً
يصلي وأظهر الخشوع والتنسك فعجبا لما رأيا من حاله ودنوا
منه هائبين له وسلما عليه وسألاه أن يقضي بينهما فأمرهما أن
يقصا عليه القصة ففعلا فقال لهما قد بلغني الكبر وثقلت أذناي
فادنوا مني فأسمعاني ما تقولان فدنوا منه وأعادا عليه القصة
وسألاه الحكم فقال قد فهمت ما قلتما وأنا مبتدئكما بالنصيحة
قبل الحكومة فأنا آمركما بتقوى الله وألا تطلبا إلا الحق
فإن طالب الحق هو الذي يفلح وإن قضي عليه وطالب الباطل
مخصوم وإن قضي له وليس لصاحب الدنيا من دنياه شيء لا
مال ولا صديق سوى العمل الصالح يقدمه فذو العقل حقيق
أن يكون سعيه في طلب ما يبقى ويعود نفعه عليه غداً وأن
يمقت بسعيه ما سوى ذلك من أمور الدنيا فإن منزلة المال عند

[illegible]

فَقِلَّ معرفةِ الغدرِ ومنزلةِ أهلِ حِدّةٍ فيهما جنبهم من خيرٍ ويكفُّ من الشرّ ما استطاع. ثمّ إنّ السنّور لم يزل يقصّ عليهما من جنس هذا وأشباهه حتى أَنِسا إليه وأقبلا عليه ودنوا منه فوثب عليهما فقتلهما * قال الغراب ثمّ إنّ البوم تجمع مع ما وصفتُ لكم من سوء ... العيب فلا يكون تمليك البوم من رأيكم. فلمّا سمع الكراكي ذلك من كلام الغراب أضربن عن تمليك البوم. وكان هناك بومٌ حاضرٌ قد سمع ما قالوا فقال للغراب لقد وترتني أعظم الترة ولا أعلم أنّه سبق منّي إليك سوءٌ أوجب هذا. وبعدُ فاعلم أنّ الفأس يقطع بها الشجر فيعود ينبت والسيف يقطع اللحم ثمّ يعود فيندمل واللسان لا يندمل جرحه ولا تؤسى مقاطعه والنصل من السهم يغيب في اللحم ثمّ يُنزع فيخرج وأشباه النصل من الكلام إذا وصلت إلى القلب لم تُنزع ولم تُستخرج ولكلّ حريقٍ مُطفئ فللنار الماء وللسمّ الدواء وللحزن الصبر وللعشق الفرقة ونار الحقد لا تخبو أبدًا وقد غرستم معاشر الغربان بيننا وبينكم شجر الحقد والعداوة والبغضاء * فلمّا قضى البوم مقالته ولّى مغضبًا فأخبر

[illegible]

ملكَ البومِ بما جرى وبكلِّ ما كان من قولِ الغرابِ. ثمّ إنّ
الغرابَ ندمَ على ما فرطَ منهُ وقال: واللهِ لقد خرقتُ ١ في قولي
الذي جلبتُ به العداوةَ والبغضاءَ على نفسي وقومي، وليتني لم
أُخبرِ الكراكيَّ بهذهِ الحالِ ولا أعلمتُها بهذا الأمرِ. ولعلّ أكثرَ
الطيرِ قد رأى أكثرَ ممّا رأيتُ وعلمَ أضعافَ ما علمتُ فمنعها
من الكلامِ بمثلِ ما تكلّمتُ اتّقاءُ ما لم أتّقِ والنظرُ فيما لم أنظرْ
فيه من حذارِ العواقبِ، ولا سيّما إذا كان الكلامُ أقبحَ كلامٍ
يلقى منه سامعهُ وقائلهُ المكروهَ ممّا يورثُ الحقدَ والضغينةَ. فلا
ينبغي أن يسمّى أشباهُ هذا الكلامِ كلامًا ولكن سهامًا. وإنّ الكلامَ
الرديءَ هو الذي يرمي صاحبهُ في الحقدِ والعداوةِ. والعاقلُ
وإن كان واثقًا بقوّتهِ وفضلهِ لا ينبغي أن يحملهُ ذلك على أن
يجلبَ العداوةَ على نفسهِ اتّكالًا على ما عندهُ من الرأيِ والقوّةِ
كما أنّه وإن كان عندهُ الترياقُ لا ينبغي له أن يشربَ السمَّ
اتّكالًا على ما عندهُ. وصاحبُ العملِ وإن قصّر به القولُ في
مستقبلِ الأمرِ كان فضلهُ بيّنًا واضحًا في العاقبةِ والاختبارِ.
وصاحبُ حسنِ القولِ وإن أعجبَ الناسَ منه حسنُ صفتهِ

١ من حمق

الأمور أحمد مغبة أمرا. وأما صاحب الغزل الذي لا عاقبة
محمودة له فليس من شيء أضر على المتكلم في الأمر
يستشار فيه أحدا أو يعمل به إذا لم يستشر النصحاء
والأكفاء وعمل برأيه من غير تكرار الفكر والروية لم يغتبط
بمواقع رأيه. فما كان أغناك عما كسبت لنا في هذا وما وقعت
فيهم ثم وثب الغراب مغضبا بكلامي سفاهة وذهب

هذا ما سألتني عنه من ابتداء العداوة بيننا وبين
البوم. وأما ما سألتني عنه فقد علمت رأيي فيه وكراهتي له ولكن
عندي من الرأي والحيلة ما يكون فيه الفرج إن
شاء الله تعالى فإنه رب قوم قد احتالوا برأيهم حتى
ظفروا بما أرادوا. ومن ذلك حديث الجماعة الذين ظفروا
بالناسك وأخذوا عريضه. قال الملك وكيف كان ذلك

قال الغراب زعموا أن ناسكا اشترى عريضا ضخما
ليجعله قربانا فانطلق به يقوده فبصر به قوم من المكرة
فأتمروا بينهم أن يأخذوه من الناسك فعرض له أحدهم
فقال له أيها الناسك ما هذا الكلب الذي معك. ثم عرض له آخر

[illegible]

الآخر فقال يا صاحبه هذا ما أمسك لأن أمسك لا يعود كما .
قال الواقع أنا أمسك على هذا [illegible] حتى [illegible] لدي
[illegible] كما وإن الذي [illegible]
[illegible] وما ضربت لك هذا
المثل إلا [illegible] من [illegible] وتجربة وأني
[illegible] من أهلك [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] قال أهلك [illegible]
[illegible] كيف لا [illegible] بذلك [illegible]
[illegible]
[illegible] حتى [illegible] البوم
[illegible] بذلك [illegible]
الغربان [illegible]
[illegible] قال أما [illegible]
[illegible]

فإني حسبك ترى أن حالي حال من لا يعلم الأسرار. قيل:
هلك البوم هذه وأبيد ملك الغربان وصاحب رأيه فقال:
أي ذنب صنع به ما صنع. فسئل الغراب عن أمره فقال: إن
ملكنا استشار جماعتنا فيكنّ وكنت يومئذ بمحضر من الأمر
فقال: أيها الغربان ما ترون في ذلك. فقلت: أيها الملك لا طاقة
لنا بقتال البوم لأنهن أشد بطشًا وأحدّ قلبًا منا ولكن أرى أن
نلتمس الصلح ثم نبذل الفدية في ذلك فإن قبلت البوم ذلك
منا وإلا هربنا في البلاد. وإذا كان القتال بيننا وبين البوم
كان خيرًا لهن وشرًا لنا. فالصلح أفضل من الخصومة
وأمرتهن بالرجوع عن الحرب وضربت لهن الأمثال في ذلك
وقلت لهن: إن العدو الشديد لا يردّ بأسه مثل الخضوع له. ألا
ترين إلى الحشيش كيف يسلم من عاصف الريح للينه وميله معها
حيث مالت وكيف تحطم الشجر العاتي بكسرها وتحطمها. فعصينني في
ذلك وزعمن أنهن يردن القتال واتهمنني فيما قلت وقلن:
إنك قد مالأت البوم علينا ورددن قولي ونصيحتي وعذبنني
بهذا العذاب وتركني الملك وجنوده وارتحل ولا علم لي بهن

بعد ذلك فلما سمع ملك البوم مقالة الغراب قال لبعض
وزرائه ما تقول في الغراب وما ترى فيه . قال ما أرى إلا
المعاجلة له بالقتل فإن هذا أفضل عدد الغربان وفي قتله
راحة من مكره وفقده على الغربان شديد وإذا قتل تمّ
ملكهم وتقوّض وما أراه إلا فيما قد أرسله به الملك . ويقال
من ظفر بالساعة التي فيها ينجح العمل ثم لا يعاجله بالذي
ينبغي فليس بحكيم . والأمور مرهونة بأوقاتها ومن طلب
الأمر الجسيم فأمكنه ذلك فأغفله فاته الأمر وهو خليق أن لا
تعود الفرصة ثانية ومن وجد عدوه ضعيفا ولم يجهز عليه ندم
إذا استقوى ولم يقدر عليه . قال الملك لوزير آخر ما ترى
أنت في هذا الغراب قال أرى أن لا تقتله لأنه قد بين لي من
أحاديثه ما نراه فهو خليق أن يكون دليلا لك على عوراتهم
ومعينا لك على ما تريده بإهلاكهم ولأن العدو الذليل الذي لا ناصر
له أهل لأن يؤمن ولا سيما المستجير الخائف والعدو إذا
صدرت منه المنفعة وإن كان غير متعمد لها أهل لأن يصفح
عنه بسببها كالتاجر الذي عطف على سارق لعطف امرأته عليه

١ عدم ٢ عثر ٣ نصر ٤ وجد ٥ مواضع كل ...

بِسَبَبِهِ. قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ الْوَزِيرُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ تَاجِرٌ كَثِيرُ الْمَالِ وَالْمَتَاعِ، وَكَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ جَمَالٍ لَمْ تَكُنْ تَمِيلُ إِلَيْهِ. وَإِنَّ سَارِقًا تَسَوَّرَ بَيْتَ التَّاجِرِ فَدَخَلَ فَوَجَدَهُ نَائِمًا وَوَجَدَ امْرَأَتَهُ مُسْتَيْقِظَةً فَذُعِرَتْ مِنَ السَّارِقِ وَوَثَبَتْ إِلَى التَّاجِرِ فَالْتَزَمَتْهُ وَعَانَقَتْهُ وَقَدْ كَانَ يَوَدُّهَا وَيَتَوَدَّدُ إِلَيْهَا دَائِمًا فَاسْتَيْقَظَ التَّاجِرُ فَرِحًا بِهَا فَقَالَ مِنْ أَيْنَ لِي هَذِهِ النِّعْمَةُ ثُمَّ بَصُرَ بِالسَّارِقِ فَقَالَ أَيُّهَا السَّارِقُ أَنْتَ فِي حِلٍّ مِمَّا أَخَذْتَ مِنْ مَالِي وَمَتَاعِي وَلَكَ الْفَضْلُ بِمَا عَطَفْتَ قَلْبَ زَوْجَتِي عَلَى مُعَانَقَتِي. فَقَالَ الْمَلِكُ لِبُومٍ آخَرَ مِنْ وُزَرَائِهِ مَا تَقُولُ فِي أَمْرِ الْغُرَابِ قَالَ أَرَى أَنْ تَسْتَبْقِيَهُ وَتُحْسِنَ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَنْصَحَكَ وَالْعَاقِلُ يَرَى مُعَادَاةَ بَعْضِ أَعْدَائِهِ بَعْضًا ظَفَرًا حَسَنًا، وَيَرَى اشْتِغَالَ بَعْضِ أَعْدَائِهِ بِبَعْضٍ خَلَاصًا لِنَفْسِهِ مِنْهُمْ وَنَجَاةً كَنَجَاةِ النَّاسِكِ مِنَ اللِّصِّ وَالشَّيْطَانِ حِينَ اخْتَلَفَا عَلَيْهِ. قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ الْوَزِيرُ زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا أَصَابَ مِنْ رَجُلٍ بَقَرَةً حَلُوبَةً

فانطلق بها يقودها إلى منزله فعرض له لص أراد سرقتها وتبعه شيطان يريد اختطافه وقد تزيّا بزي إنسان فقال الشيطان للص من أنت قال أنا اللص أريد أن أسرق هذه البقرة من الناسك إذا نام فمن أنت قال أنا الشيطان أريد اختطافه إذا نام وأذهب به فانتهيا على هذا إلى المنزل فدخل الناسك منزله ودخلا خلفه وأدخل البقرة فربطها في زاوية المنزل وتعشى ونام فأقبل اللص والشيطان يأتمران فيه واختلفا على من يبدأ بشغله أولاً فقال الشيطان إن أنت بدأت بأخذ البقرة ربما استيقظ وصاح واجتمع الناس فلا أقدر على أخذه فأنظرني ريثما آخذه وشأنك وما تريد. فأشفق اللص إن بدأ الشيطان باختطافه أن يستيقظ فلا يقدر على أخذ البقرة فقال لا بل أنظرني أنت حتى آخذ البقرة وشأنك وما تريد. قال الشيطان رويداً حتى يستغرق الناس في النوم فتظفر بهم جميعاً. فلم يزالا في المجادلة هكذا حتى نادى اللص أيها الناسك انتبه فهذا الشيطان يريد اختطافك ونادى الشيطان أيها الناسك انتبه فهذا اللص يريد أن يسرق

تعرّفك وتنبّه الناسك وجيرته بأصواتهما وهرب الخبيثان ＊
فقال البوم الأول الذي أشار بقتل الغراب، أظنّ أنّ الغراب
قد خدعكنّ ووقع كلامه في نفس الغبيّ منكنّ موقعه فتردن
أن تضعن أمري في غير موضعه فمهلاً مهلاً أيها الملك عن هذا
الرأي ولا تكوننّ بما تسمع أشدّ تصديقاً منك بما ترى كالرجل
الذي كذّب بما رأى وصدّق بما سمع وخُدع فخُذل. قال
الملك وكيف كان ذلك

قال البوم زعموا أنه كان رجل نائماً وحده إحدى
الليالي في بيته وإذا اللصوص قد دخلوا عليه البيت وأخذوا في
جمع ما فيه من المتاع حتى انتهوا إلى حيث هو نائم فانتبه
عليهم وخاف أن يقوم إليهم حذراً أن يبطشوا به. وكان
للحجرة التي هو فيها باب آخر إلى الطريق فقال في نفسه الرأي
أن لا أشعرهم بانتباهي ولا أدعهم حتى يجمعوا ما يريدون أخذه
ويخرجوه إلى حيث يريدون. فحينئذٍ أخرج من الباب الآخر
وأدعو الجيران فيتبعوهم ويدفعوهم. فلبث على فراشه متناوماً
حتى فرغ اللصوص مما أرادوا جمعه وخرجوا يريدون حمله

فهمّ الرجلُ بالقيام، فشعروا بحركة منه، فهمس إليهم
رئيسهم: أن قفوا ولا تبدوا ولعا، وتحايلوا بحيلة تخدعه بها
ولا يذهب تعبنا ضائعا. وأنا الآن رافع صوتي ومخاطبكم بشيء
فتنبهوا فيه إليّ وجيبوني إليه. فقالوا: نعم. فرفع اللص صوته
بحيث يسمع الرجل، وقال لأصحابه: إني أرى هذه الأمتعة نفيسة
شفقة، وما أرى قيمتها تفي بحملها ومخاطرتنا فيها. وقد ظهر لي
أن هذا الرجل شيخ محتاج، وقد حملني عليه الشفقة والرأفة
فرجعت رأيي فيه، فأبيت أن أدع نفسي وأن أخسّ عيبا
سرقته، وما هو شيء تشتهيه النفس ولا فيه كبير فائدة. وقد
كنت أسمع من بعض مشاهير اللصوص قول من عفّ عن متاع
فقير فلم يسرقه، فقد رفعه خير من ذلك سرقة غني
وأن أحلى سرقة سرقة الأغنياء ولا سيما ذوي البخل والحرص
منهم الذين ما بين أيديهم خزائنهم الأمدادين لأموال حبسوها فلا
ينتفعون بها ولا تركوها للناس. فهلموا بنا نترك هؤلاء وندع
هذا حطام الدنيا لا خير فيه ونغيظ آخرها الرجل
المسكين. فقالوا كلهم: صدقت وحسنت، وتظاهروا بهم

يأخذون الأحمال وخرجوا وكمنوا ينتظرون نوم الرجل. وإن
الرجل لما سمع كلامهم وثق به واطمأن إليه واعتقد أنهم
خرجوا فتكر ونام. ووثب اللصوص حتى أيقنوا أنه قد نام
فبادروا إلى الأحمال فاحتملوها وذهبوا بها. ✽ وإنما ضربت
لك هذا المثل إرادة أن لا تكون كذلك الرجل الذي كذب
بما رأى وصدق بما سمع. ثم بعث الملك إلى قرنائه وأمر
بالغراب أن يحمل إلى منازل البوم ويكرم ويستوصى به خيرا ✽
ثم إن الغراب قال للملك يوما وعنده جماعة من البوم وفيهن
الوزير الذي أشار بقتله: أيها الملك قد علمت ما جرى علي من
الغربان وإنه لا يستريح قلبي دون الأخذ بثأري منهن، وإني
قد نظرت في ذلك فإذا بي لا أقدر على ما رمت لأني غراب.
وقد روي عن العلماء أنهم قالوا من طابت نفسه بأن يحرقها
فقد قرب لله أعظم القربان لا يدعو عند ذلك بدعوة إلا
استجيب له. فإن رأى الملك أن يأمرني فأحرق نفسي وأدعو
ربي أن يحولني بوما فأكون أشد عداوة للغربان وأقوى بأسا
عليهن لعلي أنتقم منهن. فقال الوزير الذي أشار بقتله: ما

أَشْبَهَكَ فِي خَيْرِ مَا تُظْهِرُ وَشَرِّ مَا تُضْمِرُ[1] بِالْخَمْرَةِ الطَّيِّبَةِ الطَّعْمِ وَالرِّيحِ الْمُنْقَعِ فِيهَا السُّمُّ. أَرَأَيْتَ إِنْ أُحْرِقَ جِسْمُكَ بِالنَّارِ أَنَّ جَوْهَرَكَ وَطَبْعَكَ مُتَغَيِّرٌ، أَوَلَيْسَتْ أَخْلَاقُكَ تَدُورُ مَعَكَ حَيْثُ دُرْتَ وَتَصِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَصْلِكَ وَطَبِيعَتِكَ كَالْفَأْرَةِ الَّتِي خُيِّرَتْ فِي الْأَزْوَاجِ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالرِّيحِ وَالسَّحَابِ وَالْجَبَلِ فَلَمْ يَقَعِ اخْتِيَارُهَا حَتَّى رَجَعَتْ إِلَى أَصْلِهَا وَتَزَوَّجَتِ الْجُرَذَ. قِيلَ لَهُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ نَاسِكٌ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ. فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ إِذْ مَرَّتْ بِهِ حِدَأَةٌ فِي رِجْلِهَا دِرْصُ[2] فَأْرَةٍ. فَوَقَعَتْ مِنْهَا عِنْدَ النَّاسِكِ وَأَدْرَكَتْهُ لَهَا رَحْمَةٌ فَأَخَذَهَا وَلَفَّهَا فِي وَرَقَةٍ وَذَهَبَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ. ثُمَّ خَافَ أَنْ تَشُقَّ عَلَى أَهْلِهِ تَرْبِيَتُهَا فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ يُحَوِّلَهَا جَارِيَةً فَتَحَوَّلَتْ جَارِيَةً حَسْنَاءَ فَانْطَلَقَ بِهَا إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ لَهَا هَذِهِ ابْنَتِي فَاصْنَعِي مَعَهَا صَنِيعَكِ بِوَلَدِي. فَلَمَّا كَبِرَتْ قَالَ لَهَا النَّاسِكُ يَا بُنَيَّةُ اخْتَارِي مَنْ أَحْبَبْتِ حَتَّى أُزَوِّجَكِ بِهِ. فَقَالَتْ أَمَّا إِذْ خَيَّرْتَنِي فَإِنِّي أَخْتَارُ

---

١ المخبوء ٢ درص ولد الفأرة

زوجاً يكون أقوى الأشياء. فقال الناسك لعلك تريدين
الشمس. ثم انطلق إلى الشمس فقال: أيها الخلق العظيم إن لي
جارية وقد طلبت زوجاً يكون أقوى الأشياء فهل أنت متزوجها
فقالت الشمس: أنا أدلك على من هو أقوى مني السحاب الذي
يغطيني ويرد حر شعاعي ويكسف أشعة نوري. فذهب
الناسك إلى السحاب فقال له ما قال للشمس. فقال السحاب
وأنا أدلك على من هو أقوى مني. فاذهب إلى الريح التي تقبل
بي وتدبر وتذهب بي شرقاً وغرباً. فجاء الناسك إلى الريح فقال
لها كقوله للسحاب. فقالت وأنا أدلك على من هو أقوى مني
وهو الجبل الذي لا أقدر على تحريكه. فمضى إلى الجبل فقال
له القول فأجابه الجبل وقال له أنا أدلك على من هو أقوى
مني الجرذ الذي لا أستطيع الامتناع منه إذا خرقني واتخذني
مسكناً. فانطلق الناسك إلى الجرذ فقال له هل أنت متزوج
هذه الجارية فقال وكيف أتزوجها ومسكني ضيق. وإنما
يتزوج الجرذ الفأرة. فدعا الناسك ربه أن يحولها فأرة كما
كانت وذلك برضى الجارية فأعادها الله إلى عنصرها الأول

فانطلقت مع أخرى ❊ فهذا مثلك أيها المخادع. فلم يلتفت ملك البوم إلى ذلك القول ورفق بالغراب ولم يزدد له إلا إكراما. حتى إذا طاب عيشه ونبت ريشه واطلع على ما أراد أن يطلع عليه راغ[١] روغة فأتى أصحابه بما رأى وسمع. فقال للملك إني قد فرغت مما كنت أريد ولم يبق إلا أن تسمع وتطيع. قال له أنا والجند تحت أمرك فاحكم كيف شئت. قال الغراب إن البوم بمكان كذا في جبل كثير الحطب. وفي ذلك الموضع قطيع من الغنم مع رجل راع ونحن مصيبون هناك نارا ونلقيها في أنقاب[٢] البوم ونقذف عليها من يابس الحطب ونتراوح عليها ضربا بأجنحتنا حتى تضطرم النار في الحطب فمن خرج منهن احترق ومن لم يخرج مات بالدخان موضعه. ففعل الغربان ذلك فأهلكن البوم قاطبة[٣] ورجعن إلى منازلهن سالمات آمنات.

ثم إن ملك الغربان قال لذلك الغراب كيف صبرت على صحبة البوم ولا صبر للأخيار على صحبة الأشرار. فقال الغراب إن ما قلته أيها الملك لكذلك وإنه يقال لذع النار

١ مال حيلة مكر وخدعه ٢ جمع نقب وهو الخرق ونحوه ٣ أي جميعاً

أيسر على المرء من صحبة الأشرار والإقامة معهم. ولكن العاقل إذا أتاه الأمر الفظيع العظيم الذي يخاف من عدم احتماله جائحة[1] على نفسه وقومه لم يجزع من شدة الصبر عليه لما يرجو من عاقبة صبره حسن العاقبة وكثير الخير فلم يجد لذلك ألمًا ولم تكره نفسه الخضوع لمن هو دونه حتى يبلغ حاجته فيغتبط بخاتمة أمره وعاقبة صبره. فقال الملك أخبرني عن عقول البوم. قال الغراب لم أجد فيهم عاقلًا إلا الذي كان يحثهم على قتلي وكان حرضهم على ذلك مرارًا فكانوا أضعف شيء رأيًا فلم ينظروا في أمري ويذكروا أني قد كنت ذا منزلة في الغربان وأني أعد من ذوي الرأي ولم يتخوفوا مكري وحيلتي ولا قبلوا من الناصح الشفيق ولا أخفوا دوني أسرارهم. وقد قالت العلماء ينبغي للملك أن يحصن أموره من أهل النميمة ولا يطلع أحدًا منهم على موضع سره. وقد قيل ينبغي للملك أن يتحفظ من عدوه في كل شيء حتى في الماء الذي يشربه ويغتسل به والفراش الذي ينام عليه والحلة التي يلبسها والدابة التي يركبها ولا يأمن على نفسه إلا الثقة

١ نائبة عظيمة ج جوائح [illegible]

الأمين إلا بالتلطف والتضرع ويكون بعد ذلك كله على حذر منه لأن عدوه لا يتوصل إليه إلا من جهة ثقاته وربما كان أحدهم بعدوه صديقا فيصل العدو إلى مراده منه. فقال الملك ما أهلك البوم في نفسي[1] إلا البغي وضعف رأي الملك وموافقته وزراء السوء. فقال الغراب صدقت أيها الملك فإنه قلما ظفر أحد بغنى ولم يطغ وقل من حرص على النساء ولم يفتضح وقل من أكثر من الطعام ولم يمرض وقل من وثق بوزراء السوء وسلم من أن يقع في المهالك. وكان يقال لا يطمعن ذو الكبر[2] في حسن الثناء ولا الخب[3] في كثرة الصديق ولا السيء الأدب في الشرف ولا الشحيح في البر ولا الحريص في قلة الذنوب ولا الملك المختال المتهاون بالأمور الضعيف الوزراء في ثبات ملكه وصلاح رعيته. قال الملك لقد احتملت مشقة شديدة في تصنعك للبوم وتضرعك لهن. قال الغراب إنه من احتمل مشقة يرجو نفعها ونحى عن نفسه الأنفة والحمية ووطنها على الصبر حمد غب رأيه. كما صبر الأسود على حمل ملك الضفادع على ظهره وشبع بذلك وعاش.

[1] في رأيي [2] متكبر [3] بخيل

كَمَا قَتَلْتَ ٱبْنِيَ ٱلْبَرِيءَ ظُلْمًا وَتَعَدِّيًا أَدْعُو عَلَيْكَ أَنْ تَذِلَّ وَتَصِيرَ مَرْكَبًا لِمَلِكِ ٱلضَّفَادِعِ فَلَا تَسْتَطِيعَ أَخْذَهَا وَلَا أَكْلَ شَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَيْكَ مَلِكُهَا · فَأَتَيْتُ إِلَيْكَ لِتَرْكَبَنِي مُقِرًّا بِذٰلِكَ رَاضِيًا بِهِ · فَرَغِبَ مَلِكُ ٱلضَّفَادِعِ فِي رُكُوبِ ٱلْأَسْوَدِ وَظَنَّ أَنَّ ذٰلِكَ فَخْرٌ لَهُ وَشَرَفٌ وَرِفْعَةٌ فَرَكِبَهُ وَٱسْتَطَابَ ذٰلِكَ · فَقَالَ لَهُ ٱلْأَسْوَدُ قَدْ عَلِمْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنِّي مَحْرُومٌ فَٱجْعَلْ لِي رِزْقًا أَعِيشُ بِهِ · قَالَ مَلِكُ ٱلضَّفَادِعِ لَعَمْرِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ رِزْقٍ يَقُومُ بِكَ إِذَا كُنْتَ مَرْكَبِي فَأَمَرَ لَهُ بِضِفْدِعَيْنِ يُؤْخَذَانِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيُدْفَعَانِ إِلَيْهِ · فَعَاشَ بِذٰلِكَ وَلَمْ يَضُرَّهُ خُضُوعُهُ لِلْعَدُوِّ ٱلذَّلِيلِ بَلِ ٱنْتَفَعَ بِذٰلِكَ وَصَارَ لَهُ رِزْقًا وَمَعِيشَةً ❋ وَكَذٰلِكَ كَانَ صَبْرِي عَلَى مَا صَبَرْتُ عَلَيْهِ ٱلْتِمَاسًا لِهٰذَا ٱلنَّفْعِ ٱلْعَظِيمِ ٱلَّذِي ٱجْتَمَعَ لَنَا فِيهِ ٱلْأَمْنُ وَٱلظَّفَرُ وَهَلَاكُ ٱلْعَدُوِّ وَٱلرَّاحَةُ مِنْهُ · وَوَجَدْتُ صَرْعَةَ ٱللِّينِ وَٱلرِّفْقِ أَسْرَعَ وَأَشَدَّ ٱسْتِئْصَالًا لِلْعَدُوِّ مِنْ صَرْعَةِ ٱلْمُكَابَرَةِ وَٱلْعِنَادِ · فَإِنَّ ٱلنَّارَ لَا تَزِيدُ بِحِدَّتِهَا وَحَرِّهَا إِذَا أَصَابَتِ ٱلشَّجَرَةَ عَلَى أَنْ تُحْرِقَ مَا فَوْقَ ٱلْأَرْضِ مِنْهَا · وَٱلْمَاءُ بِلِينِهِ وَبَرْدِهِ يَسْتَأْصِلُ مَا تَحْتَ ٱلْأَرْضِ

منها. ويقال أربعة أشياء لا يستقل قليلها النار والمرض والعدو والدين. قال الغراب وكل ذلك كان من رأي الملك وأدبهِ وسعادة جدهِ. وإنه كان يقال إذا طلب اثنان أمرًا ظفر بهِ منهما أفضلهما مروءةً. فإن اعتدلا في المروءة فأشدهما عزمًا. فإن استويا في العزم فأسعدهما جدًّا. وكان يقال من حارب الملك الحازم الأريب المتضرع الذي لا تبطرهُ السراء ولا تدهشهُ الضراء كان هو داعي الحتف إلى نفسهِ. ولا سيما إذا كان مثلك أيها الملك العالم بفروض الأعمال ومواضع الشدة واللين والغضب والرضى والمعالجة والأناة الناظر في أمر يومهِ وغدهِ وعواقب أعمالهِ. قال الملك للغراب بل برأيك[1] وعقلك ونصيحتك ويمن[2] طالعك كان ذلك. فإن رأي الرجل العاقل الواحد الحازم أبلغ في هلاك العدو من الجنود الكثيرة من ذوي البأس والنجدة والعدد والعدة. وإن من عجيب أمرك عندي طول لبثك بين ظهراني[3] البوم تسمع الكلام الغليظ ثم لم تسقط بينهن بكلمة. قال الغراب لم أزل متمسكًا بأدبك أيها الملك أصحب البعيد والقريب بالرفق واللين

١ أي رأيك ٢ بركة ٣ في وسط

والمبالغة والمؤاتاة. قال الملك أصبحت وقد وجدتك صاحب العمل ووجدت غيرك من الوزراء أصحاب أقاويل ليس لها عاقبة حميدة. فقد من الله علينا بك منة عظيمة لم نكن قبلها نجد لذة الطعام والشراب ولا النوم ولا القرار. وكان يقال لا يجد المريض لذة الطعام والنوم حتى يبرا ولا الرجل الشره الذي قد أطمعه سلطانه في مال وعمل في يده حتى ينجزه له ولا الرجل الذي قد ألح عليه عدوه وهو يخافه صباحا ومساء حتى يستريح منه قلبه. ومن وضع الحمل الثقيل عن يده أراح نفسه ومن أمن عدوه ثلج[1] صدره. قال الغراب أسأل الله الذي أهلك عدوك أن يمتعك بسلطانك وأن يجعل في ذلك صلاح رعيتك ويشركهم في قرة العين بملكك. فإن الملك إذا لم يكن في ملكه قرة عيون رعيته فمثله مثل زنمة[2] العنز التي يمصها الجدي وهو يحسبها حلمة الضرع فلا يصادف فيها خيرا.

قال الملك أيها الوزير الصالح كيف كانت سيرة البوم وملكها في حروبها وفيما كانت فيه من أمورها. قال الغراب كانت سيرته سيرة بطر وأشر[3] وخيلاء[4] وعجز وفخر مع ما فيه من الصفات

١ اطمأن ٢ قطعة لحم طويلة تتدلى من عنق العنز ٣ بمعنى بطر ٤ كبرياء

ٱلذَّمِيمَةِ . وَكُلُّ أَصْحَابِهِ وَوُزَرَآئِهِ شَبِيهٌ بِهِ إِلَّا ٱلْوَزِيرَ ٱلَّذِي كَانَ يَشِيرُ عَلَيْهِ بِقَتْلِي فَإِنَّهُ كَانَ حَكِيمًا أَرِيبًا فَيْلَسُوفًا حَازِمًا قَلَّمَا يُرَى مِثْلُهُ فِي عُلُوِّ ٱلْهِمَّةِ وَكَمَالِ ٱلْعَقْلِ وَجُودَةِ ٱلرَّأْيِ . قَالَ ٱلْمَلِكُ وَأَيُّ خَصْلَةٍ كَانَتْ أَدَلَّ عَلَى عَقْلِهِ . قَالَ خَلَّتَانِ إِحْدَاهُمَا رَأْيُهُ فِي قَتْلِي وَٱلْأُخْرَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَكْتُمُ صَاحِبَهُ نَصِيحَةً وَإِنِ ٱسْتَثْقَلَهَا . وَلَمْ يَكُنْ كَلَامُهُ كَلَامَ عُنْفٍ وَقَسْوَةٍ وَلٰكِنَّهُ كَلَامُ رِفْقٍ وَلِينٍ حَتَّى إِنَّهُ رُبَّمَا أَخْبَرَهُ بِبَعْضِ عُيُوبِهِ وَلَا يُصَرِّحُ بِحَقِيقَةِ ٱلْحَالِ بَلْ يَضْرِبُ لَهُ ٱلْأَمْثَالَ وَيُحَدِّثُهُ بِعَيْبِ غَيْرِهِ فَيَعْرِفُ عَيْبَهُ فَلَا يَجِدُ مَلِكُهُ إِلَى ٱلْغَضَبِ عَلَيْهِ سَبِيلًا . وَكَانَ مِمَّا سَمِعْتُهُ يَقُولُ لِمَلِكِهِ أَنَّهُ قَالَ لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَغْفُلَ عَنْ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ أَمْرٌ جَسِيمٌ لَا يَظْفَرُ بِهِ مِنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا ٱلْقَلِيلُ وَلَا يُدْرَكُ إِلَّا بِٱلْحَزْمِ . فَإِنَّ ٱلْمُلْكَ عَزِيزٌ فَمَنْ ظَفِرَ بِهِ فَلْيُحْسِنْ حِفْظَهُ وَتَحْصِينَهُ . فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ فِي قِلَّةِ بَقَائِهِ بِمَنْزِلَةِ قِلَّةِ بَقَآءِ ٱلظِّلِّ عَنْ وَرَقِ ٱلنَّيْلُوفَرِ وَهُوَ فِي خِفَّةِ زَوَالِهِ وَسُرْعَةِ إِقْبَالِهِ وَإِدْبَارِهِ كَٱلرِّيحِ وَفِي قِلَّةِ ثَبَاتِهِ كَٱللَّبِيبِ مَعَ ٱللِّئَامِ وَفِي سُرْعَةِ ٱضْمِحْلَالِهِ كَحُبَابِ[1] ٱلْمَآءِ مِنْ وَقْعِ ٱلْمَطَرِ

[1] نفاخات

فَهٰذا مَثَلُ أَهْلِ ٱلْعَداوَةِ ٱلَّذِينَ لا يَنْبَغِي أَنْ يُغْتَرَّ بِهِمْ وَإِنْ هُمْ أَظْهَرُوا تَوَدُّدًا وَتَضَرُّعًا

بابُ

ٱلْقِرْدِ وَٱلْغَيْلَمِ

قالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلَ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَطْلُبُ ٱلْحاجَةَ فَإِذا ظَفِرَ بِها أَضاعَها

قالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ إِنَّ طَلَبَ ٱلْحاجَةِ أَهْوَنُ مِنَ ٱلِٱحْتِفاظِ بِها . وَمَنْ ظَفِرَ بِٱلْحاجَةِ ثُمَّ لَمْ يُحْسِنِ ٱلْقِيامَ بِها أَصابَهُ ما أَصابَ ٱلْغَيْلَمَ . قالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ بَيْدَبا زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا كانَ مَلِكَ ٱلْقِرَدَةِ يُقالُ لَهُ ماهِرٌ وَكانَ قَدْ كَبِرَ وَهَرِمَ . فَوَثَبَ عَلَيْهِ قِرْدٌ شابٌّ مِنْ بَيْتِ ٱلْمَمْلَكَةِ فَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَأَخَذَ مَكانَهُ . فَخَرَجَ هارِبًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى ٱلسّاحِلِ فَوَجَدَ شَجَرَةً مِنْ شَجَرِ ٱلتِّينِ فَٱرْتَقَى إِلَيْها وَجَعَلَها

مُقامهُ. فبينما هو ذات يومٍ يأكُلُ من ذلك التين إذ سقطت من يدهِ تينة في الماء فسمع لها صوتًا وإيقاعًا فجعل يأكُلُ ويرمي في الماء فأطربهُ ذلك فأكثر من تطريح التين في الماء. وثَمَّ غيلمٌ كلّما وقعت تينةٌ أكلها. فلمَّا كثر ذلك ظنَّ أنَّ القرد إنّما يفعل ذلك لأجلهِ فرغب في مصادقتهِ وأنس إليهِ وكلّمهُ وألِف كلُّ واحدٍ منهما صاحبهُ. وطالت غيبة الغيلم عن زوجتهِ فجزعت عليهِ وشكت ذلك إلى جارةٍ لها وقالت قد خفتُ أن يكون قد عرض لهُ عارضُ سوءٍ فاغتالهُ. فقالت لها إنَّ زوجكِ في الساحل قد ألِف قردًا وألِفهُ القرد فهو مؤاكِلهُ ومشاربهُ وهو الذي قطعهُ عنكِ ولا يقدِرُ أن يُقيم عندكِ حتى تحتالي لهلاك القرد. قالت وكيف أصنع. قالت جارتها إذا وصل إليكِ فتمارضي فإذا سألكِ عن حالكِ فقولي إنَّ الأطبَّاء وصفوا لي قلب قردٍ. ثمَّ إنَّ الغيلم انطلق بعد مدةٍ إلى منزلهِ فوجد زوجتهُ سيئة الحالِ مهمومةً فقال لها مالي أراكِ هكذا. فأجابتهُ جارتها وقالت إنَّ زوجتك مريضةٌ مسكينةٌ. وقد وصف لها الأطبَّاء قلب قردٍ وليس لها

١ من ايقاع الاصوات في الغناء وهو اتفاقها ٢ ذكر السلحفاة ٣ أكلٌ وشاربٌ معهُ

دواءٌ سواهُ . قال الغيلمُ هذا أمرٌ عسيرٌ من أين لنا قلبُ قردٍ ونحنُ في الماء وبقي متحيِّرًا . ثم قال في نفسهِ ما لي قدرة على ذلك الاَّ أن أغدرَ بخليلي وصاحبي وإثمهُ عندي شديد وأشدُّ[1] من ذلك هلاكُ زوجتي لأنَّ الزوجة الصالحة لا يعدلها شيء لأنها عونٌ على أمر الدنيا والآخرة . ثم عاد إلى الساحل حزينًا كئيبًا مفكِّرًا في نفسهِ كيف يصنع . فقال لهُ القردُ يا أخي ما حبسك عنّي . قال لهُ الغيلمُ ما حبسني عنك إلاَّ حيائي فلم أعرف كيف أكافئك على إحسانك إليَّ . وأريدُ أن تُتمَّ إحسانك إليَّ بزيارتك لي في منزلي فإني ساكنٌ في جزيرة طيبة الفاكهة . فاركبْ ظهري لأسبحَ بك فإنَّ أفضلَ ما يلتمسهُ المرءُ من أخلاَّئهِ أن يغشَوا منزلهُ وينالوا من طعامهِ وشرابهِ ويعرفهم أهلهُ وولدهُ وجيرانهُ . وأنت لم تطأْ منزلي ولم تذقْ لي طعامًا ولا شرابًا وذلك منقصةٌ وعارٌ عليَّ . قال لهُ القردُ وما يريدُ المرءُ من خليلهِ إلاَّ أن يبذلَ لهُ وُدَّهُ ويُصفي لهُ قلبهُ وما سوى ذلك فَفُضولٌ . قال الغيلمُ نعم غير أنَّ الاجتماعَ على الطعام والشراب آكدُ للمودة والأُنس . لأنَّا

[1] تفضيل من أكَّدهُ أي أوثقهُ

ترى الدوابّ اذا ائتلفت معاً ألِف بعضها بعضاً . وكان يقال لا ينبغي للعاقل أن يلحّ على إخوانه في المسئلة فإنّ العجل اذا أكثر مصّ ضرع أمّه نطحته . فرغب القرد في الذهاب معه فقال حبّاً وكرامة ونزل فركب ظهر الغيلم فسبح به حتّى إذا تجاوز قليلاً عرض له قبح ما أضمر في نفسه من الغدر فنكس رأسه ووقف وقال في نفسه كيف أغدر بخليلي لكلمة قالتها امرأة من الجاهلات . وما أدري لعلّ جارتي قد خدعتني وكذبت بما روت عن الأطبّاء . فإنّ الذهب يجرّب بالنار والرجال بالأخذ والعطاء والدوابّ بالحمل والجري ولا يقدر أحد أن يجرّب مكر النساء الشرّيرات ولا يقدر على كيدهنّ وكثرة حيلهنّ . فقال له القرد ما لي أراك مهتمّاً . قال الغيلم إنّما همّي لأنّي ذكرت أنّ زوجتي شديدة المرض وذلك يمنعني من كثير ممّا أريد أن أبلغه من كرامتك وملاطفتك . قال القرد إنّ الّذي اعرف من حرصك على كرامتي يكفيك مؤونة التكلّف . قال الغيلم أجل . ومضى بالقرد ساعة ثمّ توقّف به ثانية .

١ الضرع لكل ذات ظلف وخف كالثدي للمرأة

فَسَاءَ ظَنُّ ٱلْقِرْدِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ مَا ٱحْتِبَاسُ ٱلْغَيْلَمِ وَإِبْطَاؤُهُ
ٱلْأَمْرِ. وَلَسْتُ آمِنًا أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ قَدْ تَغَيَّرَ لِي وَحَالَ عَنْ
مَوَدَّتِي فَأَرَادَ بِي سُوءًا. فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَخَفُّ وَأَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِنَ
ٱلْقَلْبِ. وَقَدْ يُقَالُ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَغْفُلَ عَنِ ٱلْتِمَاسِ مَا فِي
نَفْسِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَإِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ
وَكَلِمَةٍ وَعِنْدَ ٱلْقِيَامِ وَٱلْقُعُودِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ. فَإِنَّ ذٰلِكَ كُلَّهُ
يَشْهَدُ عَلَى مَا فِي ٱلْقُلُوبِ. وَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ إِذَا دَخَلَ قَلْبَ
ٱلصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ رِيبَةٌ فَلْيَأْخُذْ بِٱلْحَزْمِ فِي ٱلتَّحَفُّظِ مِنْهُ وَلْيَتَفَقَّدْ
ذٰلِكَ فِي لَحَظَاتِهِ وَحَالَاتِهِ فَإِنْ كَانَ مَا يَظُنُّ حَقًّا ظَفِرَ بِٱلسَّلَامَةِ
وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا ظَفِرَ بِٱلْحَزْمِ وَلَمْ يَضُرَّهُ ذٰلِكَ. ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلَمِ
مَا يَحْبِسُكَ وَمَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا كَأَنَّكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى
قَالَ يُهِمُّنِي أَنَّكَ تَأْتِي مَنْزِلِي فَلَا تَجِدُ أَمْرِي كَمَا أُحِبُّ لِأَنَّ زَوْجَتِي
مَرِيضَةٌ. قَالَ ٱلْقِرْدُ لَا تَغْتَمَّ فَإِنَّ ٱلْغَمَّ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا. وَلٰكِنِ
ٱلْتَمِسْ مَا يُصْلِحُ زَوْجَتَكَ مِنَ ٱلْأَدْوِيَةِ وَٱلْأَغْذِيَةِ. فَإِنَّهُ يُقَالُ
لِيَبْذُلْ ذَوُو ٱلْمَالِ مَالَهُمْ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ. فِي ٱلصَّدَقَةِ وَفِي وَقْتِ
ٱلْحَاجَةِ وَعَلَى ٱلْبَنِينَ وَعَلَى ٱلْأَزْوَاجِ وَلَا سِيَّمَا إِذَا كُنَّ صَالِحَاتٍ.

١ بمعنى تغير

قَالَ ٱلْغَيْلَمُ صَدَقْتَ . وَقَدْ قَالَتِ ٱلْأَطِبَّاءُ إِنَّهُ لَا دَوَاءَ لَهَا إِلَّا قَلْبُ قِرْدٍ . فَقَالَ ٱلْقِرْدُ فِي نَفْسِهِ وَاسُوءَتَاهُ لَقَدْ أَدْرَكَنِي ٱلْحِرْصُ وَٱلشَّرَهُ عَلَى كِبَرِ سِنِّي حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ وَرْطَةٍ . وَلَقَدْ صَدَقَ ٱلَّذِي قَالَ يَعِيشُ ٱلْقَانِعُ ٱلرَّاضِي مُسْتَرِيحًا مُطْمَئِنًّا وَذُو ٱلْحِرْصِ وَٱلشَّرَهِ يَعِيشُ مَا عَاشَ فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ . وَإِنِّي قَدِ ٱحْتَجْتُ ٱلْآنَ إِلَى عَقْلِي فِي ٱلْتِمَاسِ ٱلْمَخْرَجِ مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلَمِ وَمَا مَنَعَكَ أَصْلَحَكَ ٱللّٰهُ أَنْ تُعْلِمَنِي عِنْدَ مَنْزِلِي حَتَّى كُنْتُ أَحْمِلُ قَلْبِي مَعِي فَإِنَّ هٰذِهِ سُنَّةٌ فِينَا مَعَاشِرَ ٱلْقِرَدَةِ إِذَا خَرَجَ أَحَدُنَا لِزِيَارَةِ صَدِيقٍ لَهُ خَلَّفَ قَلْبَهُ عِنْدَ أَهْلِهِ أَوْ فِي مَوْضِعِهِ لِنَنْظُرَ إِذَا نَظَرْنَا إِلَى حُرَمِ ٱلْمَزُورِ وَلَيْسَ قُلُوبُنَا مَعَنَا . قَالَ ٱلْغَيْلَمُ وَأَيْنَ قَلْبُكَ ٱلْآنَ قَالَ خَلَّفْتُهُ فِي ٱلشَّجَرَةِ فَإِنْ شِئْتَ فَٱرْجِعْ بِي إِلَى ٱلشَّجَرَةِ حَتَّى آتِيَكَ بِهِ . فَفَرِحَ ٱلْغَيْلَمُ بِذٰلِكَ وَقَالَ لَقَدْ وَافَقَنِي صَاحِبِي بِدُونِ أَنْ أَغْدِرَ بِهِ . ثُمَّ رَجَعَ بِٱلْقِرْدِ إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا قَارَبَ ٱلسَّاحِلَ وَثَبَ عَنْ ظَهْرِهِ فَٱرْتَقَى ٱلشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى ٱلْغَيْلَمِ نَادَاهُ يَا خَلِيلِي ٱحْمِلْ قَلْبَكَ وَٱنْزِلْ فَقَدْ حَبَسْتَنِي . فَقَالَ ٱلْقِرْدُ هَيْهَاتَ أَتَظُنُّ أَنِّي كَٱلْحِمَارِ ٱلَّذِي زَعَمَ ٱبْنُ آوَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَلْبٌ وَلَا

أُذُنانِ . قالَ ٱلْغَيْلَمُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ :

قالَ ٱلْقِرْدُ زَعَمُوا أَنَّهُ كانَ أَسَدٌ فِي أَجَمةٍ وَكانَ مَعَهُ ٱبْنُ آوَى يأْكُلُ مِنْ فَضَلاتِ طَعامِهِ . فَأَصابَ ٱلْأَسَدَ جَرَبٌ وَضَعْفٌ شَدِيدًا وَجُهِدَ فَلَمْ يَسْتَطِعِ ٱلصَّيْدَ . فَقالَ لَهُ ٱبْنُ آوَى ما بالُكَ يا سَيِّدَ ٱلسِّباعِ قَدْ تَغَيَّرَتْ أَحْوالُكَ . قالَ هٰذا ٱلْجَرَبُ ٱلَّذِي قَدْ جَهَدَنِي وَلَيْسَ لَهُ دَواءٌ إِلَّا قَلْبُ حِمارٍ وَأُذُناهُ . قالَ ٱبْنُ آوَى ما أَيْسَرَ هٰذا . وَقَدْ عَرَفْتُ بِمَكانِ كَذا حِمارًا مَعَ قَصّارٍ[١] يَحْمِلُ عَلَيْهِ ثِيابَهُ وَأَنا آتِيكَ بِهِ . ثُمَّ دَلَفَ[٢] إِلَى ٱلْحِمارِ فَأَتاهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقالَ لَهُ ما لِي أَراكَ مَهْزُولًا . قالَ لِسُوءِ تَدْبِيرِ صاحِبِي فَإِنَّهُ لا يَزالُ يُجِيعُ بَطْنِي وَيُثْقِلُ ظَهْرِي . وَما تَجْتَمِعُ هاتانِ ٱلْحالَتانِ عَلَى جِسْمٍ إِلَّا أَنْحَلَتاهُ وَأَسْقَمَتاهُ . فَقالَ لَهُ كَيْفَ تَرْضَى ٱلْمُقامَ مَعَهُ عَلَى هٰذا . قالَ ما لِي حِيلَةٌ لِلْهَرَبِ مِنْهُ فَلَسْتُ أَتَوَجَّهُ إِلَى جِهَةٍ إِلَّا أَضَرَّ بِي إِنْسانٌ فَكَدَّنِي وَأَجاعَنِي . قالَ ٱبْنُ آوَى فَأَنا أَدُلُّكَ عَلَى مَكانٍ مَعْزُولٍ عَنِ ٱلنّاسِ لا يَمُرُّ بِهِ إِنْسانٌ خَصِيبُ ٱلْمَرْعَى فِيهِ عانَةٌ[٣] مِنَ ٱلْحُمُرِ[٤] تَرْعَى آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً . قالَ ٱلْحِمارُ وَما يَحْبِسُنا عَنْها فَٱنْطَلِقْ بِنا إِلَيْها فَٱنْطَلَقَ بِهِ نَحْوَ

١ مبيض الثياب ٢ تقدم ٣ جماعة من الحمير ٤ الحمير

ٱلْأَسَدِ وَتَقَدَّمَ ٱبْنُ آوَى وَدَخَلَ ٱلْغَابَةَ عَلَى ٱلْأَسَدِ فَأَخْبَرَهُ بِمَكَانِ ٱلْحِمَارِ. فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَأَرَادَ أَنْ يَثِبَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِضَعْفِهِ وَتَخَلَّصَ ٱلْحِمَارُ مِنْهُ فَأَفْلَتَ هَلِعًا¹ عَلَى وَجْهِهِ. فَلَمَّا رَأَى ٱبْنُ آوَى أَنَّ ٱلْأَسَدَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ٱلْحِمَارِ قَالَ لَهُ يَا سَيِّدَ ٱلسِّبَاعِ أَعَجَزْتَ إِلَى هٰذِهِ ٱلْغَايَةِ. فَقَالَ لَهُ إِنْ جِئْتَنِي بِهِ مَرَّةً أُخْرَى فَلَنْ يَنْجُوَ مِنِّي أَبَدًا. فَمَضَى ٱبْنُ آوَى إِلَى ٱلْحِمَارِ فَقَالَ لَهُ مَا ٱلَّذِي جَرَى عَلَيْكَ إِنَّ أَحَدَ ٱلْحُمُرِ رَآكَ غَرِيبًا فَخَرَجَ يَتَلَقَّاكَ مُرَحِّبًا بِكَ وَلَوْ ثَبَتَّ لَآنَسَكَ وَمَضَى بِكَ إِلَى أَصْحَابِهِ. فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْحِمَارُ ذٰلِكَ وَلَمْ يَكُنْ رَأَى أَسَدًا قَطُّ صَدَّقَ مَا قَالَهُ ٱبْنُ آوَى وَأَخَذَ طَرِيقَهُ إِلَى ٱلْأَسَدِ. فَسَبَقَهُ ٱبْنُ آوَى إِلَى ٱلْأَسَدِ وَأَعْلَمَهُ بِمَكَانِهِ وَقَالَ لَهُ ٱسْتَعِدَّ لَهُ فَقَدْ خَدَعْتُهُ لَكَ فَلَا يُدْرِكَنَّكَ ٱلضَّعْفُ فِي هٰذِهِ ٱلنَّوْبَةِ فَإِنَّهُ إِنْ أَفْلَتَ لَنْ يَعُودَ مَعِي أَبَدًا وَٱلْفُرَصُ لَا تُصَابُ فِي كُلِّ وَقْتٍ. فَجَاشَ² جَأْشُ ٱلْأَسَدِ لِتَحْرِيضِ ٱبْنِ آوَى لَهُ وَخَرَجَ إِلَى مَوْضِعِ ٱلْحِمَارِ فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ عَاجَلَهُ بِوَثْبَةٍ ٱفْتَرَسَهُ بِهَا. ثُمَّ قَالَ قَدْ ذَكَرَتِ ٱلْأَطِبَّاءُ أَنَّهُ لَا يُؤْكَلُ إِلَّا بَعْدَ ٱلِٱغْتِسَالِ وَٱلطُّهْرِ.

---

١ خائفا جدًّا ٢ اي هاج

فَٱحْتَفِظْ بِهِ حَتَّى أَعُودَ فَآكُلَ قَلْبَهُ وَأُذُنَيْهِ وَأَتْرُكَ مَا سِوَى ذٰلِكَ قُوتًا لَكَ. فَلَمَّا ذَهَبَ ٱلْأَسَدُ لِيَغْتَسِلَ عَمَدَ ٱبْنُ آوَى إِلَى ٱلْحِمَارِ فَأَكَلَ قَلْبَهُ وَأُذُنَيْهِ رَجَاءَ أَنْ يَتَطَيَّرَ ٱلْأَسَدُ مِنْهُ فَلَا يَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئًا. ثُمَّ إِنَّ ٱلْأَسَدَ رَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ فَقَالَ لِٱبْنِ آوَى أَيْنَ قَلْبُ ٱلْحِمَارِ وَأُذُنَاهُ قَالَ ٱبْنُ آوَى أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ يَعْقِلُ بِهِ وَأُذُنَانِ يَسْمَعُ بِهِمَا لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْكَ بَعْدَمَا أَفْلَتَ وَنَجَا مِنَ ٱلْهَلَكَةِ * وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنِّي لَسْتُ كَذٰلِكَ ٱلْحِمَارِ ٱلَّذِي زَعَمَ ٱبْنُ آوَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَلْبٌ وَلَا أُذُنَانِ. وَلٰكِنَّكَ ٱحْتَلْتَ عَلَيَّ وَخَدَعْتَنِي فَخَدَعْتُكَ بِمِثْلِ خَدِيعَتِكَ وَٱسْتَدْرَكْتُ فَارِطَ أَمْرِي. وَقَدْ قِيلَ إِنَّ ٱلَّذِي يُفْسِدُهُ ٱلْحِلْمُ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا ٱلْعِلْمُ. قَالَ ٱلْغَيْلَمُ صَدَقْتَ إِلَّا أَنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلصَّالِحَ يَعْتَرِفُ بِزَلَّتِهِ وَإِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا لَمْ يَسْتَحْيِ أَنْ يُؤَدَّبَ لِصِدْقِهِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ. وَإِنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةٍ أَمْكَنَهُ ٱلتَّخَلُّصُ مِنْهَا بِحِيلَتِهِ وَعَقْلِهِ كَٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَعْثُرُ عَلَى ٱلْأَرْضِ وَعَلَيْهَا يَعْتَمِدُ فِي نُهُوضِهِ فَهٰذَا مَثَلُ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَطْلُبُ ٱلْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا

١ بِشْنَاعَم

بابُ

ٱلنَّاسِكِ وَٱبْنِ عِرْسٍ

قالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلَ ٱلرَّجُلِ ٱلْعَجْلانِ فِي أَمْرِهِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ ولانَظَرٍ فِي ٱلْعَواقِبِ

قالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي أَمْرِهِ مُتَثَبِّتًا لَمْ يَزَلْ نادِمًا وَيَصِيرُ أَمْرُهُ إِلَى ما صارَ إِلَيْهِ ٱلنَّاسِكُ مِنْ قَتْلِ ٱبْنِ عِرْسٍ وَقَدْ كانَ لَهُ وَدُودًا . قالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّ ناسِكًا مِنَ ٱلنُّسَّاكِ كانَ بِأَرْضِ جُرْجانَ وَكانَتْ لَهُ ٱمْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ لَها مَعَهُ صُحْبَةٌ . فَمَكَثا زَمانًا لَمْ يُرْزَقا وَلَدًا . ثُمَّ حَمَلَتْ بَعْدَ ٱلْإِياسِ فَسُرَّتِ ٱلْمَرْأَةُ وَسُرَّ ٱلنَّاسِكُ بِذٰلِكَ وَحَمِدَ ٱللهَ تَعالَى وَسَأَلَهُ أَنْ يَكُونَ ٱلْحَمْلُ ذَكَرًا وَقالَ لِزَوْجَتِهِ أَبْشِرِي فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ غُلامًا فِيهِ لَنا

مَنافِعُ وقُرَّةُ عَيْنٍ أَختارُ لَهُ أَحسَنَ ٱلأَسماءِ وَأُحضِرُ لَهُ جَمِيعَ ٱلمُؤَدِّبِينَ . فقالَتِ ٱلمَرأَةُ ما يَحمِلُكَ أَيُّها ٱلرَّجُلُ عَلَى أَنْ تَتَكَلَّمَ بِما لا تَدرِي أَيَكُونُ أَمْ لا . وَمَنْ فَعَلَ ذٰلِكَ أَصابَهُ ما أَصابَ ٱلنّاسِكَ ٱلَّذِي أَهرَقَ عَلَى رَأسِهِ ٱلسَّمْنَ وَٱلعَسَلَ . قالَ لَها وَكَيفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَتْ زَعَمُوا أَنَّ ناسِكًا كانَ يَجرِي عَلَيهِ مِنْ بَيتِ رَجُلٍ تاجِرٍ فِي كُلِّ يَومٍ رِزقٌ مِنَ ٱلسَّمْنِ وَٱلعَسَلِ وَكانَ يَأْكُلُ مِنهُ قُوتَهُ وَحاجَتَهُ وَيَرفَعُ ٱلباقِيَ وَيَجعَلُهُ فِي جَرَّةٍ فَيُعَلِّقُها فِي وَتِدٍ فِي ناحِيَةِ ٱلبَيتِ حَتَّى ٱمتَلَأَتْ . فَبَينَما ٱلنّاسِكُ ذاتَ يَومٍ مُستَلْقٍ عَلَى ظَهرِهِ وَٱلعُكّازَةُ فِي يَدِهِ وَٱلجَرَّةُ مُعَلَّقَةٌ فَوقَ رَأسِهِ تَفَكَّرَ فِي غَلاءِ ٱلسَّمْنِ وَٱلعَسَلِ فَقالَ سَأَبِيعُ ما فِي هٰذِهِ ٱلجَرَّةِ بِدِينارٍ وَأَشتَرِي بِهِ عَشَرَةَ أَعنُزٍ[1] فَيَحبَلْنَ وَيَلِدْنَ فِي كُلِّ خَمسَةِ أَشهُرٍ مَرَّةً وَلا تَلبَثُ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى تَصِيرَ مَعْزًا كَثِيرًا إِذا وَلَدَتْ أَولادُها . ثُمَّ حَرَّرَ عَلَى هٰذا ٱلنَّحوِ بِسِنِينَ فَوَجَدَ ذٰلِكَ أَكثَرَ مِنْ أَربَعِمِئَةِ عَنزٍ . فَقالَ أَنا أَشتَرِي بِها مِئَةً مِنَ ٱلبَقَرِ بِكُلِّ أَربَعَةِ أَعنُزٍ ثَوْرًا أَو

[1] جمع عنز

بَقَرَةً وَأَشْتَرِي أَرْضًا وَبَذْرًا وَأَسْتَأْجِرُ أَكَرَةً وَأَزْرَعُ عَلَى ٱلثِّيرَانِ وَأَنْتَفِعُ بِأَلْبَانِ ٱلْإِنَاثِ وَنِتَاجِهَا فَلَا تَأْتِي عَلَيَّ خَمْسُ سِنِينَ إِلَّا وَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ ٱلزَّرْعِ مَالًا كَثِيرًا فَأَبْنِي بَيْتًا فَاخِرًا وَأَشْتَرِي إِمَاءً وَعَبِيدًا وَأَتَزَوَّجُ ٱمْرَأَةً جَمِيلَةً ذَاتَ حُسْنٍ فَتَحْبَلُ ثُمَّ تَأْتِي بِغُلَامٍ سَرِيٍّ نَجِيبٍ فَأَخْتَارُ لَهُ أَحْسَنَ ٱلْأَسْمَاءِ. فَإِذَا تَرَعْرَعَ أَدَّبْتُهُ وَأَحْسَنْتُ تَأْدِيبَهُ وَأَشَدِّدُ عَلَيْهِ فِي ذٰلِكَ فَإِنْ قَبِلَ مِنِّي وَإِلَّا ضَرَبْتُهُ بِهٰذِهِ ٱلْعُكَّازَةِ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى ٱلْجَرَّةِ فَكَسَرَهَا فَسَالَ مَا فِيهَا عَلَى وَجْهِهِ * وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِكَيْ لَا تَعْجَلَ بِذِكْرِ مَا لَا يَنْبَغِي ذِكْرُهُ وَمَا لَا تَدْرِي أَيَصِحُّ أَمْ لَا يَصِحُّ وَلٰكِنِ ٱدْعُ رَبَّكَ وَتَوَسَّلْ إِلَيْهِ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ. فَإِنَّ ٱلتَّصَاوِيرَ فِي ٱلْحَائِطِ إِنَّمَا هِيَ مَا دَامَ بِنَاؤُهُ قَائِمًا فَإِذَا وَقَعَ وَتَهَدَّمَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهَا.

فَٱتَّعَظَ ٱلنَّاسِكُ بِمَا حَكَتْ زَوْجَتُهُ * ثُمَّ إِنَّ ٱلْمَرْأَةَ وَلَدَتْ غُلَامًا جَمِيلًا فَفَرِحَ بِهِ أَبُوهُ وَبَعْدَ أَيَّامٍ حَانَ لَهَا أَنْ تَتَطَهَّرَ. فَقَالَتِ ٱلْمَرْأَةُ لِلنَّاسِكِ ٱقْعُدْ عِنْدَ ٱبْنِكَ حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى ٱلْحَمَّامِ فَأَغْتَسِلَ وَأَعُودَ. ثُمَّ إِنَّهَا ٱنْطَلَقَتْ إِلَى ٱلْحَمَّامِ وَخَلَّفَتْ زَوْجَهَا وَٱلْغُلَامَ. فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ رَسُولُ ٱلْمَلِكِ يَسْتَدْعِيهِ وَلَمْ يَجِدْ

حراثين ٢ جمع أمة وهي الجارية السوداء ٣ شريف ٤ كريم ٥ شب

مَنْ يَخْلُفُهُ عِنْدَ ٱبْنِهِ غَيْرَ ٱبْنِ عِرْسٍ دَاجِنٍ [١] عِنْدَهُ كَانَ قَدْ رَبَّاهُ
صَغِيرًا فَهُوَ عِنْدَهُ عَدِيلُ وَلَدِهِ . فَتَرَكَهُ ٱلنَّاسِكُ عِنْدَ ٱلصَّبِيِّ وَأَغْلَقَ
عَلَيْهِمَا ٱلْبَيْتَ وَذَهَبَ مَعَ ٱلرَّسُولِ . فَخَرَجَ مِنْ بَعْضِ أَجْحَارِ
ٱلْبَيْتِ حَيَّةٌ سَوْدَاءُ فَدَنَتْ مِنَ ٱلْغُلَامِ فَضَرَبَهَا ٱبْنُ عِرْسٍ فَوَثَبَتْ
عَلَيْهِ فَقَتَلَهَا ثُمَّ قَطَّعَهَا وَٱمْتَلَأَ فَمُهُ مِنْ دَمِهَا . ثُمَّ جَاءَ ٱلنَّاسِكُ
وَفَتَحَ ٱلْبَابَ فَٱلْتَقَاهُ ٱبْنُ عِرْسٍ كَٱلْمُشِيرِ لَهُ بِمَا صَنَعَ مِنْ قَتْلِ
ٱلْحَيَّةِ . فَلَمَّا رَآهُ مُلَوَّثًا بِٱلدَّمِ وَهُوَ مَذْعُورٌ طَارَ عَقْلُهُ وَظَنَّ أَنَّهُ
قَدْ خَنَقَ وَلَدَهُ وَلَمْ يَتَثَبَّتْ فِي أَمْرِهِ وَلَمْ يَتَرَوَّ فِيهِ حَتَّى يَعْلَمَ حَقِيقَةَ
ٱلْحَالِ وَيَعْمَلَ بِغَيْرِ مَا ظَنَّ مِنْ ذٰلِكَ وَلٰكِنْ عَجَّلَ عَلَى ٱبْنِ
عِرْسٍ وَضَرَبَهُ بِعُكَّازَةٍ كَانَتْ فِي يَدِهِ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ فَمَاتَ . وَدَخَلَ
ٱلنَّاسِكُ فَرَأَى ٱلْغُلَامَ سَلِيمًا حَيًّا وَعِنْدَهُ أَسْوَدُ مُقَطَّعٌ . فَلَمَّا
عَرَفَ ٱلْقِصَّةَ وَتَبَيَّنَ لَهُ سُوءُ فِعْلِهِ فِي ٱلْعَجَلَةِ لَطَمَ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ
لَيْتَنِي لَمْ أُرْزَقْ هٰذَا ٱلْوَلَدَ وَلَمْ أَغْدِرْ هٰذَا ٱلْغَدْرَ . وَدَخَلَتِ ٱمْرَأَتُهُ
فَوَجَدَتْهُ عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالِ فَقَالَتْ لَهُ مَا شَأْنُكَ . فَأَخْبَرَهَا
بِٱلْخَبَرِ مِنْ حُسْنِ فِعْلِ ٱبْنِ عِرْسٍ وَسُوءِ مُكَافَأَتِهِ لَهُ . فَقَالَتْ
هٰذِهِ ثَمَرَةُ ٱلْعَجَلَةِ لِأَنَّ ٱلْأَمْرَ إِذَا فَرَطَ مِثْلُ ٱلْكَلَامِ إِذَا خَرَجَ

١ ألف

وَٱلسَّهْمِ إِذَا مَرَقَ[1] لَا مَرَدَّ لَهُ

فَهٰذَا مَثَلُ مَنْ لَا يَتَثَبَّتُ فِي أَمْرِهِ بَلْ يَفْعَلُ أَغْرَاضَهُ بِٱلسُّرْعَةِ

بَابُ

ٱلْجُرَذِ وَٱلسِّنَّوْرِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلَ رَجُلٍ كَثُرَ أَعْدَاؤُهُ وَأَحْدَقُوا[2] بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَأَشْرَفَ مَعَهُمْ عَلَى ٱلْهَلَاكِ فَٱلْتَمَسَ ٱلنَّجَاةَ وَٱلْمَخْرَجَ بِمُوَالَاةِ[3] بَعْضِ أَعْدَائِهِ وَمُصَالَحَتِهِ فَسَلِمَ مِنَ ٱلْخَوْفِ وَأَمِنَ . ثُمَّ وَفَى لِمَنْ صَالَحَهُ مِنْهُمْ . وَأَخْبِرْنِي عَنْ مَوْضِعِ ٱلصُّلْحِ وَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ إِنَّ ٱلْمَوَدَّةَ وَٱلْعَدَاوَةَ لَا تَثْبُتَانِ عَلَى حَالَةٍ أَبَدًا . وَرُبَّمَا حَالَتِ ٱلْمَوَدَّةُ إِلَى ٱلْعَدَاوَةِ وَصَارَتِ ٱلْعَدَاوَةُ وِلَايَةً وَصَدَاقَةً . وَلِهٰذَا حَوَادِثُ وَعِلَلٌ وَتَجَارِبُ . وَذُو ٱلرَّأْيِ يُحْدِثُ لِكُلِّ مَا يَحْدُثُ مِنْ ذٰلِكَ رَأْيًا جَدِيدًا . أَمَّا مِنْ قِبَلِ ٱلْعَدُوِّ فَبِٱلْبَأْسِ . وَأَمَّا مِنْ قِبَلِ ٱلصَّدِيقِ فَبِٱلِٱسْتِئْنَاسِ . وَلَا

1 نفذ في الرمية 2 احاطوا 3 مصادقة

تمنعُ ذا العقلِ عداوةٌ كانت في نفسهِ لعدوّهِ من مقاربتهِ والاستنجادِ بهِ على دفعِ مرهوبٍ أو جرِّ مرغوبٍ ومن عملَ في ذلك بالحزمِ ظفرَ بحاجتهِ . ومثلُ ذلك مثلُ الجرذِ والسنورِ حين وقعا في الورطةِ فنجوا باصطلاحهما جميعاً من الورطةِ والشدةِ . قال الملكُ وكيف كانَ ذلك

قالَ بيدبا زعموا أنَّ شجرةً عظيمةً كانَ في اصلِها جحرُ سنَّورٍ يقالُ لهُ رُوميٌّ . وكانَ قريباً منهُ جحرُ جرذٍ يقالُ لهُ فريدونُ . وكانَ الصيادونَ كثيراً ما يتداولونَ ذلكَ المكانَ يصيدونَ فيهِ الوحشَ والطيرَ . فأتى ذاتَ يومٍ صيادٌ فنصبَ حبالتهُ قريباً من موضعِ رُوميٍّ فلم يلبثْ أن وقعَ فيها . فخرجَ الجرذُ يدبُّ ويطلبُ ما يأكلُ وهو حذرٌ من رُوميٍّ . فبينما هو يسعى إذ بصرَ بهِ في الشركِ فسرَّ واستبشرَ . ثمَّ التفتَ فرأى خلفهُ ابنَ عرسٍ يريدُ أخذهُ وفي الشجرةِ بوماً يريدُ اختطافهُ . فتحيَّرَ في أمرهِ وخافَ إن رجعَ وراءهُ أخذهُ ابنُ عرسٍ وإن ذهبَ يميناً أو شمالاً اختطفهُ البومُ وإن تقدَّمَ أمامهُ افترسهُ السنورُ . فقالَ في نفسهِ هذا بلاءٌ قد اكتنفني

وَشُرُورٌ تَظَاهَرَتْ عَلَيَّ وَمِحَنٌ قَدْ أَحَاطَتْ بِي . وَبَعْدَ ذٰلِكَ فَمَعِي عَقْلِي فَلَا يُفْزِعُنِي أَمْرِي وَلَا يَهُولُنِي شَأْنِي وَلَا يَلْحَقُنِي الدَّهَشُ ٢ وَلَا يَذْهَبُ قَلْبِي شُعَاعًا . فَالْعَاقِلُ لَا يَفْرَقُ عِنْدَ سَدَادِ رَأْيِهِ وَلَا يَعْزُبُ ٣ عَنْهُ ذِهْنُهُ عَلَى حَالٍ . وَإِنَّمَا الْعَقْلُ شَبِيهٌ بِالْبَحْرِ الَّذِي لَا يُدْرَكُ غَوْرُهُ ٤ . وَلَا يَبْلُغُ الْبَلَاءُ مِنْ ذِي الرَّأْيِ مَجْهُودَهُ فَيُهْلِكَهُ وَتَحَقُّقُ الرَّجَاءِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَبْلُغَ مِنْهُ مَبْلَغًا يُبْطِرُهُ وَيُسْكِرُهُ فَيَعْمَى ٥ عَلَيْهِ أَمْرُهُ . وَلَسْتُ أَرَى لِي مِنْ هٰذَا الْبَلَاءِ مَخْلَصًا إِلَّا مُصَالَحَةَ السِّنَّوْرِ فَإِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ مِثْلُ مَا قَدْ نَزَلَ بِي أَوْ بَعْضُهُ . وَلَعَلَّنَا إِنْ سَمِعَ كَلَامِيَ الَّذِي أُكَلِّمُهُ بِهِ وَوَعَى عَنِّي صَحِيحَ خِطَابِي وَمَحْضَ صِدْقِي الَّذِي لَا خِلَافَ فِيهِ وَلَا خِدَاعَ مَعَهُ فَفَهِمَهُ وَطَمِعَ فِي مَعُونَتِي إِيَّاهُ نَخْلُصُ جَمِيعًا . ثُمَّ إِنَّ الْجُرَذَ دَنَا مِنَ السِّنَّوْرِ فَقَالَ لَهُ كَيْفَ حَالُكَ قَالَ لَهُ السِّنَّوْرُ كَمَا تُحِبُّ فِي ضَنْكٍ وَضِيقٍ . قَالَ وَأَنَا الْيَوْمَ شَرِيكُكَ فِي الْبَلَاءِ . وَلَسْتُ أَرْجُو لِنَفْسِي خَلَاصًا إِلَّا بِالَّذِي أَرْجُو لَكَ فِيهِ الْخَلَاصَ وَكَلَامِي هٰذَا لَيْسَ فِيهِ كَذِبٌ وَلَا خَدِيعَةٌ . وَابْنُ عِرْسٍ هَا هُوَ كَامِنٌ لِي وَالْبُومُ يَرْصُدُنِي وَكِلَاهُمَا لِي وَلَكَ عَدُوٌّ . وَإِنِّي وَإِيَّاكَ وَإِنْ كُنَّا مُخْتَلِفِي الطِّبَاعِ لٰكِنَّنَا

١ يعني يفزعني ٢ الحيرة ٣ يبعد ٤ قعره ٥ يلتبس

مُتَّفِقًا ٱلْحَالَةِ . وَٱلَّذِينَ حَالَتُهُمْ وَاحِدَةٌ وَطِبَاعُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ تَجْمَعُهُمُ ٱلْحَالَةُ وَإِنْ فَرَّقَتْهُمُ ٱلطِّبَاعُ . فَإِنْ أَنْتَ جَعَلْتَ لِيَ ٱلْأَمَانَ قَطَّعْتُ حَبَائِلَكَ وَخَلَّصْتُكَ مِنْ هٰذِهِ ٱلْوَرْطَةِ . فَإِنْ كَانَ ذٰلِكَ تَخَلَّصَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِسَبَبِ صَاحِبِهِ كَٱلسَّفِينَةِ وَٱلرُّكَّابِ فِي ٱلْبَحْرِ فَبِٱلسَّفِينَةِ يَنْجُونَ وَبِهِمْ تَنْجُو ٱلسَّفِينَةُ . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلسِّنَّوْرُ كَلَامَ ٱلْجُرَذِ وَعَرَفَ أَنَّهُ صَادِقٌ قَالَ لَهُ إِنَّ قَوْلَكَ هٰذَا لَشَبِيهٌ بِٱلْحَقِّ وَأَنَا أَيْضًا رَاغِبٌ فِيمَا أَرْجُو لَكَ وَلِنَفْسِي بِهِ ٱلْخَلَاصَ . ثُمَّ إِنِّي إِنْ فَعَلْتَ ذٰلِكَ سَأَشْكُرُكَ مَا بَقِيتُ . قَالَ ٱلْجُرَذُ فَإِنِّي سَأَدْنُو مِنْكَ فَأَقْطَعُ ٱلْحَبَائِلَ كُلَّهَا إِلَّا حَبْلًا وَاحِدًا أُبْقِيهِ لِأَسْتَوْثِقَ لِنَفْسِي مِنْكَ وَأَخَذَ فِي تَقْرِيضِ حَبَائِلِهِ . ثُمَّ إِنَّ ٱلْبُومَ وَٱبْنَ عِرْسٍ لَمَّا رَأَيَا دُنُوَّ ٱلْجُرَذِ مِنَ ٱلسِّنَّوْرِ أَيِسَا مِنْهُ وَٱنْصَرَفَا . ثُمَّ إِنَّ ٱلْجُرَذَ أَبْطَأَ عَلَى رُومِيٍّ فِي قَطْعِ ٱلْحَبَائِلِ . فَقَالَ لَهُ مَا لِي لَا أَرَاكَ جَادًّا فِي قَطْعِ حَبَائِلِي . فَإِنْ كُنْتَ قَدْ ظَفِرْتَ بِحَاجَتِكَ فَتَغَيَّرْتَ عَمَّا كُنْتَ عَلَيْهِ وَتَوَانَيْتَ فِي حَاجَتِي فَمَا ذٰلِكَ مِنْ فِعْلِ ٱلصَّالِحِينَ فَإِنَّ ٱلْكَرِيمَ لَا يَتَوَانَى فِي حَقِّ صَاحِبِهِ . وَقَدْ كَانَ لَكَ فِي سَابِقِ مَوَدَّتِي مِنَ ٱلْفَائِدَةِ وَٱلنَّفْعِ مَا قَدْ

رَأَيْتَ وَأَنْتَ حَقِيقٌ أَنْ تُكَافِئَنِي بِذٰلِكَ وَلَا تَذْكُرَ ٱلْعَدَاوَةَ ٱلَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ. فَالَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ ٱلصُّلْحِ حَقِيقٌ أَنْ يُنْسِيَكَ ذٰلِكَ مَعَ مَا فِي ٱلْوَفَاءِ مِنَ ٱلْفَضْلِ وَٱلْأَجْرِ وَمَا فِي ٱلْغَدْرِ مِنْ سُوءِ ٱلْعَاقِبَةِ. فَإِنَّ ٱلْكَرِيمَ لَا يَكُونُ إِلَّا شَكُورًا غَيْرَ حَقُودٍ تُنْسِيهِ ٱلْخَلَّةُ ٱلْوَاحِدَةُ مِنَ ٱلْإِحْسَانِ ٱلْخِلَالَ ٱلْكَثِيرَةَ مِنَ ٱلْإِسَاءَةِ. وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ أَعْجَلَ ٱلْعُقُوبَةِ عُقُوبَةُ ٱلْغَدْرِ. وَمَنْ إِذَا تُضُرِّعَ إِلَيْهِ وَسُئِلَ ٱلْعَفْوَ فَلَمْ يَرْحَمْ وَلَمْ يَعْفُ فَقَدْ غَدَرَ. قَالَ ٱلْجُرَذُ إِنَّ ٱلصَّدِيقَ صَدِيقَانِ طَائِعٌ وَمُضْطَرٌّ وَكِلَاهُمَا يَلْتَمِسَانِ ٱلْمَنْفَعَةَ وَيَحْتَرِسَانِ مِنَ ٱلْمَضَرَّةِ. فَأَمَّا ٱلطَّائِعُ فَيَسْتَرْسِلُ إِلَيْهِ وَيُؤْمَنُ فِي جَمِيعِ ٱلْأَحْوَالِ. وَأَمَّا ٱلْمُضْطَرُّ فَفِي بَعْضِ ٱلْأَحْوَالِ يُسْتَرْسَلُ إِلَيْهِ وَفِي بَعْضِهَا يُتَحَذَّرُ مِنْهُ. وَلَا يَزَالُ ٱلْعَاقِلُ يَرْتَهِنُ مِنْهُ بَعْضَ حَاجَاتِهِ لِبَعْضِ مَا يَتَّقِي وَيَخَافُ. وَلَيْسَ غَايَةُ ٱلتَّوَاصُلِ مِنْ كُلٍّ مِنَ ٱلْمُتَوَاصِلَيْنِ إِلَّا طَلَبَ عَاجِلِ ٱلنَّفْعِ وَبُلُوغَ مَأْمُولِهِ. وَأَنَا وَافٍ لَكَ بِمَا وَعَدْتُكَ وَمُحْتَرِسٌ مِنْكَ مَعَ ذٰلِكَ مِنْ حَيْثُ أَخَافُكَ تَخَوُّفًا أَنْ يُصِيبَنِي مِنْكَ مَا أَلْجَأَنِي خَوْفُهُ إِلَى مُصَالَحَتِكَ وَأَلْجَأَكَ إِلَى قَبُولِ ذٰلِكَ مِنِّي فَإِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ حِينًا. فَمَا لَمْ

١ بأخذها رهنًا

يكُنْ منهُ في حينهِ فلاحسْنِ لعاقبتهِ . وأنا قاطعٌ حبائلكَ كلَّها غيرَ أنّي تاركٌ عقدةً أرتهنكَ بها ولا أقطعها إلّا في الساعةِ التي أعلمُ أنكَ فيها عنّي مشغولٌ وذلكَ عندَ معاينتي الصيادَ . ثمَّ إنَّ الجرذَ أخذَ في قطعِ حبائلِ السنّورِ فبينما هو كذلكَ إذ وافى الصيّادُ . فقالَ لهُ السنّورُ الآنَ جاءَ وقتُ الجِدِّ في قطعِ حبائلي فجهدَ الجرذُ نفسهُ في القرضِ حتّى إذا فرغَ وثبَ السنّورُ إلى الشجرةِ على غفلةٍ منَ الصيّادِ ودخلَ الجرذُ بعضَ الأجحارِ وجاءَ الصيّادُ فأخذَ حبائلهُ مقطّعةً ثمَّ انصرفَ خائبًا . ثمَّ إنَّ الجرذَ خرجَ بعدَ ذلكَ وكرهَ أنْ يدنوَ منَ السنّورِ فناداهُ السنّورُ أيّها الصديقُ الناصحُ ذو البلاءِ[1] الحسنِ عندي ما منعكَ منَ الدنوِّ إليَّ لأُجازيكَ بأحسنِ ما أسديتَ[2] إليَّ . هلمَّ إليَّ ولا تقطعْ إخائي فإنّهُ منِ اتّخذَ صديقًا وقطعَ إخاءهُ وأضاعَ صداقتهُ حُرِمَ ثمرةَ إخائهِ وأيسَ منْ نفعهِ الإخوانُ والأصدقاءُ . وإنَّ يدكَ[3] عندي لا تُنسى وأنتَ حقيقٌ أنْ تلتمسَ مكافأةَ ذلكَ منّي ومنْ إخواني وأصدقائي ولا تخافَ منّي شيئًا واعلمْ أنَّ ما قبلي لكَ مبذولٌ . ثمَّ حلفَ واجتهدَ على صدقهِ فيما قالَ . فناداهُ

1 الاختبار والامتحان 2 احسنت 3 نعمتك

الجرذ رب صداقة ظاهرة باطنها عداوة كامنة وهي أشد من العداوة الظاهرة . ومن لم يحترس منها وقع موقع الرجل الذي يركب ناب الفيل الهائج ثم يغلبه النعاس فيستيقظ تحت فراسن[1] الفيل فيدوسه ويقتله . وإنما سمي الصديق صديقا لما يرجى من صدقه ونفعه وسمي العدو عدوا لما يخاف من اعتدائه وضرره . والعاقل إذا رجا نفع العدو أظهر له الصداقة وإذا خاف ضر الصديق أظهر له العداوة . ألا ترى تتبع البهائم أماتها رجاء ألبانها فإذا انقطع ذلك انصرفت عنها . وربما قطع الصديق عن صديقه بعض ما كان يصله منه فلم يخف شره لأن أصل أمره لم يكن عداوة . فأما من كان أصل أمره عداوة جوهرية ثم أحدث صداقة لحاجة حملته على ذلك فإنه إذا زالت الحاجة التي حملته على ذلك زالت صداقته فتحولت وصارت إلى أصل أمره كالماء الذي يسخن بالنار فإذا رفع عنها عاد باردا . وليس من أعدائي عدو أضر لي منك . وقد اضطرني وإياك حاجة إلى ما أحدثنا من المصالحة وقد ذهب الأمر الذي احتجت إلي واحتجت إليك فيه . وأخاف أن يكون مع ذهابه عود العداوة

[1] جمع فرسن وهو للجمل والفيل كالقدم للانسان

وَلَا خَيْرَ لِلضَّعِيفِ فِي قُرْبِ ٱلْعَدُوِّ ٱلْقَوِيِّ وَلَا لِلذَّلِيلِ فِي قُرْبِ ٱلْعَدُوِّ ٱلْعَزِيزِ . وَلَا أَعْلَمُ لَكَ قِبَلِي حَاجَةً إِلَّا أَنْ تَكُونَ تُرِيدُ أَكْلِي . وَلَا أَعْلَمُ لِي قِبَلَكَ حَاجَةً وَلَيْسَ عِنْدِي بِكَ ثِقَةٌ . فَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ ٱلضَّعِيفَ ٱلْمُحْتَرِسَ مِنَ ٱلْعَدُوِّ ٱلْقَوِيِّ أَقْرَبُ إِلَى ٱلسَّلَامَةِ مِنَ ٱلْقَوِيِّ إِذَا ٱغْتَرَّ بِٱلضَّعِيفِ وَٱسْتَرْسَلَ إِلَيْهِ . وَٱلْعَاقِلُ يُصَالِحُ عَدُوَّهُ إِذَا ٱضْطُرَّ إِلَيْهِ وَيُصَانِعُهُ[١] وَيُظْهِرُ لَهُ وُدَّهُ وَيُرِيهِ مِنْ نَفْسِهِ ٱلِٱسْتِرْسَالَ إِلَيْهِ إِذَا لَمْ يَجِدْ مِنْ ذٰلِكَ بُدًّا ثُمَّ يُعَجِّلُ ٱلِٱنْصِرَافَ عَنْهُ حِينَ يَجِدُ إِلَى ذٰلِكَ سَبِيلًا . وَٱعْلَمْ أَنَّ سَرِيعَ ٱلِٱسْتِرْسَالِ لَا تُقَالُ عَثْرَتُهُ وَٱلْعَاقِلُ يَفِي بِمَنْ صَالَحَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ بِمَا جَعَلَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَلَا يَثِقُ بِهِ كُلَّ ٱلثِّقَةِ وَلَا يَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ ٱلْقُرْبِ مِنْهُ وَيَنْبَغِي أَنْ يَبْعُدَ عَنْهُ مَا ٱسْتَطَاعَ . وَأَنَا أَوَدُّكَ مِنْ بَعِيدٍ وَأُحِبُّ لَكَ مِنَ ٱلْبَقَاءِ وَٱلسَّلَامَةِ مَا لَمْ أَكُنْ أُحِبُّهُ لَكَ مِنْ قَبْلُ وَلَيْسَ عَلَيْكَ ان تُجَازِيَنِي عَلَى صَنِيعِي إِلَّا بِمِثْلِ ذٰلِكَ إِذْ لَا سَبِيلَ إِلَى ٱجْتِمَاعِنَا وَٱلسَّلَامُ

---

١ يجاسنهٔ ويداريه

بابُ
ٱلْمَلِكِ وَٱلطَّائِرِ فَنْزَة

قالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلَ أَهْلِ ٱلتِّراتِ ١ ٱلَّذِينَ لا بُدَّ لِبَعْضِهِمْ مِنِ ٱتِّقاء بَعْضٍ

قالَ بَيْدَبا زَعَمُوا أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ ٱلْهِنْدِ كانَ يُقالُ لَهُ بَرِيدُونُ وَكانَ لَهُ طائِرٌ يُقالُ لَهُ فَنْزَة وَكانَ لَهُ فَرْخٌ. وَكانَ هٰذا ٱلطَّائِرُ وَفَرْخُهُ يَنْطِقانِ بِأَحْسَنِ مَنْطِقٍ وَكانَ ٱلْمَلِكُ بِهِما مُعْجَبًا فَأَمَرَ بِهِما أَنْ يُجْعَلا عِنْدَ ٱمْرَأَتِهِ وَأَمَرَها بِٱلْمُحافَظَةِ عَلَيْهِما. وَٱتَّفَقَ أَنَّ ٱمْرَأَةَ ٱلْمَلِكِ كانَتْ حامِلًا فَوَلَدَتْ غُلامًا فَأَلِفَ ٱلْفَرْخُ ٱلْغُلامَ وَكِلاهُما طِفْلانِ يَلْعَبانِ جَمِيعًا. وَكانَ فَنْزَة يَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَيَأْتِي بِفاكِهَةٍ لا تُعْرَفُ فَيُطْعِمُ ٱبْنَ ٱلْمَلِكِ شَطْرَها وَيُطْعِمُ فَرْخَهُ شَطْرَها. فَأَسْرَعَ ذٰلِكَ فِي نَشْأَتِهِما وَشَبابِهِما وَبانَ عَلَيْهِما أَثَرُهُ عِنْدَ ٱلْمَلِكِ فَٱزْدادَ لِفَنْزَة إِكْرامًا

١ الثارات

وَتَعظِيماً وَمَحبة . حتى إذا كان يومٌ من الأيام وفنزةُ غائبٌ في اجتناء الثمرة وفرخه في حجر الغلام حدث من الفرخ ما أغضب الغلام فأخذه فضرب به الأرض فمات . ثم إن فنزة أقبل فوجد فرخه مقتولاً فصاح وحزن وقال قبحاً للملوك الذين لا عهد لهم ولا وفاء . ويل لمن ابتلي بصحبة الملوك الذين لا ذمة لهم ولا حرمة ولا يحبون أحداً ولا يكرم عليهم إلا إذا طمعوا فيما عنده من غناء واحتاجوا إلى ما عنده من علم فيكرمونه لذلك . فإذا ظفروا بحاجتهم منه فلا ودّ ولا إخاء ولا إحسان ولا غفران ذنب ولا معرفة حق . هم الذين أمرهم مبني على الرياء والفجور وهم يستصغرون ما يرتكبونه من عظيم الذنوب ويستعظمون اليسير إذا خولفت فيه أهواؤهم . ومنهم هذا الكفور الذي لا رحمة له الغادر بإلفه وأخيه . ثم وثب في شدة حنقه على وجه الغلام ففقأ عينيه . ثم طار فوقف على شجرة عالية وبلغ الملك ذلك فجزع أشد الجزع ثم طمع أن يحتال له فيهلكه فركب من ساعته وتوجه إلى ناحية الطائر حتى وقف قريباً منه وناداه وقال له إنك آمن فانزل يا

١ حضن ٢ منفعة ٣ الجاحد النعمة

فنزة . فقال له أيها الملك إن الغادر مأخوذ بغدره . وإنه إن أخطأه عاجل العقوبة لم تخطئه الآجل[1] حتى إنه يدرك الأعقاب وأعقاب الأعقاب . وإن ابنك غدر بابني فعجلت له العقوبة . قال الملك قد لعمري غدر ابني بابنك وقد تناصفنا[2] جميعاً فليس لك قبلنا ولا لنا قبلك وتر مطلوب فارجع إلينا آمناً ولا تخف . قال فنزة لست براجع إليك أبداً فإن ذوي الرأي قد نهوا عن قرب الموتور[3] فإنه لا يزيدك لطف الحقود ولينه وتكرمته إياك إلا وحشة منه وسوء ظن به فإنك لا تجد للحقود الموتور أماناً هو أوثق لك من الذعر منه ولا أجود من البعد عنه والاتقاء له أولى . وقد كان يقال إن العاقل يعد أبويه أصدقاء والإخوة رفقاء والأزواج ألفاء والبنين ذكراً والبنات خصماء والأقارب غرماء ويعد نفسه فريداً وحيداً . وأنا الفريد الوحيد الغريب الطريد[4] قد تزودت من عندكم عبئاً[5] ثقيلاً لا يحمله معي أحد وأنا ذاهب فعليك مني السلام . قال له الملك إنك لو لم تكن قد اجتزيت[6] منا

١ خلاف العاجل ٢ انصف كلٌّ منا الآخر من نفسه ٣ من قتل له قتيل ولم يدرك بدمه ٤ المطرود ٥ حملاً ٦ اخذت الجزاء

فيما صنعناه بِكَ أو كان صنيعك بنا من غير ابتداء منا بالغدر كان الأمر كما ذكرت. وأما إذ كنا نحن قد بدأناك فما ذنبك وما الذي يمنعك من الثقة بنا. هلمّ فارجع فإنك آمن. قال فنزة اعلم أن الأحقاد لها في القلوب مواضع ممكّنة موجعة. فالألسن لا تصدق في خبرها عن القلوب والقلب أعدل شهادة على اللسان من اللسان على القلب. وقد علمت أن قلبي لا يشهد للسانك بصدقه ولا قلبك للساني. قال الملك ألا تعلم أن الضغائن[1] والأحقاد تكون بين كثير من الناس. فمن كان ذا عقل كان على إماتة الحقد أحرص منه على تربيته. قال فنزة إن ذلك لكما ذكرت ولكن لا ينبغي لذي الرأي مع ذلك أن يظن أن الموتور الحقود ناسٍ ما وُتر به أو مصروف عنه. وذو الرأي يتخوف المكر والخديعة والحيل ويعلم أن كثيرا من العدو لا يستطاع بالشدة والمكابرة حتى يصاد بالرفق والملاينة كما يصطاد الفيل الوحشي بالفيل الداجن. قال الملك إن العاقل الكريم لا يترك إلفه ولا يقطع إخوانه ولا يضيع الحفاظ[2] وإن هو خاف على نفسه. حتى إن

١ بمعنى الاحقاد ٢ المحافظة

هٰذا ٱلْخُلُقَ يَكُونُ فِي أَوْضَعِ ٱلدَّوَابِّ مَنْزِلَةً. فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ ٱللَّعَّابِينَ يَلْعَبُونَ بِٱلْكِلَابِ ثُمَّ يَذْبَحُونَهَا وَيَأْكُلُونَهَا وَيَرَى ٱلْكَلْبُ ٱلَّذِي قَدْ أَلِفَهُمْ ذٰلِكَ فَيَمْنَعُهُ مِنْ مُفَارَقَتِهِمِ ٱلْفَتُهُ إِيَّاهُمْ. قَالَ فَنْزَةُ إِنَّ ٱلْأَحْقَادَ مَخُوفَةٌ حَيْثُ كَانَتْ وَأَخْوَفُهَا وَأَشَدُّهَا مَا كَانَ فِي أَنْفُسِ ٱلْمُلُوكِ. فَإِنَّ ٱلْمُلُوكَ يَدِينُونَ[1] بِٱلِٱنْتِقَامِ وَيَرَوْنَ ٱلدَّرْكَ وَٱلطَّلَبَ بِٱلْوِتْرِ مَكْرُمَةً وَفَخْرًا. وَإِنَّ ٱلْعَاقِلَ لَا يَغْتَرُّ بِسُكُونِ ٱلْحِقْدِ إِذَا سَكَنَ. فَإِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحِقْدِ فِي ٱلْقَلْبِ إِذَا لَمْ يَجِدْ مُحَرِّكًا مَثَلُ ٱلْجَمْرِ ٱلْمَكْنُونِ مَا لَمْ يَجِدْ حَطَبًا. فَلَيْسَ يَنْفَكُّ ٱلْحِقْدُ مُطَّلِعًا إِلَى ٱلْعِلَلِ كَمَا تَبْتَغِي ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ. فَإِذَا وَجَدَ عِلَّةً ٱسْتَعَرَ[2] ٱسْتِعَارَ ٱلنَّارِ فَلَا يُطْفِئُهُ حُسْنُ كَلَامٍ وَلَا لِينٌ وَلَا رِفْقٌ وَلَا خُضُوعٌ وَلَا تَضَرُّعٌ وَلَا مُصَانَعَةٌ وَلَا شَيْءٌ دُونَ تَلَفِ ٱلْأَنْفُسِ وَذَهَابِ ٱلْأَرْوَاحِ. مَعَ أَنَّهُ رُبَّ وَاتِرٍ يَطْمَعُ فِي مُرَاجَعَةِ ٱلْمَوْتُورِ لِمَا يَرْجُو أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلنَّفْعِ لَهُ وَٱلدَّفْعِ عَنْهُ. وَلٰكِنِّي أَنَا أَضْعَفُ مِنْ أَنْ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ يَذْهَبُ بِهِ مَا فِي نَفْسِكَ. وَبَعْدُ فَلَوْ كَانَتْ نَفْسُكَ لِي عَلَى مَا تَقُولُ مَا كَانَ ذٰلِكَ عَنِّي مُغْنِيًا أَيْضًا وَلَا أَزَالُ فِي خَوْفٍ وَوَحْشَةٍ وَسُوءِ ظَنٍّ مَا ٱصْطَحَبْنَا. فَلَيْسَ

١ من الدين اي يجعلون دينهم الانتقام ٢ اضطرم

ٱلرَّأْيُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِلَّا ٱلْفِرَاقَ وَأَنَا أَقْرَأُ عَلَيْكَ ٱلسَّلَامَ[1] . قَالَ ٱلْمَلِكُ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ لِأَحَدٍ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا . وَأَنَّهُ لَا شَيْءَ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا يُصِيبُ أَحَدًا إِلَّا بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ مَعْلُومٍ . وَكَمَا أَنَّ خَلْقَ مَا يُخْلَقُ وَوِلَادَةَ مَا يُولَدُ وَبَقَاءَ مَا يَبْقَى لَيْسَ لِلْخَلَائِقِ مِنْهُ شَيْءٌ . كَذٰلِكَ فَنَاءُ مَا يَفْنَى وَهَلَاكُ مَا يَهْلِكُ . وَلَيْسَ لَكَ فِي ٱلَّذِي فَعَلْتَ بِٱبْنِي ذَنْبٌ وَلَا لِٱبْنِي فِيمَا صَنَعَ بِٱبْنِكَ ذَنْبٌ . إِنَّمَا كَانَ ذٰلِكَ كُلُّهُ قَدَرًا مَقْدُورًا وَكِلَانَا لَهُ عِلَّةٌ وَسَبَبٌ فَلَا تُؤَاخِذْ بِمَا أَتَانَا بِهِ ٱلْقَدَرُ . قَالَ فَنْزَةُ إِنَّ ٱلْقَدَرَ لَكَمَا ذَكَرْتَ . لٰكِنْ لَا يَمْنَعُ ذٰلِكَ ٱلْحَازِمَ مِنْ تَوَقِّي ٱلْمَخَاوِفِ وَٱلِٱحْتِرَاسِ مِنَ ٱلْمَكَارِهِ وَإِلَّا كَانَ ٱلْمَرِيضُ غَيْرَ مُصِيبٍ فِي طَلَبِهِ ٱلطَّبِيبَ وَكَانَ أَهْلُ ٱلْمَصَائِبِ يَتْرُكُونَ ٱلنَّظَرَ فِيمَا فِيهِ ٱلْفَرَجُ لَهُمْ . وَلَا يَنْفَعُ ٱلْحَذَرُ وَٱلِٱحْتِرَاسُ مَعَ ٱلْقَضَاءِ لٰكِنَّ ٱلْعَاقِلَ يَجْمَعُ مَعَ ٱلتَّصْدِيقِ بِٱلْقَدَرِ ٱلْأَخْذَ بِٱلْحَزْمِ وَٱلْقُوَّةِ لِعِلْمِهِ[2] مَا يَسْتَسْلِمُ إِلَيْهِ لَا يَكُونُ مَقْدُورًا عَلَيْهِ . وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ تُكَلِّمُنِي بِغَيْرِ مَا فِي نَفْسِكَ . وَٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَيْرُ صَغِيرٍ لِأَنَّ ٱبْنَكَ قَتَلَ ٱبْنِي وَأَنَا فَقَأْتُ عَيْنَ ٱبْنِكَ . وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَشْتَفِيَ بِقَتْلِي

1 ابلغك اياه

وَتَخْتِلُنِي[1] عَنْ نَفْسِي وَٱلنَّفْسُ تَأْبَى ٱلْمَوْتَ . وَقَدْ كَانَ يُقَالُ
ٱلْفَاقَةُ بَلَاءٌ وَٱلْحُزْنُ بَلَاءٌ وَقُرْبُ ٱلْعَدُوِّ بَلَاءٌ وَفِرَاقُ ٱلْأَحِبَّةِ بَلَاءٌ
وَٱلسُّقْمُ بَلَاءٌ وَٱلْهَرَمُ بَلَاءٌ وَرَأْسُ ٱلْبَلَايَا كُلِّهَا ٱلْمَوْتُ . وَلَيْسَ
أَحَدٌ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي نَفْسِ ٱلْمُوجَعِ ٱلْحَزِينِ مِمَّنْ ذَاقَ مِثْلَ مَا بِهِ .
فَأَنَا مِمَّا فِي نَفْسِي عَالِمٌ بِمَا فِي نَفْسِكَ لِلْمَثَلِ ٱلَّذِي عِنْدِي مِنْ
ذٰلِكَ وَلَا خَيْرَ لِي فِي صُحْبَتِكَ . فَإِنَّكَ لَنْ تَتَذَكَّرَ صَنِيعِي بِٱبْنِكَ
وَلَنْ أَتَذَكَّرَ صَنِيعَ ٱبْنِكَ بِٱبْنِي إِلَّا أَحْدَثَ ذٰلِكَ لِقُلُوبِنَا تَغْيِيرًا .
قَالَ ٱلْمَلِكُ لَا خَيْرَ فِي مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ ٱلْإِعْرَاضَ عَمَّا فِي نَفْسِهِ وَلَا
يَنْسَاهُ وَيُهْمِلُهُ بِحَيْثُ لَا يَذْكُرُ مِنْهُ شَيْئًا وَلَا يَكُونُ لَهُ فِي نَفْسِهِ مَوْقِعٌ .
قَالَ فَنْزَةُ إِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي فِي بَاطِنِ قَدَمِهِ قُرْحَةٌ إِنْ هُوَ حَرَصَ
عَلَى ٱلْمَشْيِ لَا بُدَّ أَنْ تَنْكَأَ[2] قُرْحَتُهُ . وَٱلرَّجُلُ ٱلْأَرْمَدُ ٱلْعَيْنِ
إِذَا ٱسْتَقْبَلَ بِهَا ٱلرِّيحَ تَعَرَّضَ لِأَنْ تَزْدَادَ رَمَدًا . وَكَذٰلِكَ ٱلْوَاتِرُ
إِذَا دَنَا مِنَ ٱلْمَوْتُورِ فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْهَلَاكِ . وَلَا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ
ٱلدُّنْيَا إِلَّا تَوَقِّي ٱلْمَهَالِكِ وَٱلْمَتَالِفِ وَتَقْدِيرُ[3] ٱلْأُمُورِ وَقِلَّةُ
ٱلِاتِّكَالِ عَلَى ٱلْحَوْلِ[4] وَٱلْقُوَّةِ وَقِلَّةُ ٱلِاغْتِرَارِ بِمَنْ لَا يَأْمَنُ . فَإِنَّهُ
مَنِ ٱتَّكَلَ عَلَى قُوَّتِهِ فَحَمَلَهُ ذٰلِكَ عَلَى أَنْ يَسْلُكَ ٱلطَّرِيقَ ٱلْمَخُوفَ

١ تخدعني ٢ تقشر ٣ قياس ٤ القدرة

فَقَدْ سَعَى فِي حَتْفِ نَفْسِهِ . وَمَنْ لَا يُقَدِّرُ لِطَاقَتِهِ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَحَمَّلَ نَفْسَهُ مَا لَا تُطِيقُ وَلَا تَحْتَمِلُ فَقَدْ قَتَلَ نَفْسَهُ . وَمَنْ لَمْ يُقَدِّرْ لُقْمَتَهُ وَعَظَّمَهَا فَوْقَ مَا يَسَعُ فُوهُ فَرُبَّمَا غَصَّ بِهَا فَمَاتَ . وَمَنِ ٱغْتَرَّ بِكَلَامِ عَدُوِّهِ وَٱنْخَدَعَ لَهُ وَضَيَّعَ ٱلْحَزْمَ فَهُوَ أَعْدَى لِنَفْسِهِ مِنْ عَدُوِّهِ . وَلَيْسَ لِأَحَدٍ ٱلنَّظَرُ فِي ٱلْقَدَرِ ٱلَّذِي لَا يَدْرِي مَا يَأْتِيهِ مِنْهُ وَلَا مَا يُصْرَفُ عَنْهُ . وَلٰكِنْ عَلَيْهِ ٱلْعَمَلُ بِٱلْحَزْمِ وَٱلْأَخْذُ بِٱلْقُوَّةِ وَمُحَاسَبَةُ نَفْسِهِ فِي ذٰلِكَ . وَٱلْعَاقِلُ لَا يَثِقُ بِأَحَدٍ مَا ٱسْتَطَاعَ وَلَا يُقِيمُ عَلَى خَوْفٍ يَجِدُ عَنْهُ مَذْهَبًا . وَأَنَا كَثِيرُ ٱلْمَذَاهِبِ وَأَرْجُو أَنْ لَا أَذْهَبَ وَجْهًا إِلَّا أَصَبْتُ فِيهِ مَا يُغْنِينِي . فَإِنَّ خِلَالًا خَمْسًا مَنْ تَزَوَّدَهُنَّ كَفَيْنَهُ فِي كُلِّ وَجْهٍ وَآنَسْنَهُ فِي كُلِّ غُرْبَةٍ وَقَرَّبْنَ لَهُ ٱلْبَعِيدَ وَأَكْسَبْنَهُ ٱلْمَعَاشَ وَٱلْإِخْوَانَ . أُولَاهُنَّ كَفُّ ٱلْأَذَى . وَٱلثَّانِيَةُ حُسْنُ ٱلْأَدَبِ . وَٱلثَّالِثَةُ مُجَانَبَةُ ٱلرِّيَبِ . وَٱلرَّابِعَةُ كَرَمُ ٱلْخُلُقِ . وَٱلْخَامِسَةُ ٱلنُّبْلُ[١] فِي ٱلْعَمَلِ . وَإِذَا خَافَ ٱلْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئًا طَابَتْ نَفْسُهُ عَنِ ٱلْمَالِ وَٱلْأَهْلِ وَٱلْوَلَدِ وَٱلْوَطَنِ فَإِنَّهُ يَرْجُو ٱلْخَلَفَ مِنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَلَا يَرْجُو عَنِ ٱلنَّفْسِ خَلَفًا . وَشَرُّ ٱلْمَالِ مَا لَا إِنْفَاقَ مِنْهُ وَشَرُّ ٱلْأَزْوَاجِ ٱلَّتِي لَا تُوَاتِي بَعْلَهَا وَشَرُّ

١ الذكاء

ٱلْوَلَدُ ٱلعَاصِي ٱلعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَشَرُّ ٱلإِخْوَانِ ٱلخَاذِلُ لِأَخِيهِ عِنْدَ ٱلنَّكَبَاتِ وَٱلشَّدَائِدِ وَٱلَّذِي يُحْصِي ٱلسَّيِّئَاتِ وَيَتْرُكُ ٱلحَسَنَاتِ وَشَرُّ ٱلْمُلُوكِ ٱلَّذِي يَخَافُهُ ٱلْبَرِيءُ[1] وَلَا يُوَاظِبُ عَلَى حِفْظِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ وَشَرُّ ٱلْبِلَادِ بِلَادٌ لَا خِصْبَ فِيهَا وَلَا أَمْنَ . وَإِنَّهُ لَا أَمْنَ لِي عِنْدَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ وَلَا طُمَأْنِينَةَ لِي فِي جِوَارِكَ ثُمَّ وَدَّعَ ٱلْمَلِكَ وَطَارَ

فَهٰذَا مَثَلُ ذَوِي ٱلْأَوْتَارِ ٱلَّذِينَ لَا يَنْبَغِي لِبَعْضِهِمْ أَنْ يَثِقَ بِبَعْضٍ

بَابُ
ٱلْأَسَدِ وَٱبْنِ آوَى ٱلنَّاسِكِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلَ ٱلْمَلِكِ ٱلَّذِي يُرَاجِعُ مَنْ أَصَابَتْهُ مِنْهُ عُقُوبَةٌ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ أَوْ جَفْوَةٌ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ إِنَّ ٱلْمَلِكَ لَوْ لَمْ يُرَاجِعْ مَنْ أَصَابَتْهُ مِنْهُ جَفْوَةٌ عَنْ ذَنْبٍ أَوْ عَنْ غَيْرِ ذَنْبٍ ظُلِمَ أَوْ لَمْ يُظْلَمْ لَأَضَرَّ ذٰلِكَ

---

١ الذي لا يخي اباهُ حق التربية

بِٱلْأُمُورِ. وَلٰكِنَّ ٱلْمَلِكَ حَقِيقٌ أَنْ يَنْظُرَ فِي حَالِ مَنِ ٱبْتُلِيَ بِذٰلِكَ وَيَخْبُرَ مَا عِنْدَهُ مِنَ ٱلْمَنَافِعِ فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ يُوثَقُ بِهِ فِي رَأْيِهِ وَأَمَانَتِهِ فَإِنَّ ٱلْمَلِكَ حَقِيقٌ بِٱلْحِرْصِ عَلَى مُرَاجَعَتِهِ. فَإِنَّ ٱلْمُلْكَ لَا يُسْتَطَاعُ ضَبْطُهُ إِلَّا مَعَ ذَوِي ٱلرَّأْيِ وَهُمُ ٱلْوُزَرَاءُ وَٱلْأَعْوَانُ وَلَا يُنْتَفَعُ بِٱلْوُزَرَاءِ وَٱلْأَعْوَانِ إِلَّا بِٱلْمَوَدَّةِ وَٱلنَّصِيحَةِ وَلَا مَوَدَّةَ وَلَا نَصِيحَةَ إِلَّا لِذَوِي ٱلرَّأْيِ وَٱلْعَفَافِ. وَأَعْمَالُ ٱلسُّلْطَانِ كَثِيرَةٌ وَٱلَّذِينَ يُحْتَاجُ إِلَيْهِمْ مِنَ ٱلْعُمَّالِ وَٱلْأَعْوَانِ كَثِيرُونَ وَمَنْ يَجْمَعُ مِنْهُمْ مَا ذَكَرْتُ مِنَ ٱلنَّصِيحَةِ وَٱلْعَفَافِ قَلِيلٌ. فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَخْبُرَ وُزَرَاءَهُ وَذَوِي رَأْيِهِ وَيَرَى مَا عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنَ ٱلرَّأْيِ وَٱلتَّدْبِيرِ وَمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ فَإِذَا ٱسْتَقَرَّ ذٰلِكَ عِنْدَهُ جَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا يَصْلُحُ أَنْ يُفَكِّرَ فِيهِ وَيُدَبِّرَهُ وَأَنْ لَا يُوَجِّهَ إِلَى ٱلْأَعْمَالِ إِلَّا مَنْ يَثِقُ بِدِينِهِ وَأَمَانَتِهِ وَعِفَّتِهِ ثُمَّ عَلَيْهِ بَعْدَ ذٰلِكَ إِنْفَاذُ مَنْ يَثِقُ بِهِ لِلْكَشْفِ عَنْ أَعْمَالِهِمْ وَتَفَقُّدُ أُمُورِهِمْ بِٱلسِّرِّ ٱلْخَفِيِّ حَتَّى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ إِحْسَانُ مُحْسِنٍ وَلَا إِسَاءَةُ مُسِيءٍ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ تَهَاوَنَ ٱلْمُحْسِنُ وَٱجْتَرَأَ ٱلْمُسِيءُ وَفِي عُرْضِ ذٰلِكَ تَهْلِكُ ٱلرَّعِيَّةُ وَيَفْسُدُ ٱلْمُلْكُ. وَٱلْمَثَلُ فِي ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلْأَسَدِ

١ جانب

وَٱبْنِ آوَى ٱلنَّاسِكِ. قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّ ٱبْنَ آوَى كَانَ يَسْكُنُ فِي بَعْضِ ٱلدِّحَالِ[1] وَكَانَ مُتَزَهِّدًا مُتَعَفِّفًا مَعَ بَنَاتِ آوَى وَذِئَابٍ وَثَعَالِبَ وَلَمْ يَكُنْ يَصْنَعُ مَا يَصْنَعْنَ وَلَا يُغِيرُ[2] كَمَا يُغِرْنَ وَلَا يُهَرِيقُ دَمًا وَلَا يَأْكُلُ لَحْمًا وَلَا يَظْلِمُ طَرْفَةَ عَيْنٍ. فَخَاصَمَتْهُ تِلْكَ ٱلسِّبَاعُ وَقُلْنَ نَحْنُ لَا نَرَى سِيرَتَكَ وَلَا رَأْيَكَ ٱلَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ تَزَهُّدِكَ مَعَ أَنَّ تَزَهُّدَكَ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا وَأَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكُونَ إِلَّا كَأَحَدِنَا تَسْعَى مَعَنَا وَتَفْعَلُ فِعْلَنَا وَأَيُّ شَيْءٍ يَشْبَهُ كَفُّكَ عَنِ ٱلدِّمَاءِ وَعَنْ أَكْلِ ٱللَّحْمِ. قَالَ ٱبْنُ آوَى إِنَّ صُحْبَتِي إِيَّاكُنَّ لَا تُؤَثِّمُنِي إِذَا لَمْ أُؤَثِّمْ نَفْسِي لِأَنَّ ٱلْآثَامَ لَيْسَتْ مِنْ قِبَلِ ٱلْأَمَاكِنِ وَٱلْأَصْحَابِ وَلٰكِنَّهَا مِنْ قِبَلِ ٱلْقُلُوبِ وَٱلْأَعْمَالِ. وَلَوْ كَانَ صَاحِبُ ٱلْمَكَانِ ٱلصَّالِحِ يَكُونُ عَمَلُهُ فِيهِ صَالِحًا وَصَاحِبُ ٱلْمَكَانِ ٱلسَّيِّءِ يَكُونُ عَمَلُهُ فِيهِ سَيِّئًا كَانَ حِينَئِذٍ مَنْ قَتَلَ ٱلنَّاسِكَ فِي مِحْرَابِهِ[3] لَمْ يَأْثَمْ وَمَنِ ٱسْتَحْيَاهُ[4] فِي مَعْرَكَةِ ٱلْقِتَالِ أَثِمَ. وَإِنِّي إِنَّمَا صَحِبْتُكُنَّ بِنَفْسِي وَلَمْ أَصْحَبْكُنَّ بِقَلْبِي وَأَعْمَالِي لِأَنِّي أَعْرِفُ ثَمَرَةَ ٱلْأَعْمَالِ فَلَزِمْتُ حَالِي وَإِنَّمَا صُحْبَتُكُنَّ مَوَدَّةٌ مِنِّي لَكُنَّ.

١ جمع دحل وهو ثقب فيه ضيق واسفله متسع ٢ يغزو ٣ مقام الامام في المسجد ٤ ابقاه حيا

فَإِنْ كَانَتْ صُحْبَتِي تَضُرُّكُنَّ فَالْأَمَاكِنُ وَالْمَوَاضِعُ كَثِيرَةٌ ٠ وَثَبَتَ ابْنُ آوَى عَلَى حَالِهِ تِلْكَ وَاشْتَهَرَ بِالنُّسْكِ وَالتَّزَهُّدِ حَتَّى بَلَغَ ذٰلِكَ أَسَدًا كَانَ مَلِكَ تِلْكَ النَّاحِيَةِ فَرَغِبَ فِيهِ لِمَا بَلَغَهُ عَنْهُ مِنَ الْعَفَافِ وَالنَّزَاهَةِ وَالزُّهْدِ وَالْأَمَانَةِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَسْتَدْعِيهِ ٠ فَلَمَّا حَضَرَ كَلَّمَهُ وَآنَسَهُ فَوَجَدَهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ عَلَى غَرَضِهِ ٠ ثُمَّ دَعَاهُ بَعْدَ أَيَّامٍ إِلَى صُحْبَتِهِ وَقَالَ لَهُ تَعْلَمُ أَنَّ عُمَّالِي كَثِيرٌ وَأَعْوَانِي جَمٌّ غَفِيرٌ وَأَنَا مَعَ ذٰلِكَ إِلَى الْأَعْوَانِ مُحْتَاجٌ ٠ وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ عَفَافٌ وَأَدَبٌ وَعَقْلٌ وَدِينٌ وَقَدِ اخْتَبَرْتُكَ فَوَجَدْتُكَ كَذٰلِكَ فَازْدَدْتُ فِيكَ رَغْبَةً وَأَنَا مُوَلِّيكَ مِنْ عَمَلِي جَسِيمًا وَرَافِعُكَ إِلَى مَنْزِلَةٍ شَرِيفَةٍ وَجَاعِلُكَ مِنْ خَاصَّتِي ٠ قَالَ ابْنُ آوَى إِنَّ الْمُلُوكَ أَحِقَّاءُ[1] بِاخْتِيَارِ الْأَعْوَانِ فِيمَا يَهْتَمُّونَ بِهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَأُمُورِهِمْ مِمَّنْ لَهُمُ الْخِبْرَةُ بِذٰلِكَ وَهُمْ أَحْرَى أَنْ لَا يُكْرِهُوا عَلَى ذٰلِكَ أَحَدًا فَإِنَّ الْمُكْرَهَ لَا يَسْتَطِيعُ الْمُبَالَغَةَ فِي الْعَمَلِ ٠ وَإِنِّي لِعَمَلِ السُّلْطَانِ كَارِهٌ وَلَيْسَ لِي بِهِ تَجْرِبَةٌ وَلَا بِالسُّلْطَانِ رِفْقٌ[2] ٠ وَأَنْتَ مَلِكُ السِّبَاعِ وَعِنْدَكَ مِنْ أَجْنَاسِ الْوُحُوشِ عَدَدٌ كَثِيرٌ فِيهِمْ أَهْلُ نُبْلٍ وَقُوَّةٍ وَلَهُمْ عَلَى الْعَمَلِ حِرْصٌ وَعِنْدَهُمْ بِهِ

١ جمع حقيق بمعنى جدير ٢ يعني دراية

وَبِالسُّلْطَانِ رِفْقٌ . فَإِنِ ٱسْتَعْمَلْتَهُمْ أَغْنَوْا عَنْكَ وَٱغْتَبَطُوا لِأَنْفُسِهِمْ بِمَا أَصَابَهُمْ مِنْ ذٰلِكَ . قَالَ ٱلْأَسَدُ دَعْ عَنْكَ هٰذَا فَإِنِّي غَيْرُ مُعْفِيكَ مِنَ ٱلْعَمَلِ . قَالَ ٱبْنُ آوَى إِنَّمَا يَقْدِمُ عَلَى خِدْمَةِ ٱلسُّلْطَانِ غَيْرَ هَائِبٍ رَجُلَانِ لَسْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا . إِمَّا مُصَانِعٌ[1] يَنَالُ حَاجَتَهُ بِفُجُورِهِ وَيَسْلَمُ بِمُصَانَعَتِهِ . وَإِمَّا هَيِّنٌ[2] لَا يَحْسُدُهُ أَحَدٌ . وَأَمَّا مَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْدُمَ ٱلسُّلْطَانَ بِٱلصِّدْقِ وَٱلْعَفَافِ غَيْرَ خَالِطٍ ذٰلِكَ بِمُصَانَعَتِهِ فَقَلَّ أَنْ يَسْلَمَ عَلَى ذٰلِكَ . لِأَنَّهُ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ عَدُوُّ ٱلسُّلْطَانِ وَصَدِيقُهُ بِٱلْعَدَاوَةِ وَٱلْحَسَدِ . أَمَّا ٱلصَّدِيقُ فَيُنَافِسُهُ[3] فِي مَنْزِلَتِهِ وَيَبْغِي عَلَيْهِ فِيهَا وَيُعَادِيهِ لِأَجْلِهَا وَيَشِي[4] عَلَيْهِ كَذِبًا . فَإِذَا لَقِيَتِ ٱلْوِشَايَةُ أُذُنًا وَاعِيَةً مِنَ ٱلْمَلِكِ كَانَ فِي ذٰلِكَ هَلَاكُهُ . وَأَمَّا عَدُوُّ ٱلسُّلْطَانِ فَيَضْطَغِنُ[5] عَلَيْهِ لِنَصِيحَتِهِ لِسُلْطَانِهِ وَإِغْنَائِهِ عَنْهُ فَيَعْمَلُ عَلَى هَلَاكِهِ وَيَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ[6] . فَإِذَا ٱجْتَمَعَ عَلَيْهِ هٰذَانِ ٱلصِّنْفَانِ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْهَلَاكِ . قَالَ ٱلْأَسَدُ لَا يَكُونَنَّ بَغْيُ أَصْحَابِي عَلَيْكَ وَحَسَدُهُمْ إِيَّاكَ وَعَدَاوَةُ أَعْدَائِي لَكَ مِمَّا يَعْرِضُ فِي نَفْسِكَ فَأَنْتَ مَعِي وَأَنَا أَكْفِيكَ ذٰلِكَ وَأَبْلُغُ بِكَ مِنْ دَرَجَاتِ ٱلْكَرَامَةِ وَٱلْإِحْسَانِ عَلَى أَقْدَرِ

١ مداهن مدلس ٢ من الهوان ٣ يغالبه في ان يكون انفس منه ٤ من الوشاية ٥ يحقد ٦ ينتظر به حوادث الدهر

هِمَّتَكَ . قَالَ ٱبْنُ آوَى إِنْ كَانَ ٱلْمَلِكُ يُرِيدُ ٱلْإِحْسَانَ إِلَيَّ فَلْيَدَعْنِي فِي هٰذِهِ ٱلْبَرِّيَّةِ أَعِيشُ آمِنًا قَلِيلَ ٱلْهَمِّ رَاضِيًا بِعَيْشِي مِنَ ٱلْمَاءِ وَٱلْعُشْبِ . فَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ صَاحِبَ ٱلسُّلْطَانِ يَصِلُ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْأَذَى وَٱلْخَوْفِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مَا لَا يَصِلُ إِلَى غَيْرِهِ فِي طُولِ عُمْرِهِ وَأَنَّهُ يَتَّصِلُ إِلَيْهِ ٱلنَّفْعُ سَاعَةً وَاحِدَةً ثُمَّ هُوَ فِي ٱلْخَوْفِ سَرْمَدًا . وَإِنَّ قَلِيلًا مِنَ ٱلْعَيْشِ فِي أَمْنٍ وَطُمَأْنِينَةٍ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ ٱلْعَيْشِ فِي خَوْفٍ وَنَصَبٍ . قَالَ ٱلْأَسَدُ قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكَ فَلَا تَخَفْ شَيْئًا مِمَّا أَرَاكَ تَخَافُ مِنْهُ . وَلَسْتُ أَجِدُ بُدًّا مِنَ ٱلِاسْتِعَانَةِ بِكَ فِي أَمْرِي . قَالَ ٱبْنُ آوَى أَمَّا إِذَا أَبَى ٱلْمَلِكُ إِلَّا ذٰلِكَ فَلْيَجْعَلِ ٱلْمَلِكُ لِي عَهْدًا إِنْ بَغَى عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مِمَّنْ هُوَ فَوْقِي مَخَافَةً عَلَى مَنْزِلَتِهِ أَوْ مِمَّنْ هُوَ دُونِي لِيُنَازِعَنِي عَلَى مَنْزِلَتِي فَذَكَرَ عِنْدَ ٱلْمَلِكِ مِنْهُمْ ذَاكِرٌ بِلِسَانِهِ أَوْ عَلَى لِسَانِ غَيْرِهِ مَا يُرِيدُ بِهِ تَحْرِيشَ ٱلْمَلِكِ عَلَيَّ أَنْ لَا يَعْجَلَ فِي أَمْرِي وَأَنْ يَتَثَبَّتَ فِيمَا يُرْفَعُ إِلَيْهِ وَيُذْكَرُ عِنْدَهُ مِنْ ذٰلِكَ وَيَفْحَصَ عَنْهُ ثُمَّ لِيَصْنَعْ مَا بَدَا لَهُ . فَإِذَا وَثِقْتُ مِنْهُ بِذٰلِكَ أَعَنْتُهُ بِنَفْسِي فِيمَا يُحِبُّ إِطَاعَةً لَهُ وَعَمِلْتُ لَهُ فِيمَا أَوْلَانِي بِنَصِيحَةٍ وَٱجْتِهَادٍ وَحَرَصْتُ

عَلَى أَنْ لا أَجْعَلَ لَهُ عَلَى نَفْسِي سَبِيلاً. قَالَ ٱلْأَسَدُ لَكَ عَلَيَّ ذٰلِكَ وَزِيَادَةٌ. ثُمَّ وَلَّاهُ خَزَائِنَهُ وَأَخَصَّ بِهِ دُونَ أَصْحَابِهِ وَزَادَ فِي كَرَامَتِهِ. فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُ ٱلْأَسَدِ ذٰلِكَ غَاظَهُمْ وَسَاءَهُمْ فَأَجْمَعُوا كَيْدَهُمْ وَٱتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَنْ يَحْرِشُوا عَلَيْهِ ٱلْأَسَدَ. وَكَانَ ٱلْأَسَدُ قَدِ ٱسْتَطَابَ لَحْمًا فَعَزَلَ مِنْهُ مِقْدَارًا وَأَمَرَ ٱبْنَ آوَى بِٱلِٱحْتِفَاظِ بِهِ وَأَنْ يَرْفَعَهُ فِي أَحْصَنِ مَوْضِعِ طَعَامِهِ وَأَحْرَزِهِ لِيُعَادَ عَلَيْهِ. فَأَخَذُوهُ مِنْ مَوْضِعِهِ وَحَمَلُوهُ إِلَى بَيْتِ ٱبْنِ آوَى فَخَبَأُوهُ فِيهِ وَلَا عِلْمَ لَهُ بِهِ. ثُمَّ حَضَرُوا يُكَذِّبُونَهُ إِذَا جَرَتْ فِي ذٰلِكَ حَالٌ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ ٱلْغَدِ دَعَا ٱلْأَسَدُ بِغَدَائِهِ فَفَقَدَ ذٰلِكَ ٱللَّحْمَ وَٱلْتَمَسَهُ فَلَمْ يَجِدْهُ. وَٱبْنُ آوَى لَمْ يَشْعُرْ بِمَا صُنِعَ فِي حَقِّهِ مِنَ ٱلْمَكِيدَةِ وَهُوَ غَائِبٌ فِي خِدْمَةِ ٱلْأَسَدِ وَأَشْغَالِهِ. فَحَضَرَ ٱلَّذِينَ عَمِلُوا ٱلْمَكِيدَةَ وَقَعَدُوا فِي ٱلْمَجْلِسِ. ثُمَّ إِنَّ ٱلْمَلِكَ سَأَلَ عَنِ ٱللَّحْمِ وَشَدَّدَ فِيهِ وَفِي ٱلسُّؤَالِ عَنْهُ فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. فَقَالَ أَحَدُهُمْ قَوْلَ ٱلْمُخْبِرِ ٱلنَّاصِحِ إِنَّهُ لَا بُدَّ لَنَا أَنْ نُخْبِرَ ٱلْمَلِكَ بِمَا يَضُرُّهُ وَيَنْفَعُهُ وَإِنْ شَقَّ ذٰلِكَ عَلَى مَنْ يَشُقُّ عَلَيْهِ. وَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ ٱبْنَ آوَى هُوَ ٱلَّذِي ذَهَبَ بِٱللَّحْمِ إِلَى مَنْزِلِهِ لِيَأْكُلَهُ دُونَ

الْمَلِكِ . قَالَ الْآخَرُ مَا أَرَاهُ يَفْعَلُ هٰذَا . وَلٰكِنِ انْظُرُوا وَافْحَصُوا فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْخَلَائِقِ شَدِيدَةٌ . فَقَالَ الْآخَرُ لَعَمْرِي مَا تَلْبَثُ السَّرَائِرُ أَنْ تُعْرَفَ . وَأَظُنُّكُمْ إِنْ فَحَصْتُمْ عَنْ هٰذَا وَجَدْتُمُ اللَّحْمَ فِي بَيْتِ ابْنِ آوَى وَكُلُّ شَيْءٍ يُذْكَرُ مِنْ عُيُوبِهِ وَخِيَانَتِهِ نَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نُصَدِّقَهُ[1] . قَالَ الْآخَرُ لَئِنْ وَجَدْنَا هٰذَا حَقًّا لَمْ تَكُنْ بِالْخِيَانَةِ فَقَطْ وَلٰكِنْ مَعَ الْخِيَانَةِ كُفْرُ النِّعْمَةِ وَالْجَرَاءَةُ عَلَى الْمَلِكِ . قَالَ الْآخَرُ أَنْتُمْ أَهْلُ الْفَضْلِ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُكَذِّبَكُمْ . وَلٰكِنْ سَيَبِينُ هٰذَا لَوْ أَرْسَلَ الْمَلِكُ إِلَى بَيْتِهِ مَنْ يُفَتِّشُهُ . قَالَ الْآخَرُ إِنْ كَانَ الْمَلِكُ مُفَتِّشًا مَنْزِلَهُ فَلْيَعْجَلْ فَإِنَّ عُيُونَهُ وَجَوَاسِيسَهُ مَبْثُوثَةٌ[2] بِكُلِّ مَكَانٍ . وَلَمْ يَزَالُوا فِي هٰذَا الْكَلَامِ وَأَشْبَاهِهِ حَتَّى وَقَعَ فِي نَفْسِ الْأَسَدِ ذٰلِكَ . فَأَمَرَ بِابْنِ آوَى فَحَضَرَ . فَقَالَ لَهُ أَيْنَ اللَّحْمُ الَّذِي أَمَرْتُكَ بِالِاحْتِفَاظِ بِهِ . قَالَ دَفَعْتُهُ إِلَى صَاحِبِ الطَّعَامِ لِيُقَرِّبَهُ إِلَى الْمَلِكِ . فَدَعَا الْأَسَدُ بِصَاحِبِ الطَّعَامِ وَكَانَ مِمَّنْ شَايَعَ وَبَايَعَ[3] مَعَ الْقَوْمِ عَلَى ابْنِ آوَى فَقَالَ مَا دَفَعَ إِلَيَّ شَيْئًا . فَأَرْسَلَ الْأَسَدُ أَمِينًا إِلَى بَيْتِ ابْنِ آوَى لِيُفَتِّشَهُ فَوَجَدَ فِيهِ ذٰلِكَ اللَّحْمَ فَأَتَى بِهِ الْأَسَدَ . فَدَنَا مِنَ الْأَسَدِ ذِئْبٌ لَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ فِي شَيْءٍ

١ نأتي بما يكون مصداقا له ٢ منتشرة ٣ اي تعصب

مِنْ ذٰلِكَ وَكَانَ يُظْهِرُ أَنَّهُ مِنَ ٱلْعُدُولِ ٱلَّذِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ . فَقَالَ بَعْدَ أَنِ ٱطَّلَعَ ٱلْمَلِكُ عَلَى خِيَانَةِ ٱبْنِ آوَى لَا تَعْفُونَّ عَنْهُ فَإِنَّهُ إِنْ عَفَا عَنْهُ لَمْ يَطَّلِعِ ٱلْمَلِكُ بَعْدَهَا عَلَى خِيَانَةِ خَائِنٍ وَلَا ذَنْبِ مُذْنِبٍ . فَأَمَرَ ٱلْأَسَدُ بِٱبْنِ آوَى أَنْ يُخْرَجَ وَإِنْ لَمْ يُحْتَفَظْ بِهِ . فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَاءِ ٱلْمَلِكِ إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ رَأْيِ ٱلْمَلِكِ وَمَعْرِفَتِهِ بِٱلْأُمُورِ كَيْفَ يَخْفَى عَلَيْهِ أَمْرُ هٰذَا وَلَمْ يَعْرِفْ خِبَّهُ وَمُخَادَعَتَهُ . وَأَعْجَبُ مِنْ هٰذَا أَنِّي أَرَاهُ سَيَصْفَحُ عَنْهُ بَعْدَ ٱلَّذِي ظَهَرَ مِنْهُ . فَأَرْسَلَ ٱلْأَسَدُ بَعْضَهُمْ رَسُولًا إِلَى ٱبْنِ آوَى يَلْتَمِسُ مِنْهُ ٱلْعُذْرَ عَنْ أَمْرِهِ . فَرَجَعَ إِلَيْهِ ٱلرَّسُولُ بِرِسَالَةٍ كَاذِبَةٍ ٱخْتَلَقَهَا . فَغَضِبَ ٱلْأَسَدُ مِنْ ذٰلِكَ وَأَمَرَ بِٱبْنِ آوَى أَنْ يُقْتَلَ . فَعَلِمَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ أَنَّهُ قَدْ عَجِلَ فِي أَمْرِهِ فَأَرْسَلَتْ إِلَى ٱلَّذِينَ أُمِرُوا بِقَتْلِهِ أَنْ يُرْجِئُوهُ[1] وَدَخَلَتْ عَلَى ٱبْنِهَا فَقَالَتْ يَا بُنَيَّ بِأَيِّ ذَنْبٍ أَمَرْتَ بِقَتْلِ ٱبْنِ آوَى فَأَخْبَرَهَا بِٱلْأَمْرِ . فَقَالَتْ يَا بُنَيَّ عَجِلْتَ وَإِنَّمَا يَسْلَمُ ٱلْعَاقِلُ مِنَ ٱلنَّدَامَةِ بِتَرْكِ ٱلْعَجَلَةِ وَبِٱلتَّثَبُّتِ . وَٱلْعَجَلَةُ لَا يَزَالُ صَاحِبُهَا يَجْتَنِي ثَمَرَةَ ٱلنَّدَامَةِ بِسَبَبِ ضَعْفِ ٱلرَّأْيِ . وَمَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي أُمُورِهِ نَظَرَ مُفَكِّرٍ كَانَ نَظَرُهُ كَنَظَرِ

[1] يؤخروه

ٱلَّذِي يَكُونُ بِعَيْنَيْهِ سَبَلٌ [١] فَيُخَيَّلُ لَهُ أَنَّ أَمَامَهُمَا كَهَيْئَةِ شَعْرَةٍ ٠ وَكَانَ كَالرَّجُلِ ٱلْجَاهِلِ ٱلَّذِي يَسْمَعُ صَوْتَ ٱلْبَعُوضَةِ فِي ٱللَّيْلِ فَيَظُنُّهَا لِشِدَّةِ صَوْتِهَا شَيْئًا فَإِذَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ عَلِمَ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ ٠ وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحْوَجَ إِلَى ٱلتُّؤَدَةِ وَٱلتَّثَبُّتِ مِنَ ٱلْمُلُوكِ ٠ فَإِنَّ ٱلْمَرْأَةَ بِزَوْجِهَا وَٱلْوَلَدَ بِوَالِدَيْهِ وَٱلْمُتَعَلِّمَ بِٱلْمُعَلِّمِ وَٱلْجُنْدَ بِٱلْقَائِدِ وَٱلنَّاسِكَ بِٱلدِّينِ وَٱلْعَامَّةَ بِٱلْمُلُوكِ وَٱلْمُلُوكَ بِٱلتَّقْوَى وَٱلتَّقْوَى بِٱلْعَقْلِ وَٱلْعَقْلَ بِٱلتَّثَبُّتِ وَٱلْأَنَاةِ ٠ وَرَأْسُ ٱلْحَزْمِ لِلْمَلِكِ مَعْرِفَةُ أَصْحَابِهِ وَإِنْزَالُهُمْ مَنَازِلَهُمْ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ وَٱتِّهَامُهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَإِنَّهُ لَوْ وَجَدَ بَعْضُهُمْ إِلَى هَلَاكِ بَعْضٍ سَبِيلًا لَفَعَلَ ٠ وَقَدْ جَرَّبْتَ ٱبْنَ آوَى وَبَلَوْتَ رَأْيَهُ وَأَمَانَتَهُ وَمُرُوءَتَهُ ثُمَّ لَمْ تَزَلْ مَادِحًا لَهُ رَاضِيًا عَنْهُ وَقَدِ ٱتَّهَمْتَهُ بِشَيْءٍ لَا صِحَّةَ لَهُ وَلَا تَعْلَمُ صِدْقَهُ مِنْ كَذِبِهِ وَلَعَلَّ ذٰلِكَ عَمَلُ أَهْلِ ٱلْكَذِبِ وَٱلْحَسَدِ وَٱلْخِيَانَةِ مِنْ وُزَرَائِكَ ٠ لِأَنَّ ٱلْمَلِكَ إِذَا تَهَاوَنَ فِي أَمْرِ وُزَرَائِهِ وَتَغَافَلَ عَنْهُمْ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي ذٰلِكَ مَا تُكْرَهُ عَاقِبَتُهُ ٠ وَٱلْمَلِكُ أَخْبَرُ مِنْ طَرِيقِ ٱلْعَقْلِ أَنَّ ٱلْأَشْرَارَ يَحْسُدُونَ ٱلْأَخْيَارَ وَيَرْقُبُونَهُمْ لِيُوقِعُوا بِهِمْ ٠ وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَخِينَهُ بَعْدَ ٱرْتِضَائِهِ إِيَّاهُ وَٱئْتِمَانِهِ لَهُ ٠

---

١ شبه غشاوة تعرض للعين

وَمنذ مجيئهِ إِلَى ٱلْآنَ لَمْ يَطَّلِعْ لهُ على خيانةٍ إِلَّا على ٱلْعِفَّةِ وَٱلنَّصِيحَةِ
وَما كانَ مِنْ رَأْيِ ٱلْمَلِكِ أَنْ يُعجِّلَ عَلَيْهِ لِأَجلِ طابَقِ لَحْمٍ ٠
وَأَنْتَ أَيُّها ٱلْمَلِكُ حَقِيقٌ أَنْ تَنظُرَ في حالِ ٱبْنِ آوَى ٠ وَلْتَعلَمْ
أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَعرَّضُ لِلَّحْمِ وَلا يَأْكُلُهُ فَكَيْفَ لِلَّحْمِ ٱسْتَوْدَعْتَهُ إِيَّاهُ ٠
وَلَعَلَّ ٱلْمَلِكَ إِنْ فَحَصَ عَنْ ذٰلِكَ ظَهَرَ لهُ أَنَّ ٱبْنَ آوَى لهُ خُصَماءُ
هُمُ ٱلَّذِينَ ٱئْتَمَرُوا بِهٰذا ٱلْأَمْرِ وَهُمُ ٱلَّذِينَ ذَهَبُوا بِٱللَّحْمِ إِلَى بَيْتِهِ
فَوَضَعُوهُ فِيهِ ٠ فَإِنَّ ٱلْحِدَأَةَ إِذا كانَ في رِجْلِها قِطْعَةُ لَحْمٍ ٱجْتَمَعَ
عَلَيْها سائِرُ ٱلطَّيْرِ وَٱلْكَلْبَ إِذا كانَ معهُ عَظْمٌ ٱجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ
ٱلْكِلابُ ٠ وَٱبْنُ آوَى مُنْذُ كانَ إِلَى ٱلْيَوْمِ نافِعٌ وَكانَ مُحْتَمِلًا لِكُلِّ
ضَرَرٍ فِي جَنْبِ مَنْفَعَةٍ تَصِلُ إِلَيْكَ وَلِكُلِّ عَناءٍ يَكُونُ لَكَ فِيهِ
راحَةٌ وَلَمْ يَكُنْ يَطْوِي دُونَكَ سِرًّا ٠ فَبَيْنَما أُمُّ ٱلْأَسَدِ تَقُصُّ عَلَيْهِ
هٰذِهِ ٱلْمَقالَةَ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ ثِقاتِهِ فَأَخْبَرَهُ بِبَراءَةِ ٱبْنِ آوَى
فَقالَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ إِنَّ ٱلْمَلِكَ بَعْدَ أَنِ ٱطَّلَعَ عَلَى بَراءَةِ ٱبْنِ آوَى
حَقِيقٌ أَنْ لا يَتَساهَلَ مَعَ مَنْ سَعَى بِهِ لِئَلَّا يَتَجَرَّأُوا عَلَى ما هُوَ أَعْظَمُ
مِنْ ذٰلِكَ وَلٰكِنْ يُعاقِبُهُمْ عَلَيْهِ لِكَيْ لا يَعُودُوا إِلَى مِثْلِهِ ٠ وَلا تَحْتَقِرْ ما
فَعَلُوا مَعَكَ فَإِنَّ ٱلْعُشْبَ وَإِنْ كانَ لا قُوَّةَ لهُ يُصْنَعُ مِنْهُ ٱلْحَبْلُ

١ وما كله يطبخ فيه

ٱلَّذِي يُوثَقُ بِهِ ٱلْفِيلُ . فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يُرَاجِعَ فِي أَمْرِ ٱلْكَفُورِ لِلْحُسْنَى وَٱلْجَرِيءِ عَلَى ٱلْغَدْرِ وَٱلزَّاهِدِ فِي ٱلْخَيْرِ وَٱلَّذِي لَا يُوقِنُ بِٱلْآخِرَةِ وَيَنْبَغِي أَنَّهُ يُجْزَى بِعَمَلِهِ . وَقَدْ عَرَفْتُ سُرْعَةَ ٱلْغَضَبِ وَفَرْطَ ٱلْهَفْوَةِ وَمَنْ سَخِطَ بِٱلْيَسِيرِ لَمْ يَبْلُغْ رِضَاهُ بِٱلْكَثِيرِ وَٱلْأَوْلَى لَكَ أَنْ تُرَاجِعَ ٱبْنَ آوَى وَتَعْطِفَ عَلَيْهِ وَلَا يُؤْيِسَنَّكَ مِنْ مُنَاصَحَتِهِ مَا فَرَطَ مِنْكَ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْإِسَاءَةِ . فَإِنَّ مِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ عَلَى حَالٍ مِنَ ٱلْأَحْوَالِ وَهُوَ مَنْ عُرِفَ بِٱلصَّلَاحِ وَٱلْكَرَمِ وَحُسْنِ ٱلْعَهْدِ وَٱلشُّكْرِ وَٱلْوَفَاءِ وَٱلْمَحَبَّةِ لِلنَّاسِ وَٱلسَّلَامَةِ مِنَ ٱلْحَسَدِ وَٱلْبُعْدِ مِنَ ٱلْأَذَى وَٱلِٱحْتِمَالِ لِلْإِخْوَانِ وَٱلْأَصْحَابِ وَإِنْ ثَقُلَتْ عَلَيْهِ مِنْهُمُ ٱلْمَؤُونَةُ . وَأَمَّا مَنْ يَنْبَغِي تَرْكُهُ فَهُوَ مَنْ عُرِفَ بِٱلشَّرَاسَةِ وَلُؤْمِ ٱلْعَهْدِ وَقِلَّةِ ٱلشُّكْرِ وَٱلْوَفَاءِ وَٱلْبُعْدِ عَنِ ٱلرَّحْمَةِ وَٱلْوَرَعِ وَٱتَّصَفَ بِٱلْجُحُودِ لِثَوَابِ ٱلْآخِرَةِ وَعِقَابِهَا . وَقَدْ عَرَفْتَ ٱبْنَ آوَى وَجَرَّبْتَهُ وَأَنْتَ حَقِيقٌ بِمُوَاصَلَتِهِ . فَدَعَا ٱلْأَسَدُ بِٱبْنِ آوَى وَٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِمَّا كَانَ مِنْهُ وَوَعَدَهُ خَيْرًا وَقَالَ إِنِّي مُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ وَرَادُّكَ إِلَى مَنْزِلَتِكَ . فَقَالَ ٱبْنُ آوَى هٰذَا ٱلَّذِي خِفْتُ مِنْهُ فِي أَوَّلِ ٱتِّصَالِي بِكَ وَٱلَّذِي

لِأَجْلِهِ ٱمْتَنَعْتُ مِمَّا عَرَضْتَهُ عَلَيَّ مِنْ صُحْبَتِكَ وَتَوَلِّي خِدْمَتِكَ . وَإِنَّ شَرَّ ٱلْأَخِلَّاءِ مَنِ ٱلْتَمَسَ مَنْفَعَةَ نَفْسِهِ بِضَرِّ أَخِيهِ وَمَنْ كَانَ غَيْرَ نَاظِرٍ لَهُ كَنَظَرِهِ لِنَفْسِهِ أَوْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُرْضِيَهُ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ لِأَجْلِ ٱتِّبَاعِ هَوَاهُ وَكَثِيرًا مَا يَقَعُ ذٰلِكَ بَيْنَ ٱلْأَخِلَّاءِ ❊ وَقَدْ كَانَ مِنَ ٱلْمَلِكِ إِلَيَّ مَا عَلِمَ وَلَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَطْمَئِنَّ إِلَى مَنْ عَاقَبَهُ أَشَدَّ ٱلْعُقُوبَةِ مِنْ نَزْعِهِ عَنْ عَمَلِهِ أَوْ أَخْذِ مَالِهِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ أَوْ مَنْ كَانَ لِلْكَرَامَةِ أَهْلًا فَلَمْ يَعْرِفْ لَهُ ذٰلِكَ وَلَمْ يُعْطِهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ أَوْ كَانَ مَظْلُومًا وَلَمْ يَنْظُرْ فِي أَمْرِهِ أَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ ٱلطَّمَعِ فَلَمْ يُصِبْ مَا يَرْجُوهُ أَوْ كَانَ بَيْنَ قَوْمٍ قَدِ ٱجْتَرَمُوا جَرِيمَةً هُوَ مِنْهَا بَرِيءٌ فَأُخِذَ هُوَ بِهَا مِنْ بَيْنِهِمْ وَخُلِّيَ سَبِيلُهُمْ . فَأَمْثَالُ هٰؤُلَاءِ لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَصْحَبَهُمْ وَأَنَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَحَدُ هٰؤُلَاءِ فَلَعَلَّ ٱلْمَلِكَ يَقُولُ إِنَّ ٱبْنَ آوَى لَا يَنْسَى ٱلَّذِي لَقِيَهُ مِنَ ٱلْهَوَانِ فَيَقْتَصُّ مِنِّي . وَأَنَا يَعْلَمُ ٱللّٰهُ أَنْ لَيْسَ فِي قَلْبِي شَيْءٌ مِنْ قِبَلِ هٰذَا وَإِنَّمَا خَوْفِي أَنْ يَفْعَلُوا بِي ذٰلِكَ مَرَّةً أُخْرَى . فَلَا يَغْلُظَنَّ عَلَى نَفْسِ ٱلْمَلِكِ مَا أُخْبِرُهُ أَنِّي بِهِ غَيْرُ وَاثِقٍ وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَصْحَبَهُ . وَإِنَّ ٱلْمَلِكَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَصْحَبَ مَنْ كَانَ مِثْلِي وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ

يرفضهُ اصلاً . فانَّ ذا السلطانِ إذا عُزِل كان مستحقّاً للكرامةِ في حالةِ إبعادهِ والإقصاءِ لهُ . فلم يلتفتِ الاسدُ إلى كلامهِ ثمَّ قال لهُ إنّي قد بلوتُ طباعكَ وأخلاقكَ وجرّبتُ أمانتكَ ووفاءَكَ وعرفتُ كذبَ من محلَ بكَ وإنّي منزلُكَ من نفسي منزلةَ الأخيارِ الكرماءِ والكريمُ تنسيهِ الخلةُ الواحدةُ من الإحسانِ الخلالَ الكثيرةَ من الإساءةِ . وقد عُدنا إلى الثقةِ بكَ فعُد إلى الثقةِ بنا فإنَّهُ كائنٌ لنا ولكَ بذلكَ غبطةٌ وسرورٌ . فعاد ابنُ آوى إلى ولايةِ ما كان يلي وضاعف لهُ الأسدُ الكرامةَ ولم تزدهُ الأيامُ الّا تقرّباً منهُ

بابُ

إيلاذ وبلاذ وإبراخت

قال دبشليم الملكُ لبيدبا الفيلسوفِ قد سمعتُ هذا المثلَ فاضرب لي مثلاً في الأشياءِ التي يجبُ على الملكِ أن يلزمَ بها نفسهُ ويحفظ ملكهُ ويثبتَ بها سلطانهُ ويكونُ ذلكَ رأسَ أمرهِ

وَمِلاكُهُ ٱلحِلْمُ أَمِ ٱلمُرُوءَةُ أَمِ ٱلشَّجاعةُ ٱلجُودُ. قالَ بَيدَبا إِنَّ أَحَقَّ ما يَحفَظُ بِهِ ٱلمَلِكُ مُلْكَهُ ٱلحِلْمُ وَبِهِ تَثبُتُ ٱلسَّلْطَنَةُ. وَٱلحِلْمُ رَأْسُ ٱلأُمُورِ وَمِلاكُها وَأَجْوَدُ ما كانَ في ٱلمُلُوكِ

كَالَّذِي زَعَمُوا مِنْ أَنَّهُ كانَ مَلِكٌ يُدْعَى بَلاذَ وَكانَ لَهُ وَزِيرٌ يُدْعَى إِيلاذَ وَكانَ مُتَعَبِّدًا ناسِكًا. وَإِنَّ ٱلمَلِكَ نامَ ذاتَ لَيلَةٍ فَرَأَى في مَنامِهِ ثَمانِيَةَ أَحلامٍ أَفزَعَتْهُ فَٱستَيقَظَ مَرْعُوبًا. فَدَعا بِٱلبَراهِمَةِ وَهُمُ ٱلنُّسّاكُ لِيَعبُرُوا رُؤْياهُ. فَلَمّا حَضَرُوا بَينَ يَدَيهِ قَصَّ عَلَيهِم ما رَأَى فَقالُوا بِأَجْمَعِهِمْ لَقَدْ رَأَى ٱلمَلِكُ عَجَبًا. فَإِنْ أَمهَلَنا سَبْعَةَ أَيّامٍ جِئْناهُ بِتَأْوِيلِهِ. قالَ ٱلمَلِكُ قَدْ أَمهَلْتُكُمْ فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ ٱجتَمَعُوا في مَنزِلِ أَحَدِهِمْ وَأْتَمَرُوا بَينَهُمْ وَقالُوا قَدْ وَجَدْتُمْ عِلْمًا واسِعًا تُدرِكُونَ بِهِ ثَأْرَكُمْ وَتَنتَقِمُونَ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَقَدْ عَلِمتُمْ أَنَّهُ قَتَلَ مِنّا بِٱلأَمسِ ٱثنَي عَشَرَ أَلفًا. وَها هُوَ قَدْ أَطلَعَنا عَلَى سِرِّهِ وَسَأَلَنا تَفسِيرَ رُؤْياهُ. فَهَلُمَّ نُغلِظْ لَهُ ٱلقَولَ وَنُخِفْهُ حَتَّى يَحمِلَهُ ٱلفَرَقُ وَٱلجَزَعُ عَلَى أَنْ يَفعَلَ ٱلَّذِي نُرِيدُ. وَنَأْمُرُهُ فَنَقُولُ ٱدفَعْ إِلَينا أَحِبّاءَكَ وَمَنْ يَكرُمُ عَلَيكَ حَتَّى نَقتُلَهُمْ. فَإِنّا قَدْ نَظَرْنا في كُتُبِنا فَلَمْ نَرَ أَنْ يُدفَعَ عَنكَ ما رَأَيتَ

١ قوامه

لِنَفْسِكَ وَمَا وَقَعْتَ فِيهِ مِنْ هٰذَا ٱلشَّرِّ إِلَّا بِقَتْلِ مَنْ نُسَمِّي لَكَ.
فَإِنْ قَالَ ٱلْمَلِكُ وَمَنْ تُرِيدُونَ أَنْ نَقْتُلُوا سَمُّوهُمْ لِي. قُلْنَا نُرِيدُ
ٱلْمَلِكَةَ إِيرَاخْتَ أُمَّ جُوِيرَ ٱلْمَحْمُودَةَ أَكْرَمَ نِسَائِكَ عَلَيْكَ.
وَنُرِيدُ جُوِيرَ أَحَبَّ بَنِيكَ إِلَيْكَ وَأَفْضَلَهُمْ عِنْدَكَ. وَنُرِيدُ ٱبْنَ
أَخِيكَ ٱلْكَرِيمَ وَإِيلَاذَ خَلِيلَكَ وَصَاحِبَ أَمْرِكَ. وَنُرِيدُ كَالَ
ٱلْكَاتِبَ صَاحِبَ سِرِّكَ وَسَيْفَكَ ٱلَّذِي لَا يُوجَدُ مِثْلُهُ وَٱلْفِيلَ
ٱلْأَبْيَضَ ٱلَّذِي لَا تَلْحَقُهُ ٱلْخَيْلُ وَٱلْفَرَسَ ٱلَّذِي هُوَ مَرْكَبُكَ فِي
ٱلْقِتَالِ. وَنُرِيدُ ٱلْفِيلَيْنِ ٱلْآخَرَيْنِ ٱلْعَظِيمَيْنِ ٱللَّذَيْنِ يَكُونَانِ مَعَ
ٱلْفِيلِ ٱلذَّكَرِ. وَنُرِيدُ ٱلْبُخْتِيَّ[١] ٱلسَّرِيعَ ٱلْقَوِيَّ. وَنُرِيدُ كَبَارِيُونَ
ٱلْحَكِيمَ ٱلْفَاضِلَ ٱلْعَالِمَ بِٱلْأُمُورِ لِنَنْتَقِمَ مِنْهُ بِمَا فَعَلَ بِنَا * ثُمَّ نَقُولُ
لَهُ إِنَّمَا يَنْبَغِي لَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنْ تَقْتُلَ هٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ سَمَّيْنَاهُمْ
لَكَ ثُمَّ تَجْعَلَ دِمَاءَهُمْ فِي حَوْضٍ تَمْلَأُهُ ثُمَّ تَقْعُدُ فِيهِ. فَإِذَا خَرَجْتَ
مِنَ ٱلْحَوْضِ ٱجْتَمَعْنَا نَحْنُ مَعَاشِرَ ٱلْبَرَاهِمَةِ مِنَ ٱلْآفَاقِ ٱلْأَرْبَعَةِ
نَجُولُ حَوْلَكَ فَنَرْقِيكَ وَنَتْفُلُ عَلَيْكَ وَنَمْسَحُ عَنْكَ ٱلدَّمَ
وَنَغْسِلُكَ بِٱلْمَاءِ وَٱلدُّهْنِ ٱلطَّيِّبِ. ثُمَّ تَقُومُ إِلَى مَنْزِلِكَ ٱلْبَهِيِّ
فَيَدْفَعُ ٱللّٰهُ بِذٰلِكَ ٱلْبَلَاءَ ٱلَّذِي نَتَخَوَّفُهُ عَلَيْكَ * فَإِنْ صَبَرْتَ أَيُّهَا

---

١ واحد البخت وهي الابل الخراسانية

ٱلْمَلِكُ وَطَابَتْ نَفْسُكَ عَنْ أَحِبَّائِكَ ٱلَّذِينَ ذَكَرْنَا لَكَ وَجَعَلْتَهُمْ فِدَاكَ تَخَلَّصْتَ مِنَ ٱلْبَلَاءِ وَٱسْتَقَامَ لَكَ مُلْكُكَ وَسُلْطَانُكَ وَٱسْتَخْلَفْتَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ أَحْبَبْتَ. وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ تَخَوَّفْنَا عَلَيْكَ أَنْ يُغْصَبَ مُلْكُكَ أَوْ تَهْلِكَ. فَإِنْ هُوَ أَطَاعَنَا فِيمَا نَأْمُرُهُ قَتَلْنَاهُ شَرَّ قِتْلَةٍ * فَلَمَّا أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى مَا أْتَمَرُوا فِيهِ رَجَعُوا إِلَيْهِ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّامِنِ وَقَالُوا لَهُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنَّا نَظَرْنَا فِي كُتُبِنَا تَفْسِيرَ مَا رَأَيْتَ وَفَحَصْنَا عَنِ ٱلرَّأْيِ فِيمَا بَيْنَنَا. فَلْيَكُنْ لَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلطَّاهِرُ ٱلصَّالِحُ وَٱلْكَرَامَةُ. وَلَسْنَا نَقْدِرُ أَنْ نُعْلِمَكَ بِمَا رَأَيْنَا إِلَّا أَنْ تَخْلُوَ بِنَا وَتُؤَمِّنَنَا. فَأَخْرَجَ ٱلْمَلِكُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ وَخَلَا بِهِمْ فَحَدَّثُوهُ بِٱلَّذِي أْتَمَرُوا فِيهِ. فَقَالَ لَهُمُ ٱلْمَوْتُ خَيْرٌ لِي مِنَ ٱلْحَيَاةِ إِنْ أَنَا قَتَلْتُ هٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ هُمْ عَدِيلُ نَفْسِي. وَأَنَا مَيِّتٌ لَا مَحَالَةَ وَٱلْحَيَاةُ قَصِيرَةٌ وَلَسْتُ كُلَّ ٱلدَّهْرِ مَلِكًا وَإِنَّ ٱلْمَوْتَ عِنْدِي وَفِرَاقَ ٱلْأَحْبَابِ سَوَاءٌ فَضْلًا عَمَّا أَرْتَكِبُهُ مِنَ ٱلْإِثْمِ فِي قَتْلِهِمْ. قَالَ لَهُ ٱلْبَرَاهِمِيُّونَ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَغْضَبْ أَخْبَرْنَاكَ. فَأَذِنَ لَهُمْ فَقَالُوا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنَّكَ لَمْ تَقُلْ صَوَابًا حِينَ تَجْعَلُ نَفْسَ غَيْرِكَ أَعَزَّ عِنْدَكَ مِنْ نَفْسِكَ. فَٱحْتَفِظْ بِنَفْسِكَ وَمُلْكِكَ

وَأَعْمَلْ هٰذَا ٱلَّذِي فِيهِ لَكَ ٱلرَّجَاءُ ٱلْعَظِيمُ عَلَى ثِقَةٍ وَيَقِينٍ وَقَرَّ عَيْنًا بِمُلْكِكَ فِي وُجُوهِ أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ ٱلَّذِينَ شَرُفْتَ وَكَرُمْتَ بِهِمْ وَلَا تَدَعِ ٱلْأَمْرَ ٱلْعَظِيمَ وَتَأْخُذْ بِٱلضَّعِيفِ فَتُهْلِكَ نَفْسَكَ إِيثَارًا لِمَنْ تُحِبُّ ❋ وَٱعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنَّ ٱلْإِنْسَانَ إِنَّمَا يُحِبُّ ٱلْحَيَاةَ مَحَبَّةً لِنَفْسِهِ وَأَنَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ أَحَبَّ مِنَ ٱلْأَحْبَابِ إِلَّا لِيَتَمَتَّعَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ · وَإِنَّمَا قِوَامُ نَفْسِكَ بَعْدَ ٱللّٰهِ بِمُلْكِكَ وَإِنَّكَ لَمْ تَنَلْ مُلْكَكَ إِلَّا بِٱلْمَشَقَّةِ وَٱلْعَنَاءِ ٱلْكَثِيرِ فِي ٱلشُّهُورِ وَٱلسِّنِينَ وَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ تَرْفُضَهُ وَيَهُونَ عَلَيْكَ · فَٱسْتَمِعْ كَلَامَنَا وَٱنْظُرْ لِنَفْسِكَ مُنَاهَا وَدَعْ مَا سِوَاهَا فَإِنَّهُ لَا خَطَرَ لَهُ ❋ فَلَمَّا رَأَى ٱلْمَلِكُ أَنَّ ٱلْبَرَاهِمِيِّينَ قَدْ أَغْلَظُوا لَهُ فِي ٱلْقَوْلِ وَٱسْتَجْرَأُوا عَلَيْهِ فِي ٱلْكَلَامِ ٱشْتَدَّ غَمُّهُ وَحُزْنُهُ وَقَامَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانَيْهِمْ وَدَخَلَ إِلَى حُجْرَتِهِ فَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ يَبْكِي وَيَتَقَلَّبُ كَمَا تَتَقَلَّبُ ٱلسَّمَكَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ ٱلْمَاءِ وَجَعَلَ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ مَا أَدْرِي أَيُّ ٱلْأَمْرَيْنِ أَعْظَمُ فِي نَفْسِي ٱلْهَلَكَةُ أَمْ قَتْلُ أَحِبَّائِي · وَلَنْ أَنَالَ ٱلْفَرَحَ مَا عِشْتُ وَلَيْسَ مُلْكِي بِبَاقٍ عَلَيَّ إِلَى ٱلْأَبَدِ وَلَسْتُ بِٱلْمُصِيبِ سُؤْلِي فِي مُلْكِي · وَإِنِّي لَزَاهِدٌ فِي ٱلْحَيَاةِ إِذَا لَمْ أَرَ إِيرَاخْتَ وَجُوِيرَ · وَكَيْفَ أَقْدِرُ عَلَى

ٱلْقِيَامِ بِمُلْكِي إِذَا هَلَكَ وَزِيرِي إِيلَاذُ وَكَيْفَ أَضْبِطُ أَمْرِي إِذَا هَلَكَ فِيلِي ٱلْأَبْيَضُ وَفَرَسِي ٱلْجَوَادُ وَكَيْفَ ادَّعَى مَلِكًا وَقَدْ قَتَلْتُ مَنْ أَشَارَ ٱلْبَرَاهِمَةُ بِقَتْلِهِ وَمَا أَصْنَعُ بِٱلدُّنْيَا بَعْدَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ ٱلْحَدِيثَ فَشَا فِي ٱلْأَرْضِ بِحُزْنِ ٱلْمَلِكِ وَهَمِّهِ . فَلَمَّا رَأَى إِيلَاذُ مَا نَالَ ٱلْمَلِكَ مِنَ ٱلْهَمِّ وَٱلْحُزْنِ فَكَّرَ فِي حِكْمَتِهِ وَنَظَرَ وَقَالَ مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَسْتَقْبِلَ ٱلْمَلِكَ فَأَسْأَلَهُ عَنْ هٰذَا ٱلْأَمْرِ ٱلَّذِي قَدْ نَالَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْعُونِي . ثُمَّ ٱنْطَلَقَ إِلَى إِيرَاخْتَ فَقَالَ إِنِّي مُنْذُ خَدَمْتُ ٱلْمَلِكَ إِلَى ٱلْآنَ لَمْ يَعْمَلْ عَمَلًا إِلَّا بِمَشُورَتِي وَرَأْيِي . وَأَرَاهُ يَكْتُمُ عَنِّي أَمْرًا لَا أَعْلَمُ مَا هُوَ وَلَا أَرَاهُ يُظْهِرُ مِنْهُ شَيْئًا . وَإِنِّي رَأَيْتُهُ خَالِيًا مَعَ جَمَاعَةِ ٱلْبَرْهَمِيِّينَ مُنْذُ لَيَالٍ وَقَدِ ٱحْتَجَبَ عَنَّا فِيهَا . وَأَنَا خَائِفٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطْلَعَهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَسْرَارِهِ فَلَسْتُ آمَنُهُمْ أَنْ يُشِيرُوا عَلَيْهِ بِمَا يَضُرُّهُ وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْهُ ٱلسُّوءُ . فَقُومِي وَٱدْخُلِي عَلَيْهِ فَٱسْأَلِيهِ عَنْ أَمْرِهِ وَشَأْنِهِ وَأَخْبِرِينِي بِمَا هُوَ عَلَيْهِ وَأَعْلِمِينِي فَإِنِّي لَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى ٱلدُّخُولِ عَلَيْهِ . فَلَعَلَّ ٱلْبَرْهَمِيِّينَ قَدْ زَيَّنُوا لَهُ أَمْرًا وَحَمَلُوهُ عَلَى خُطَّةٍ قَبِيحَةٍ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ مِنْ خُلُقِ ٱلْمَلِكِ أَنَّهُ إِذَا غَضِبَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا وَسَوَاءٌ

عِنْدَهُ صَغِيرُ ٱلأُمُورِ وَكَبِيرُهَا • فَقَالَتْ إِيرَاخْتُ إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلْمَلِكِ بَعْضُ ٱلْعِتَابِ فَلَسْتُ بِدَاخِلَةٍ عَلَيْهِ فِي هٰذِهِ ٱلْحَالِ • فَقَالَ لَهَا إِيلَاذُ لَا تَحْمِلِي عَلَيْهِ ٱلْحِقْدَ فِي مِثْلِ هٰذَا وَلَا يَخْطُرَنَّ ذٰلِكَ عَلَى بَالِكِ فَلَيْسَ يَقْدِرُ عَلَى ٱلدُّخُولِ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِوَاكِ • وَقَدْ سَمِعْتُهُ كَثِيرًا يَقُولُ مَا ٱشْتَدَّ غَمِّي وَدَخَلَتْ عَلَيَّ إِيرَاخْتُ إِلَّا سُرِّيَ ذٰلِكَ عَنِّي • فَقُومِي إِلَيْهِ وَٱصْفَحِي عَنْهُ وَكَلِّمِيهِ بِمَا تَعْلَمِينَ أَنَّهُ تَطِيبُ بِهِ نَفْسُهُ وَيَذْهَبُ ٱلَّذِي يَجِدُهُ وَأَعْلِمِينِي بِمَا يَكُونُ جَوَابُهُ فَإِنَّ بِذٰلِكَ لَنَا وَلِأَهْلِ ٱلْمَمْلَكَةِ أَعْظَمَ ٱلرَّاحَةِ • فَٱنْطَلَقَتْ إِيرَاخْتُ فَدَخَلَتْ عَلَى ٱلْمَلِكِ فَجَلَسَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَتْ مَا ٱلَّذِي بِكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْمَحْمُودُ وَمَا ٱلَّذِي سَمِعْتَ مِنَ ٱلْبَرَاهِمَةِ فَإِنِّي أَرَاكَ مَحْزُونًا فَأَعْلِمْنِي مَا بِكَ فَقَدْ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَحْزَنَ مَعَكَ وَنُوَاسِيَكَ بِأَنْفُسِنَا. فَقَالَ ٱلْمَلِكُ أَيَّتُهَا ٱلْمَرْأَةُ لَا تَسْأَلِينِي عَنْ أَمْرِي فَتَزِيدِينِي غَمًّا وَحُزْنًا • فَإِنَّهُ أَمْرٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَسْأَلِينِي عَنْهُ. قَالَتْ أَوَقَدْ نَزَلْتُ عِنْدَكَ مَنْزِلَةَ مَنْ يَسْتَحِقُّ هٰذَا. إِنَّمَا أَحْمَدُ ٱلنَّاسِ عَقْلًا مَنْ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ ٱلنَّازِلَاتُ كَانَ لِنَفْسِهِ أَشَدَّ ضَبْطًا وَأَكْثَرَهُمُ ٱسْتِمَاعًا مِنْ أَهْلِ ٱلنُّصْحِ حَتَّى يَنْجُوَ مِنْ تِلْكَ ٱلنَّازِلَةِ بِٱلْحِيلَةِ وَٱلْعَقْلِ

وَٱلْبَحْثِ وَٱلْمُشَاوَرَةِ فَعَظِيمُ ٱلذَّنْبِ لَا يَقْنَطُ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ. وَلَا تُدْخِلَنَّ عَلَيْكَ شَيْئًا مِنَ ٱلْهَمِّ وَٱلْحُزْنِ فَإِنَّهُمَا لَا يَرُدَّانِ شَيْئًا مَقْضِيًّا إِلَّا أَنَّهُمَا يُنْحِلَانِ ٱلْجِسْمَ وَيَشْفِيَانِ ٱلْعَدُوَّ. وَٱلصَّبْرُ عِنْدَ نُزُولِ ٱلْمُصِيبَةِ عِبَادَةٌ وَسَوْفَ تَحْمَدُ أَمْرَكَ إِنْ أَخْبَرْتَنِي. قَالَ لَهَا ٱلْمَلِكُ لَا تَسْأَلِينِي عَنْ شَيْءٍ فَقَدْ شَقَقْتِ عَلَيَّ[١]. وَٱلَّذِي تَسْأَلِينَنِي عَنْهُ لَا خَيْرَ فِيهِ لِأَنَّ عَاقِبَتَهُ هَلَاكِي وَهَلَاكُكِ وَهَلَاكُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِي وَمَنْ هُوَ عَدِيلُ نَفْسِي. وَذَاكَ أَنَّ ٱلْبَرَاهِمَةَ زَعَمُوا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَتْلِكِ وَقَتْلِ جُوِيرَ وَكَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ مَوَدَّتِي وَلَا خَيْرَ فِي ٱلْعَيْشِ بَعْدَكُمْ وَهَلْ أَحَدٌ يَسْمَعُ بِهٰذَا إِلَّا ٱعْتَرَاهُ ٱلْحُزْنُ. فَلَمَّا سَمِعَتْ ذٰلِكَ إِيرَاخْتُ جَزِعَتْ وَمَنَعَهَا عَقْلُهَا أَنْ تُظْهِرَ لِلْمَلِكِ جَزَعًا فَقَالَتْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لَا تَجْزَعْ فَنَحْنُ لَكَ ٱلْفِدَاءُ وَلَكَ فِي سِوَايَ وَمِثْلِي مِنَ ٱلْجَوَارِي مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ. وَلٰكِنِّي أَطْلُبُ مِنْكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ حَاجَةً يَحْمِلُنِي عَلَى طَلَبَتِهَا حُبِّي لَكَ وَإِيثَارِي إِيَّاكَ وَهِيَ نَصِيحَتِي لَكَ. قَالَ ٱلْمَلِكُ وَمَا هِيَ. قَالَتْ أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ لَا تَثِقَ بَعْدَهَا بِأَحَدٍ مِنَ ٱلْبَرَاهِمَةِ وَلَا تُشَاوِرَهُمْ فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَثَبَّتَ فِي أَمْرِكَ ثُمَّ تُشَاوِرَ فِيهِ ثِقَاتِكَ مِرَارًا فَإِنَّ ٱلْقَتْلَ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَلَسْتَ

١ رميتني في المشقة

تَقْدِرُ عَلَى أَنْ تُحْيِيَ مَنْ قَتَلْتَ . وَقَدْ قِيلَ فِي ٱلْحَدِيثِ إِذَا لَقِيتَ جَوْهَرًا لَا خَيْرَ فِيهِ فَلَا تُلْقِهِ مِنْ يَدِكَ حَتَّى تُرِيَهُ مَنْ يَعْرِفُهُ . وَأَنْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لَا تَعْرِفُ أَعْدَاءَكَ . وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْبَرَاهِمَةَ لَا يُحِبُّونَكَ وَقَدْ قَتَلْتَ مِنْهُمْ بِٱلْأَمْسِ ٱثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا . وَلَا تَظُنَّ أَنَّ هٰؤُلَاءِ لَيْسُوا مِنْ أُولٰئِكَ . وَلَعَمْرِي مَا كُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تُخْبِرَهُمْ بِرُؤْيَاكَ وَلَا أَنْ تُطْلِعَهُمْ عَلَيْهَا . وَإِنَّمَا قَالُوا لَكَ مَا قَالُوا لِأَجْلِ ٱلْحِقْدِ ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ لَعَلَّهُمْ يُهْلِكُونَكَ وَيُهْلِكُونَ أَحِبَّاءَكَ وَوَزِيرَكَ فَيَبْلُغُوا قَصْدَهُمْ مِنْكَ . وَأَظُنُّكَ لَوْ قَبِلْتَ مِنْهُمْ فَقَتَلْتَ مَنْ أَشَارُوا بِقَتْلِهِ ظَفِرُوا بِكَ وَغَلَبُوكَ عَلَى مُلْكِكَ فَيَعُودُ ٱلْمُلْكُ إِلَيْهِمْ كَمَا كَانَ . فَإِنَّ ٱلشَّجَرَةَ إِذَا أُرِيدَ قَلْعُهَا عُمِدَ أَوَّلًا إِلَى أُصُولِهَا وَمَا تَتَشَبَّثُ بِهِ فِي ٱلْأَرْضِ فَقُطِعَتْ ثُمَّ قُلِعَتْ فَهَانَ قَلْعُهَا . فَٱنْطَلِقْ إِلَى كِبَارْيُونَ ٱلْحَكِيمِ فَهُوَ فَطِنٌ عَالِمٌ فَأَخْبِرْهُ عَمَّا رَأَيْتَ فِي رُؤْيَاكَ وَٱسْأَلْهُ عَنْ وَجْهِهَا وَتَأْوِيلِهَا ❁ فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ سُرِّيَ عَنْهُ مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ ٱلْغَمِّ فَأَمَرَ بِفَرَسِهِ فَأُسْرِجَ فَرَكِبَهُ ثُمَّ ٱنْطَلَقَ إِلَى كِبَارْيُونَ ٱلْحَكِيمِ . فَلَمَّا ٱنْتَهَى إِلَيْهِ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَسَجَدَ لَهُ وَقَامَ مُطَأْطِئًا ٱلرَّأْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْحَكِيمُ مَا بَالُكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ وَمَا لِي أَرَاكَ مُتَغَيِّرَ ٱللَّوْنِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ إِنِّي

رَأَيْتُ فِي ٱلْمَنَامِ ثَمَانِيَةَ أَحْلَامٍ فَقَصَصْتُهَا عَلَى ٱلْبَرَاهِمَةِ وَأَنَا خَائِفٌ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ ذٰلِكَ عَظِيمُ أَمْرٍ مِمَّا سَمِعْتُ مِنْ تَعْبِيرِهِمْ لِرُؤْيَايَ وَأَخْشَى أَنْ يُغْصَبَ مِنِّي مُلْكِي أَوْ أَنْ أُغْلَبَ عَلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ ٱلْحَكِيمُ إِنْ شِئْتَ قَصَصْتَ عَلَيَّ أَحْلَامَكَ وَإِنْ شِئْتَ قَصَصْتُهَا عَلَيْكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِمَا رَأَيْتَ جَمِيعِهِ. قَالَ ٱلْمَلِكُ بَلْ مِنْ فِيكَ أَحْسَنُ. قَالَ ٱلْحَكِيمُ لَا يَحْزُنْكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ هٰذَا ٱلْأَمْرُ وَلَا تَخَفْ مِنْهُ * أَمَّا ٱلسَّمَكَتَانِ ٱلْحَمْرَاوَانِ ٱللَّتَانِ رَأَيْتَهُمَا قَائِمَتَيْنِ عَلَى ذَنَبِهِمَا فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ رَسُولٌ مِنْ مَلِكِ هَيْمُونَ بِعِقْدَيْنِ مُكَلَّلَيْنِ بِٱلدُّرِّ وَٱلْيَاقُوتِ ٱلْأَحْمَرِ قِيمَتُهُمَا أَرْبَعَةُ آلَافِ رَطْلٍ مِنْ ذَهَبٍ فَيَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ * وَأَمَّا ٱلْوَزَّتَانِ ٱللَّتَانِ رَأَيْتَهُمَا طَارَتَا مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِكَ فَوَقَعَتَا بَيْنَ يَدَيْكَ فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ بَلْخَ فَرَسَانِ لَيْسَ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِثْلُهُمَا فَيَقُومَانِ بَيْنَ يَدَيْكَ * وَأَمَّا ٱلْحَيَّةُ ٱلَّتِي رَأَيْتَهَا تَدِبُّ عَلَى رِجْلِكَ ٱلْيُسْرَى فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ صَنْجِينَ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِسَيْفٍ خَالِصِ ٱلْحَدِيدِ لَا يُوجَدُ مِثْلُهُ * وَأَمَّا ٱلدَّمُ ٱلَّذِي رَأَيْتَ كَأَنَّهُ خُضِبَ بِهِ جَسَدُكَ فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ كَازَرُونَ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِلِبَاسٍ مُعْجِبٍ يُسَمَّى حُلَّةَ أُرْجُوَانٍ يُضِيءُ فِي ٱلظُّلْمَةِ * وَأَمَّا

ما رأيت من غسلك جسمك بالماء فإنه يأتيك من ملك رهزين من يقوم بين يديك بثياب كتان من لباس الملوك * وأما ما رأيت من أنك على جبل أبيض فإنه يأتيك من ملك كيدور من يقوم بين يديك بفيل أبيض لا تلحقه الخيل * وأما ما رأيت على رأسك شبيهاً بالنار فإنه يأتيك من ملك الأرزن من يقوم بين يديك بإكليل من ذهب مكلل بالدر والياقوت * وأما الطائر الذي رأيته ضرب رأسك بمنقاره فلست مفسراً ذلك اليوم وليس بضارك فلا توجلن منه ولكن فيه بعض السخط والإعراض عما تحبه * فهذا تفسير رؤياك أيها الملك . وأما هذه البرد[1] والرسل فإنهم يأتونك بعد سبعة أيام جميعاً فيقومون بين يديك * فلما سمع الملك ذلك سجد لكباريون ورجع إلى منزله . فلما كان بعد سبعة أيام جاءت البشائر بقدوم الرسل فخرج الملك فجلس على التخت وأذن للأشراف وجاءته الهدايا كما أخبره كباريون الحكيم . فلما رأى الملك ذلك اشتد عجبه وفرحه من علم كباريون وقال ما وفقت حين قصصت رؤياي على البراهمة إذ أمروني بما أمروني به * ولولا

١ جمع بريد بمعنى رسول

أَنَّ ٱللهَ تعالى تداركني لهلكتُ وأَهلكتُ . وكذلك لا ينبغي لِأَحدٍ أَن يسمع إِلَّا من ٱلأَخلَّاء ذَوِي ٱلعقولِ . وإِنَّ إِيراخت أَشارت بالخيرِ فقبلتُهُ ورأَيتُ بِهِ ٱلنجاحَ فضعوا ٱلهديةَ بين يديها لتأْخذ منها ما ٱختارت . ثُمَّ قال لإِيلاذ خذِ ٱلإِكليلَ وٱلثياب وٱحملها وٱتبعني بها إِلى مجلس ٱلنساء ودعا ٱلملكُ إِيراخت وحورقناه أَكرم نسائِهِ بين يديهِ فقال لإِيلاذ دعِ ٱلكسوة وٱلإِكليل بين يدي إِيراخت لتأْخذ أَيها شاءت . ووُضعتِ ٱلهدايا بين يدي إِيراخت فأَخذت منها ٱلإِكليل وأَخذت حورقناه كسوة من أَفخرِ ٱلثياب وأَحسنها . وإِنَّ ٱلملكَ زار بعد ذلك إِيراخت فصنعت لهُ أَرزًا بحلاوةٍ فدخلت عليهِ بٱلصحفةِ وٱلإِكليلُ على رأْسها فعلمت حورقناهُ بذلك فغارت من إِيراخت فلبست تلك ٱلكسوة ومرَّت بين يدي ٱلملكِ وتلك ٱلثياب تضيء عليها مع نورِ وجهها كما تضيء ٱلشمسُ فلمَّا رآها ٱلملكُ أَعجبتهُ ثُمَّ ٱلتفت إِلى إِيراخت فقال إِنكِ جاهلةٌ حين أَخذتِ ٱلإِكليل وتركتِ ٱلكسوة ٱلتي ليس في خزائننا مثلها . فلمَّا سمعت إِيراخت مدح ٱلملكِ لحورقناه وثناءَهُ عليها

وَتَجْهِيلِهَا هِيَ وَذَمِّ رَأْيِهَا أَخَذَهَا مِنْ ذٰلِكَ ٱلْغَيْرَةُ وَٱلْغَيْظُ فَضَرَبَتْ بِٱلصَّحْفَةِ رَأْسَ ٱلْمَلِكِ فَسَالَ ٱلْأَرُزُّ عَلَى وَجْهِهِ وَكَانَ ذٰلِكَ تَمَامَ تَعْبِيرِ ٱلرُّؤْيَا ٱلَّتِي عَبَّرَهَا كَابَارِيُونُ. فَقَامَ ٱلْمَلِكُ مِنْ مَكَانِهِ وَدَعَا بِإِيلَاذَ وَقَالَ أَلَا تَرَى وَأَنَا مَلِكُ ٱلْعَالَمِ كَيْفَ حَقَّرَتْنِي هٰذِهِ ٱلْجَاهِلَةُ وَفَعَلَتْ بِي مَا تَرَى. فَٱنْطَلِقْ بِهَا وَٱقْتُلْهَا وَلَا تَرْحَمْهَا. فَخَرَجَ إِيلَاذُ مِنْ عِنْدِ ٱلْمَلِكِ وَقَالَ لَا أَقْتُلُهَا حَتَّى يَسْكُنَ عَنْهُ ٱلْغَضَبُ فَٱلْمَرْأَةُ عَاقِلَةٌ سَدِيدَةُ ٱلرَّأْيِ مِنَ ٱلْمَلِكَاتِ ٱلَّتِي لَيْسَ لَهَا عَدِيلٌ فِي ٱلنِّسَاءِ وَلَيْسَ ٱلْمَلِكُ بِصَابِرٍ عَنْهَا وَقَدْ خَلَّصَتْهُ مِنَ ٱلْمَوْتِ وَعَمِلَتْ أَعْمَالًا صَالِحَةً وَرَجَاؤُنَا فِيهَا عَظِيمٌ. وَلَسْتُ آمَنُهُ أَنْ يَقُولَ لِمَ لَمْ تُؤَخِّرْ قَتْلَهَا حَتَّى تُرَاجِعَنِي. فَلَسْتُ قَاتِلَهَا حَتَّى أَنْظُرَ رَأْيَ ٱلْمَلِكِ فِيهَا ثَانِيَةً فَإِنْ رَأَيْتُهُ نَادِمًا حَزِينًا عَلَى مَا فَعَلَ جِئْتُ بِهَا حَيَّةً وَكُنْتُ قَدْ عَمِلْتُ عَمَلًا عَظِيمًا وَأَنْجَيْتُ إِيرَاخْتَ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَحَفِظْتُ قَلْبَ ٱلْمَلِكِ وَٱتَّخَذْتُ عِنْدَ عَامَّةِ ٱلنَّاسِ بِذٰلِكَ يَدًا. وَإِنْ رَأَيْتُهُ فَرِحًا مُسْتَرِيحًا مُصَوِّبًا رَأْيَهُ فِي ٱلَّذِي فَعَلَهُ فَقَتْلُهَا لَا يَفُوتُ. ثُمَّ ٱنْطَلَقَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ وَوَكَّلَ بِهَا خَادِمًا مِنْ أُمَنَائِهِ وَأَمَرَهُ بِخِدْمَتِهَا وَحِرَاسَتِهَا حَتَّى يَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِ ٱلْمَلِكِ.

ثُمَّ خَضَبَ سَيْفَهُ بِالدَّمِ وَدَخَلَ عَلَى ٱلْمَلِكِ كَالْكَئِيبِ ٱلْحَزِينِ فَقَالَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ أَمْرَكَ فِي إِيرَاخْتَ. فَلَمْ يَلْبَثِ ٱلْمَلِكُ أَنْ سَكَنَ عَنْهُ ٱلْغَضَبُ وَذَكَرَ جَمَالَ إِيرَاخْتَ وَفَضْلَهَا وَٱشْتَدَّ أَسَفُهُ عَلَيْهَا وَجَعَلَ يُعَزِّي نَفْسَهُ عَنْهَا وَيَتَجَلَّدُ وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ يَسْتَحِي أَنْ يَسْأَلَ إِيلَاذَ أَحَقًّا أَمْضَى أَمْرَهُ فِيهَا أَمْ لَا وَرَجَا لِمَا عَرَفَ مِنْ عَقْلِ إِيلَاذَ أَنْ لَا يَكُونَ قَدْ فَعَلَ ذٰلِكَ. وَنَظَرَ إِلَيْهِ إِيلَاذُ بِفَضْلِ عَقْلِهِ فَعَلِمَ ٱلَّذِي بِهِ فَقَالَ لَهُ لَا تَهْتَمَّ وَلَا تَحْزَنْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي ٱلْهَمِّ وَٱلْحُزْنِ مَنْفَعَةٌ وَلٰكِنَّهُمَا يُنْحِلَانِ ٱلْجِسْمَ وَيُفْسِدَانِهِ. فَٱصْبِرْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ عَلَى مَا لَسْتَ بِقَادِرٍ عَلَيْهِ أَبَدًا. وَإِنْ أَحَبَّ ٱلْمَلِكُ أَنْ أُحَدِّثَهُ بِحَدِيثٍ يُسَلِّيهِ. قَالَ حَدِّثْنِي

قَالَ إِيلَاذُ زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَتَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى مَلَأَا عُشَّهُمَا مِنَ ٱلْحِنْطَةِ وَٱلشَّعِيرِ. فَقَالَ ٱلذَّكَرُ لِلْأُنْثَى إِنَّا إِذَا وَجَدْنَا فِي ٱلصَّحَارَى مَا نَعِيشُ بِهِ فَلَسْنَا نَأْكُلُ مِمَّا هٰهُنَا شَيْئًا. فَإِذَا جَاءَ ٱلشِّتَاءُ وَلَمْ يَكُنْ فِي ٱلصَّحَارَى شَيْءٌ رَجَعْنَا إِلَى مَا فِي عُشِّنَا فَأَكَلْنَاهُ. فَرَضِيَتِ ٱلْأُنْثَى بِذٰلِكَ وَقَالَتْ لَهُ نِعِمَّا رَأَيْتَ. وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْحَبُّ نَدِيًّا حِينَ وَضَعَاهُ فِي عُشِّهِمَا. فَٱنْطَلَقَ ٱلذَّكَرُ فَغَابَ. فَلَمَّا جَاءَ

ٱلصَّيْفُ يَبِسَ ٱلْحَبُّ وَتَضَمَّرَ . فَلَمَّا رَجَعَ ٱلذَّكَرُ رَأَى ٱلْحَبَّ نَاقِصًا . فَقَالَ لَهَا أَلَيْسَ كُنَّا جَمَعْنَا رَأْيَنَا عَلَى أَنْ لَا نَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئًا فَلِمَ أَكَلْتِهِ . فَجَعَلَتْ تَحْلِفُ أَنَّهَا مَا أَكَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا وَجَعَلَتْ تَتَنَصَّلُ إِلَيْهِ فَلَمْ يُصَدِّقْهَا وَجَعَلَ يَنْقُرُهَا حَتَّى مَاتَتْ . فَلَمَّا جَاءَتِ ٱلْأَمْطَارُ وَدَخَلَ ٱلشِّتَاءُ تَنَدَّى ٱلْحَبُّ وَٱمْتَلَأَ ٱلْعُشُّ كَمَا كَانَ . فَلَمَّا رَأَى ٱلذَّكَرُ ذٰلِكَ نَدِمَ . ثُمَّ ٱضْطَجَعَ إِلَى جَانِبِ حَمَامَتِهِ وَقَالَ مَا يَنْفَعُنِي ٱلْحَبُّ وَٱلْعَيْشُ بَعْدَكِ إِذَا طَلَبْتُكِ فَلَمْ أَجِدْكِ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْكِ . وَإِذَا فَكَّرْتُ فِي أَمْرِكِ وَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُكِ وَلَا أَقْدِرُ عَلَى تَدَارُكِ مَا فَاتَ . ثُمَّ ٱسْتَمَرَّ عَلَى حُزْنِهِ فَلَمْ يَطْعَمْ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا حَتَّى مَاتَ إِلَى جَانِبِهَا * وَٱلْعَاقِلُ لَا يَعْجَلُ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلْعُقُوبَةِ وَلَا سِيَّمَا مَنْ يَخَافُ ٱلنَّدَامَةَ كَمَا نَدِمَ ٱلْحَمَامُ ٱلذَّكَرُ * وَقَدْ سَمِعْتُ أَيْضًا أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ ٱلْجَبَلَ وَعَلَى رَأْسِهِ طَبَقٌ مِنَ ٱلْعَدَسِ فَوَضَعَ ٱلطَّبَقَ عَلَى ظَهْرِهِ لِيَسْتَرِيحَ . فَنَزَلَ قِرْدٌ مِنْ شَجَرَةٍ فَأَخَذَ مِلْءَ كَفِّهِ مِنَ ٱلْعَدَسِ وَصَعِدَ إِلَى ٱلشَّجَرَةِ . فَسَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ حَبَّةٌ فَنَزَلَ فِي طَلَبِهَا فَلَمْ يَجِدْهَا وَٱنْتَثَرَ مَا كَانَ فِي يَدِهِ مِنَ ٱلْعَدَسِ أَجْمَعُ * وَأَنْتَ أَيْضًا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ عِنْدَكَ نِسَاءٌ[1] كَثِيرَةٌ

١ نسرا

تَدَعُهُنَّ وَتَطْلُبُ ٱلَّتِي لَا تَجِدُ * فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ خَشِيَ أَنْ تَكُونَ إِيرَاخْتُ قَدْ هَلَكَتْ فَقَالَ أَيُّهَا إِيلَاذُ مِنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فَعَلْتَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ مِنْ سَاعَتِكَ وَتَعَلَّقْتَ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ كَانَ مِنِّي وَلَمْ تَتَثَبَّتْ فِي ٱلْأَمْرِ. قَالَ إِيلَاذُ إِنَّ ٱلَّذِي قَوْلُهُ وَاحِدٌ لَا يَخْتَلِفُ هُوَ ٱللّٰهُ ٱلَّذِي لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَا ٱخْتِلَافَ لِقَوْلِهِ * قَالَ ٱلْمَلِكُ لَقَدْ أَفْسَدْتَ أَمْرِي وَشَدَّدْتَ حُزْنِي بِقَتْلِ إِيرَاخْتَ. قَالَ إِيلَاذُ ٱثْنَانِ يَنْبَغِي لَهُمَا أَنْ يَحْزَنَا ٱلَّذِي يَعْمَلُ ٱلْإِثْمَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَٱلَّذِي لَا يَعْمَلُ ٱلْخَيْرَ قَطُّ. لِأَنَّ فَرَحَهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا وَنَعِيمَهَا قَلِيلٌ وَنَدَامَتَهُمَا إِذَا يُعَايِنَانِ ٱلْجَزَاءَ طَوِيلَةٌ لَا يُسْتَطَاعُ إِحْصَاؤُهَا * قَالَ ٱلْمَلِكُ لَئِنْ رَأَيْتُ إِيرَاخْتَ حَيَّةً لَا أَحْزَنُ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا. قَالَ إِيلَاذُ ٱثْنَانِ لَا يَنْبَغِي لَهُمَا أَنْ يَحْزَنَا ٱلْمُجْتَهِدُ فِي ٱلْبِرِّ كُلَّ يَوْمٍ وَٱلَّذِي لَمْ يَأْثَمْ قَطُّ * قَالَ ٱلْمَلِكُ مَا أَنَا بِنَاظِرٍ إِلَى إِيرَاخْتَ أَكْثَرَ مِمَّا نَظَرْتُ. قَالَ إِيلَاذُ ٱثْنَانِ لَا يَنْظُرَانِ ٱلْأَعْمَى وَٱلَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ. وَكَمَا أَنَّ ٱلْأَعْمَى لَا يَنْظُرُ ٱلسَّمَاءَ وَنُجُومَهَا وَلَا يَنْظُرُ ٱلْبُعْدَ وَٱلْقُرْبَ كَذٰلِكَ ٱلَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ لَا يَعْرِفُ ٱلْحَسَنَ مِنَ ٱلْقَبِيحِ وَلَا ٱلْمُحْسِنَ مِنَ ٱلْمُسِيءِ * قَالَ ٱلْمَلِكُ لَوْ رَأَيْتُ إِيرَاخْتَ

١ كلمة استكفاف

لاشتد فرحي . قال إِيلاذُ اثنان هما الفرحان البصيرُ والعالمُ .
فكما أَنّ البصير يبصر أُمور العالم وما فيه من الزيادة والنقصان
والبعيد والقريب . فكذلك العالم يبصر البرّ والاثم ويعرف
اعمال الآخرة ويتبيّن له نجاته ويهدى إِلى صراط مستقيم .
قال الملك إِني لم أَشتف من النظر الى إِيراخت بعدُ . قال
إِيلاذُ اثنان لا يشتفيان أَبدا من يكون همّه . جمع المال
والادخاره ومن يأمل ما لا يقدر عليه ويسأَل ما لا يجدُ * قال
الملك ينبغي لنا أَن نتباعد منك يا إِيلاذ ونأخذ الحذر ونلزم
الاتّقاء . قال إِيلاذ اثنان ينبغي أَن يتباعد منهما الذي يقول
لا برّ ولا إِثم ولا عقاب ولا ثواب ولا شيء عليّ مما أَنا فيه .
والذي لا يكاد يصرف بصره عما ليس له بمحلّ ولا أُذنه عن
استماع السوء ولا نفسه عن نساء غيره ولا قلبه عما تهمّ به نفسه
من الإِثم والحرص * قال الملك صارت يدي من إِيراخت
صفراً[1] . قال إِيلاذ اربعة أَشياء أَصفار النهر الذي ليس فيه
ماء والارض التي ليس فيها ملك والمرأة التي ليس لها بعل .
والجاهل الذي لا يعرف الخير من الشرّ * قال الملك إِنك يا

[1] فارغة

إيلاذُ لِتَلَقّي ٱلجَوابَ[١] . قالَ إيلاذُ ثلاثةٌ يَلْقَوْنَ ٱلجَوابَ ٱلمَلِكُ ٱلَّذي يُعْطي وَيَقْسِمُ مِنْ خَزائِنِهِ وَٱلمَرْأَةُ ٱلمُهْداةُ إِلى مَنْ تَهْوى مِنْ ذَوي ٱلحَسَبِ وَٱلرَّجُلُ ٱلعالِمُ ٱلمُوَفَّقُ لِلْخَيْرِ * قالَ ٱلمَلِكُ أَهْلَكْتَ إيراخْتَ يا إيلاذُ بِغَيْرِ حَقٍّ . قالَ إيلاذُ ثلاثةٌ هُمُ ٱلزّائِغونَ عَنِ ٱلحَقِّ ٱلَّذي يَلْبَسُ ٱلثِّيابَ ٱلبِيضَ ثُمَّ يَنْفُخُ بِٱلكِيرِ[٢] فَيُسَوِّدُها بِٱلدُّخانِ . وَٱلقَصّارُ ٱلَّذي يَلْبَسُ ٱلجَوْرَبَيْنِ[٣] ٱلجَديدَيْنِ وَرِجْلاهُ أَبَدًا في ٱلماءِ . وَٱلَّذي يَقْتَني ٱلفَرَسَ ٱلكَريمَ لِلرُّكوبِ ثُمَّ يَلْتَهي عَنْهُ فَلا يَرْكَبُهُ فَيَبْطَرُ[٤] * قالَ ٱلمَلِكُ لَيْتَني أَنْظُرُ إِلى إيراخْتَ قَبْلَ فِراقِ ٱلدُّنْيا . قالَ إيلاذُ ٱلَّذينَ يَطْلُبونَ ما لا يَقْدِرونَ عَلَيْهِ ثلاثةٌ . مَنْ لا وَرَعَ لَهُ وَهُوَ يَرْتَجي ثَوابَ ٱلأَبْرارِ . وَٱلبَخيلُ ٱلَّذي يَلْتَمِسُ بِبُخْلِهِ أَنْ يَنالَ مَنْزِلَةَ ٱلسَّخِيِّ . وَٱلفاجِرُ ٱلَّذي يَسْفِكُ ٱلدِّماءَ وَيَأْمُلُ أَنَّ روحَهُ مِنْ أَرْواحِ ٱلشُّهَداءِ * قالَ ٱلمَلِكُ أَنا ٱلَّذي جَنَيْتُ عَلى نَفْسي وَجَرَرْتُ ٱلبَلاءَ إِلَيْها . قالَ إيلاذُ أُولئِكَ في ٱلنّاسِ خَمْسَةٌ ٱلَّذي يَتَعَرَّضُ لِلْقِتالِ وَهُوَ أَعْزَلُ[٥] . وَٱلبَخيلُ يَجْمَعُ مالَهُ في مَنْزِلِهِ وَلا أَحَدَ مَعَهُ فَيَقْصِدُهُ ٱللُّصوصُ فَيَقْتُلونَهُ وَيَأْخُذونَ مالَهُ .

١ تلهمة ٢ الزق الذي ينفخ فيه الحداد ٣ الجورب ما يلبس في الرجل قبل النعل
٤ بدون سلاح

وَٱلْكَبِيرُ يَخْطُبُ ٱلصَّغِيرَةَ. وَٱلْقَبِيحُ يَخْطُبُ ٱلْجَمِيلَةَ. وَٱلْمَرْأَةُ ٱلَّتِي تُحِبُّ وَلَدَهَا وَهُوَ شَاطِرٌ[١] خَبِيثٌ فَهِيَ تَسْتُرُ أُمُورَهُ وَتُخْفِيهَا ثُمَّ هُوَ يَكُونُ تَعَبًا لَهَا وَوَبَالًا عَلَيْهَا * قَالَ ٱلْمَلِكُ لَقَدْ وَضَعْتُ ٱلْأَمْرَ غَيْرَ مَوْضِعِهِ فِي قَتْلِي إِيرَاخْتَ. قَالَ إِيلَاذُ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ ثَلَاثَةٌ. وَهُمُ ٱلطَّائِرُ ٱلَّذِي يَرْفَعُ رِجْلَيْهِ نَحْوَ ٱلسَّمَاءِ خَوْفًا مِنْ سُقُوطِهَا عَلَيْهِ. وَٱلْكُرْكِيُّ ٱلَّذِي يَقُومُ عَلَى رِجْلٍ وَاحِدَةٍ وَلَا يَضَعُ ٱلثَّانِيَةَ عَلَى ٱلْأَرْضِ خَوْفَ أَنْ يَخْسِفَهَا. وَٱلْغَنِيُّ ٱلْبَخِيلُ إِذَا أَكَلَ لَا يَشْبَعُ يَخَافُ عَلَى مَالِهِ مِنَ ٱلنَّفَادِ كَٱلْخَرَاطِينِ[٢] ٱلَّتِي طَعَامُهَا ٱلتُّرَابُ تَقْصِدُ ٱلْإِقْلَالَ مِنَ ٱلْأَكْلِ مِنْهُ لِئَلَّا يَنْفَدَ وَيَفْنَى وَكَٱلْكَلْبِ ٱلَّذِي يَلَغُ مِنَ ٱلنَّهْرِ بِلِسَانِهِ وَلَا يَعُبُّ[٣] مِنْهُ حَذَرًا أَنْ يَجِفَّ. وَٱلْخُفَّاشُ ٱلَّذِي يَطِيرُ بِٱللَّيْلِ لَا يَفْعَلُ ذٰلِكَ بِٱلنَّهَارِ مَخَافَةَ أَنْ يَصْطَادَهُ ٱلنَّاسُ لِحُسْنِهِ وَهُوَ أَقْبَحُ ٱلطَّيْرِ. قَالَ ٱلْمَلِكُ لَمْ أَحْزَنْ قَطُّ حُزْنِي عَلَى إِيرَاخْتَ. قَالَ إِيلَاذُ خَمْسَةُ أَشْيَاءٍ إِذَا كُنَّ فِي ٱلْمَرْأَةِ كَانَتْ أَهْلًا أَنْ يُحْزَنَ عَلَيْهَا. إِذَا كَانَتْ عَفِيفَةً. كَرِيمَةَ ٱلْحَسَبِ وَٱلنَّسَبِ. عَاقِلَةً. جَمِيلَةً. مُوَافِقَةً لِزَوْجِهَا مُحِبَّةً لَهُ * قَالَ ٱلْمَلِكُ لَيْسَ تَأْخُذُنِي سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ مِنْ حُزْنِي

١ الشاطر من اعيا اهله خبثا ٢ الديدان الحمر التي تكون في التراب الندى ٣ العب شرب الدواب

على إبراخت. قال إيلاذ اثنان لا يهجعان ولا يستريحان الكثير المال وليس له خازن ولا أمين. والشديد المرض ولا طبيب له
ثم إن إيلاذ لما رأى الملك قد اشتد به الأمر سكت فقال له الملك ما بالك يا إيلاذ سكت. قال أيها الملك إني قد تطاولت عليك فيما امتحنتك به إرادة أن أعلم ما آل إليه أمرك في إبراخت وأني قد تجاوزت طوري[1] في ذلك وبان لي من حلمك وعقلك ما أذهلني إذ لم يبد منك مع ما اجترأت به عليك شيء من الغضب ولا تغيرت عن حالك. وها انا شاكر لعفوك وصفحك وتجاوزك عني وإن لم يكن ذلك مني إلا نصحًا للملك واستطلاعًا لأمره[2] فاعف عني إن شئت أو فعاقبني بما تراه فإن إبراخت بالحياة. فلما سمع الملك ذلك اشتد فرحه وقال يا إيلاذ إنما منعني من الغضب ما أعرف من نصيحتك وصدق حديثك وكنت أرجو لمعرفتي بعلمك ان لا تكون قد قتلت إبراخت. فإنها وإن تكن أتت عظيمًا وأغلظت في القول لم تأته عداوة ولا طلب مضرة ولكنها فعلت ذلك للغيرة. وقد كان ينبغي لي أن أعرض عن ذلك وأحتمله. ولكنك يا إيلاذ أردت أن

[1] قدري [2] طلبًا للاطلاع عليه

تُخْبِرَنِي وَتَتْرُكَنِي فِي شَكٍّ مِنْ أَمْرِهَا. وَقَدِ ٱتَّخَذْتَ عِنْدِي أَفْضَلَ ٱلْأَيَادِي وَأَنَا لَكَ شَاكِرٌ فَٱنْطَلِقْ فَأْتِنِي بِهَا. فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِ ٱلْمَلِكِ فَأَتَى إِيرَاخْتَ وَأَمَرَهَا أَنْ تَتَزَيَّنَ فَفَعَلَتْ ذٰلِكَ وَٱنْطَلَقَ بِهَا فَلَمَّا دَخَلَتْ سَجَدَتْ لِلْمَلِكِ ثُمَّ قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَتْ أَحْمَدُ ٱللّٰهَ تَعَالَى ثُمَّ أَحْمَدُ ٱلْمَلِكَ ٱلَّذِي أَحْسَنَ إِلَيَّ. قَدْ أَذْنَبْتُ ٱلذَّنْبَ ٱلْعَظِيمَ ٱلَّذِي لَمْ أَكُنْ لِلْبَقَاءِ أَهْلًا بَعْدَهُ فَوَسِعَهُ حِلْمُهُ وَكَرَمُ طَبْعِهِ وَرَأْفَتُهُ. ثُمَّ أَحْمَدُ إِيلَاذَ ٱلَّذِي أَخَّرَ أَمْرِي وَأَنْجَانِي مِنَ ٱلْهَلَكَةِ لِعِلْمِهِ بِرَأْفَةِ ٱلْمَلِكِ وَسَعَةِ حِلْمِهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِ جَوْهَرِهِ وَوَفَاءِ عَهْدِهِ. وَقَالَ ٱلْمَلِكُ لِإِيلَاذَ مَا أَعْظَمَ يَدَكَ عِنْدِي وَعِنْدَ إِيرَاخْتَ وَعِنْدَ ٱلْعَامَّةِ إِذْ قَدْ أَحْيَيْتَهَا بَعْدَ مَا أَمَرْتُ بِقَتْلِهَا. فَأَنْتَ ٱلَّذِي وَهَبْتَهَا لِيَ ٱلْيَوْمَ فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ وَاثِقًا بِنَصِيحَتِكَ وَتَدْبِيرِكَ وَقَدِ ٱزْدَدْتَ ٱلْيَوْمَ عِنْدِي كَرَامَةً وَتَعْظِيمًا. وَأَنْتَ مُحَكَّمٌ فِي مُلْكِي تَعْمَلُ فِيهِ بِمَا تَرَى وَتَحْكُمُ عَلَيْهِ بِمَا تُرِيدُ فَقَدْ جَعَلْتُ ذٰلِكَ إِلَيْكَ وَوَثِقْتُ بِكَ. قَالَ إِيلَاذُ دَامَ ٱللّٰهُ لَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْمُلْكَ وَٱلسُّرُورَ فَلَسْتُ بِمَحْمُودٍ عَلَى ذٰلِكَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ. لٰكِنَّ حَاجَتِي أَنْ لَا يَعْجَلَ ٱلْمَلِكُ فِي ٱلْأَمْرِ ٱلْجَسِيمِ ٱلَّذِي يَنْدَمُ عَلَى فِعْلِهِ

وَتكُونُ عاقِبَتُهُ ٱلْغَمَّ وَٱلْحُزْنَ وَلاسِيَّما فِي مِثْلِ هٰذِهِ ٱلْمَرْأَةِ ٱلنَّاصِحَةِ ٱلْمُشْفِقَةِ ٱلَّتِي لا يُوجَدُ فِي ٱلْأَرْضِ مِثْلُها. فَقالَ ٱلْمَلِكُ بِحَقٍّ قُلْتَ يا إِيلاذُ وَقَدْ قَبِلْتُ قَوْلَكَ وَلَسْتُ عامِلاً بَعْدَها عَمَلاً صَغِيراً وَلا كَبِيراً فَضْلاً عَنْ مِثْلِ هٰذا ٱلْأَمْرِ ٱلْعَظِيمِ ٱلَّذِي سَلِمْتُ مِنْهُ إِلَّا بَعْدَ ٱلْمُؤَامَرَةِ وَٱلنَّظَرِ وَٱلتَّرَدُّدِ وَمُشاوَرَةِ أَهْلِ ٱلْمَوَدَّةِ وَٱلرَّأْيِ

ثُمَّ أَحْسَنَ ٱلْمَلِكُ جائِزَةَ إِيلاذَ وَمَكَّنَهُ مِنْ أُولَئِكَ ٱلْبَراهِمَةِ ٱلَّذِينَ أَشارُوا بِقَتْلِ أَحْبابِهِ فَأَطْلَقَ فِيهِمِ ٱلسَّيْفَ وَقَرَّتْ عَيْنُ ٱلْمَلِكِ وَعُيُونُ عُظَماءِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ وَحَمِدُوا ٱللهَ وَأَثْنَوْا عَلَى كَبارِيُونَ لِسَعَةِ عِلْمِهِ وَفَضْلِ حِكْمَتِهِ لِأَنَّ بِعِلْمِهِ خَلَصَ ٱلْمَلِكُ وَوَزِيرُهُ ٱلصَّالِحُ وَٱمْرَأَتُهُ ٱلصَّالِحَةُ

بابُ
ٱللَّبُوَةِ وَٱلْإِسْوارِ وَٱلشَّعْهَرِ

قالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلاً فِي شَأْنِ مَنْ يَدَعُ ضَرَّ غَيْرِهِ إِذا قَدَرَ عَلَيْهِ بِما

يُصِيبُهُ مِنَ ٱلضَّرَرِ وَيَكُونُ لَهُ مِمَّا يَنْزِلُ بِهِ وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ عَنِ ٱرْتِكَابِ ٱلظُّلْمِ وَٱلْعَدَاوَةِ لِغَيْرِهِ ❊ قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ إِنَّهُ لَا يُقْدِمُ عَلَى طَلَبِ مَا يَضُرُّ بِٱلنَّاسِ وَمَا يَسُوءُهُمْ إِلَّا أَهْلُ ٱلْجَهَالَةِ وَٱلسَّفَهِ وَسُوءِ ٱلنَّظَرِ فِي ٱلْعَوَاقِبِ مِنْ أُمُورِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَقِلَّةِ ٱلْعِلْمِ بِمَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ فِي ذٰلِكَ مِنْ حُلُولِ ٱلنِّقْمَةِ وَبِمَا يَلْزَمُهُمْ مِنْ تَبِعَةِ مَا ٱكْتَسَبُوا مِمَّا لَا تُحِيطُ بِهِ ٱلْعُقُولُ. وَإِنْ سَلِمَ بَعْضُهُمْ مِنْ ضَرَرِ بَعْضٍ بِٱتِّفَاقٍ عَرَضَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ وَبَالُ مَا صَنَعَ لَمْ يَسْلَمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يُفَكِّرْ فِي ٱلْعَوَاقِبِ لَمْ يَأْمَنِ ٱلْمَصَائِبَ وَكَانَ حَقِيقًا أَنْ لَا يَسْلَمَ مِنَ ٱلْمَعَاطِبِ. وَرُبَّمَا ٱتَّعَظَ ٱلْجَاهِلُ وَٱعْتَبَرَ بِمَا يُصِيبُهُ مِنَ ٱلْمَضَرَّةِ مِنَ ٱلْغَيْرِ فَٱرْتَدَعَ عَنْ أَنْ يَغْشَى أَحَدًا بِمِثْلِ ذٰلِكَ مِنَ ٱلظُّلْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَحَصَلَ لَهُ نَفْعُ مَا كَفَّ عَنْهُ مِنْ ضَرَرِهِ لِغَيْرِهِ فِي ٱلْعَاقِبَةِ. وَمِثْلُ ذٰلِكَ حَدِيثُ ٱللَّبُوَةِ وَٱلْإِسْوَارِ وَٱلشَّعْهَرِ. قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّ لَبُوَةً[١] كَانَتْ فِي غَيْضَةٍ وَلَهَا وَإِنَّهَا خَرَجَتْ فِي طَلَبِ ٱلصَّيْدِ وَخَلَّفَتْهُمَا فِي كَهْفِهِمَا شِبْلَانِ[٢]

١ انثى الاسد ٢ الشبل ابن الاسد

فَمَرَّ بِهِمَا إِسْوَارٌ فَحَمَلَ[1] عَلَيْهِمَا وَرَمَاهُمَا فَقَتَلَهُمَا وَسَلَخَ جِلْدَيْهِمَا فَٱحْتَقَبَهُمَا[2] وَٱنْصَرَفَ بِهِمَا إِلَى مَنْزِلِهِ. ثُمَّ إِنَّهَا رَجَعَتْ فَلَمَّا رَأَتْ مَا حَلَّ بِهِمَا مِنَ ٱلْأَمْرِ ٱلْفَظِيعِ ٱضْطَرَبَتْ ظَهْرًا لِبَطْنٍ وَصَاحَتْ وَضَجَّتْ. وَكَانَ إِلَى جَنْبِهَا شَعْهَرٌ فَلَمَّا سَمِعَ ذٰلِكَ مِنْ صِيَاحِهَا قَالَ لَهَا مَا هٰذَا ٱلَّذِي تَصْنَعِينَ وَمَا نَزَلَ بِكِ أَخْبِرِينِي بِهِ. قَالَتِ ٱللَّبُوَةُ شِبْلَايَ مَرَّ بِهِمَا إِسْوَارٌ فَقَتَلَهُمَا وَسَلَخَ جِلْدَيْهِمَا فَٱحْتَقَبَهُمَا وَنَبَذَهُمَا[3] فِي ٱلْعَرَاءِ[4]. قَالَ لَهَا ٱلشَّعْهَرُ لَا تَضِجِّي وَأَنْصِفِي مِنْ نَفْسِكِ[5] وَٱعْلَمِي أَنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ مُكَافَأَةٍ فَفَاعِلُ ٱلْخَيْرِ يَجِدُهُ وَفَاعِلُ ٱلشَّرِّ يَجْنِي ثَمَرَهُ. وَإِنَّ هٰذَا ٱلْإِسْوَارَ لَمْ يَأْتِ إِلَيْكِ شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ كُنْتِ تَفْعَلِينَ بِغَيْرِكِ مِثْلَهُ وَتَأْتِينَ مِثْلَ ذٰلِكَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِمَّنْ كَانَ يَجِدُ بِحَمِيمِهِ[6] وَمَنْ يَعِزُّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا تَجِدِينَ بِشِبْلَيْكِ فَٱصْبِرِي مِنْ غَيْرِكِ عَلَى مَا صَبَرَ غَيْرُكِ عَلَيْهِ مِنْكِ. فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ وَلِكُلِّ عَمَلٍ ثَمَرَةٌ مِنَ ٱلثَّوَابِ وَٱلْعِقَابِ وَهُمَا عَلَى قَدْرِهِ فِي ٱلْكَثْرَةِ وَٱلْقِلَّةِ كَٱلزَّرْعِ إِذَا حَضَرَ ٱلْحَصَادُ أَعْطَى عَلَى حَسَبِ بَذْرِهِ. قَالَتِ ٱللَّبُوَةُ بَيِّنْ لِي مَا تَقُولُ وَأَفْصِحْ لِي عَنْ إِشَارَتِهِ.

---

١ عطف وهجم ١ ربطها خلفه على ركوبته ٣ طرحها ٤ الفضاء ٥ خذي حقك منها ٦ الحميم القريب الذي يهتم لامره

قَالَ ٱلشَّعْهَرُ كَمْ أَتَى لَكِ مِنَ ٱلْعُمْرِ قَالَتِ ٱللَّبُوَةُ كَذَا وَكَذَا سَنَةً. فَقَالَ ٱلشَّعْهَرُ مَا كَانَ قُوتُكِ فِيهِ. قَالَتِ ٱللَّبُوَةُ لَحْمَ ٱلْوَحْشِ. قَالَ ٱلشَّعْهَرُ وَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكِ إِيَّاهُ قَالَتِ ٱللَّبُوَةُ كُنْتُ أَصِيدُ ٱلْوَحْشَ وَآكُلُهُ. قَالَ ٱلشَّعْهَرُ أَرَأَيْتِ ٱلْوُحُوشَ ٱلَّتِي كُنْتِ تَأْكُلِينَ أَمَا كَانَ لَهَا آبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ. قَالَتْ بَلَى. قَالَ ٱلشَّعْهَرُ فَمَا بَالِي لَا أَرَى وَلَا أَسْمَعُ لِأُولَئِكَ ٱلْآبَاءِ وَٱلْأُمَّهَاتِ مِنَ ٱلْجَزَعِ مَا أَرَى وَأَسْمَعُ لَكِ. أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بِكِ مَا نَزَلَ إِلَّا لِسُوءِ نَظَرِكِ فِي ٱلْعَوَاقِبِ وَقِلَّةِ تَفَكُّرِكِ فِيهَا وَجَهَالَتِكِ بِمَا يَرْجِعُ عَلَيْكِ مِنْ ضَرِّهَا. فَلَمَّا سَمِعَتِ ٱللَّبُوَةُ ذٰلِكَ مِنْ كَلَامِ ٱلشَّعْهَرِ عَرَفَتْ أَنَّ ذٰلِكَ مِمَّا جَنَتْ عَلَى نَفْسِهَا وَأَنَّ عَمَلَهَا كَانَ جَوْرًا وَظُلْمًا فَتَرَكَتِ ٱلصَّيْدَ وَٱنْصَرَفَتْ عَنْ أَكْلِ ٱللَّحْمِ إِلَى أَكْلِ ٱلثِّمَارِ وَٱلنُّسْكِ وَٱلْعِبَادَةِ. فَلَمَّا رَأَى ذٰلِكَ وَرَشَانٌ[1] كَانَ صَاحِبَ تِلْكَ ٱلْغَيْضَةِ وَكَانَ عَيْشُهُ مِنَ ٱلثِّمَارِ قَالَ لَهَا قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ ٱلشَّجَرَ عَامَنَا هٰذَا لَمْ تَحْمِلْ لِقِلَّةِ ٱلْمَاءِ فَلَمَّا أَبْصَرْتُكِ تَأْكُلِينَهَا وَأَنْتِ آكِلَةُ ٱللَّحْمِ فَتَرَكْتِ رِزْقَكِ وَطَعَامَكِ وَمَا قَسَمَ ٱللهُ لَكِ وَتَحَوَّلْتِ إِلَى رِزْقِ غَيْرِكِ فَٱنْتَقَصْتِهِ[2] وَدَخَلْتِ عَلَيْهِ فِيهِ عَلِمْتُ أَنَّ ٱلشَّجَرَ ٱلْعَامَ

١ طائر ٢ اي اخذت منه

أثمرت كما كانت تثمر قبل اليوم وإنما أتت قلة الثمر من جهتك. فويل للشجر وويل للثمار وويل لمن عيشهم منها ما أسرع هلاكهم إذا دخل عليهم في أرزاقهم وغلبهم عليها من ليس له فيها حظ ولم يكن معتادا لأكلها. فلما سمعت اللبوة ذلك من كلام الورشان تركت أكل الثمار وأقبلت على أكل العشب والعبادة *

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الجاهل ربما انصرف بضر يصيبه عن ضر الناس كاللبوة التي انصرفت لما لقيت في شبليها عن أكل اللحم ثم عن أكل الثمار بقول الورشان وأقبلت على النسك والعبادة

والناس أحق بحسن النظر في ذلك فإنه قد قيل ما لا ترضاه لنفسك لا تصنعه لغيرك فإن في ذلك العدل وفي العدل رضى الله تعالى ورضى الناس

باب
الناسك والضيف

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل

فَٱضْرِبْ لِي مَثَلَ ٱلَّذِي يَدَعُ صَنْعَةُ ٱلَّذِي يَلِيقُ بِهِ وَيَشَا كِلُهُ وَيَطْلُبُ غَيْرَهُ فَلَا يُدْرِكُهُ وَيَرْجِعُ إِلَى ٱلَّذِي كَانَ عَلَيْهِ فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَيَبْقَى حَيْرَانَ مُتَرَدِّدًا

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ ٱلْكَرْخِ نَاسِكٌ عَابِدٌ مُجْتَهِدٌ . فَنَزَلَ بِهِ ضَيْفٌ ذَاتَ يَوْمٍ فَدَعَا ٱلنَّاسِكُ لِضَيْفِهِ بِتَمْرٍ لِيُطْرِفَهُ[1] بِهِ فَأَكَلَا مِنْهُ جَمِيعًا . ثُمَّ قَالَ ٱلضَّيْفُ مَا أَحْلَى هٰذَا ٱلتَّمْرَ وَأَطْيَبَهُ فَلَيْسَ هُوَ فِي بِلَادِي ٱلَّتِي أَسْكُنُهَا وَلَيْتَهُ كَانَ فِيهَا . ثُمَّ قَالَ أَرَى أَنْ تُسَاعِدَنِي عَلَى أَنْ آخُذَ مِنْهُ مَا أَغْرِسُهُ فِي أَرْضِنَا فَإِنِّي لَسْتُ عَارِفًا بِثِمَارِ أَرْضِكُمْ هٰذِهِ وَلَا بِمَوَاضِعِهَا . قَالَ لَهُ ٱلنَّاسِكُ لَيْسَ لَكَ فِي ذٰلِكَ رَاحَةٌ فَإِنَّهُ يَثْقُلُ عَلَيْكَ وَلَعَلَّ ذٰلِكَ لَا يُوَافِقُ[2] أَرْضَكُمْ مَعَ أَنَّ بِلَادَكُمْ كَثِيرَةُ ٱلْأَثْمَارِ فَمَا حَاجَتُهُ مَعَ كَثْرَةِ ثِمَارِهَا إِلَى ٱلتَّمْرِ مَعَ وَخَامَتِهِ وَقِلَّةِ مُنَاسَبَتِهِ لِلْجَسَدِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ ٱلنَّاسِكُ إِنَّهُ لَا يُعَدُّ سَعِيدًا مَنْ طَلَبَ مَا لَا يَجِدُ . وَإِنَّكَ سَعِيدُ ٱلْجَدِّ إِذَا قَنِعْتَ بِٱلَّذِي تَجِدُ وَتَزَهَّدُ فِيمَا لَا تَجِدُ . وَكَانَ هٰذَا ٱلنَّاسِكُ يُحْسِنُ ٱلْعِبْرَانِيَّةَ فَسَمِعَهُ ٱلضَّيْفُ يَتَكَلَّمُ بِهَا مَرَّةً فَٱسْتَحْسَنَ كَلَامَهُ وَأَعْجَبَهُ فَتَكَلَّفَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ وَعَالَجَ فِي ذٰلِكَ

١ يتحفه ٢ عدم موافقته

نَفْسَهُ أَيَّامًا فَقَالَ ٱلنَّاسِكُ لَهُ مَا أَخْلَقَكَ أَنْ تَقَعَ مِمَّا تَرَكْتَ مِنْ كَلَامِكَ وَتَكَلَّفْتَ مِنْ كَلَامِ ٱلْعِبْرَانِيَّةِ فِي مِثْلِ مَا وَقَعَ فِيهِ ٱلْغُرَابُ قَالَ ٱلضَّيْفُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلنَّاسِكُ زَعَمُوا أَنَّ غُرَابًا رَأَى حَجَلَةً تَدْرُجُ وَتَمْشِي فَأَعْجَبَتْهُ مِشْيَتُهَا وَطَمِعَ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا فَرَاضَ عَلَى ذٰلِكَ نَفْسَهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِحْكَامِهَا وَأَيِسَ مِنْهَا وَأَرَادَ أَنْ يَعُودَ إِلَى مِشْيَتِهِ ٱلَّتِي كَانَ عَلَيْهَا فَإِذَا هُوَ قَدِ ٱخْتَلَطَ مَشْيُهُ وَتَخَلَّعَ فِيهِ وَصَارَ أَقْبَحَ ٱلطَّيْرِ مَشْيًا * وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ أَنَّكَ تَرَكْتَ لِسَانَكَ ٱلَّذِي طُبِعْتَ عَلَيْهِ وَأَقْبَلْتَ عَلَى لِسَانِ ٱلْعِبْرَانِيَّةِ وَهُوَ لَا يُشَاكِلُكَ وَأَخَافُ أَنْ لَا تُدْرِكَهُ وَتَنْسَى لِسَانَكَ وَتَرْجِعَ إِلَى أَهْلِكَ وَأَنْتَ شَرُّهُمْ لِسَانًا. فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ يُعَدُّ جَاهِلًا مَنْ تَكَلَّفَ مِنَ ٱلْأُمُورِ مَا لَا يُشَاكِلُهُ وَلَيْسَ مِنْ عَمَلِهِ وَلَمْ يُؤَدِّبْهُ عَلَيْهِ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يُعْرَفْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ وَذَوِي قَرَابَتِهِ فَإِنَّ ٱلْعَاقِلَ لَا يَتَعَدَّى طَوْرَهُ

وَٱلْوُلَاةُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ وَأَرْبَابُ ٱلْأَمْرِ أَوْلَى بِٱلِٱنْتِبَاهِ إِلَى هٰذَا ٱلشَّأْنِ وَمَنْعِ حُدُوثِهِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ لِأَنَّ فِيهِ مَضَرَّةً لَهُمْ بِمَا يَجْرِي

الأنفسَ على منازعتِهِم في منازلِهِم وبغْرِيها بمقاومتِهِم في أحكامِهِم لما فيه من إطماعِ السفلةِ في مراتبِ أهلِ الطبقةِ العاليةِ ومزاحمةِ اللئيمِ للكريمِ والجاهلِ للعالمِ والخاملِ للنسيبِ والدنيءِ للشريفِ إلى غيرِ ذلك ممّا يفضي إلى تشوّشِ العالمِ وفسادِ الأمورِ واختلاطِ الطبقاتِ وضياعِ المراتبِ والأقدارِ والأمورُ في ذلك كلِّهِ تجري على مثالٍ واحدٍ ينتهي إلى الأمرِ الخطيرِ الجسيمِ من مزاحمةِ الملكِ على ملكِهِ ومضادّتِهِ فيه

بابُ
السائحِ والصائغِ

قالَ دبشليمُ الملكُ لبيدبا الفيلسوفِ قدْ سمعتُ هذا المثلَ. فاضربْ لي مثلَ الذي يضعُ المعروفَ في غيرِ موضعِهِ ويرجو الشكرَ عليهِ

قالَ الفيلسوفُ أيُّها الملكُ ليسَ أضيعَ من جميلٍ يُصنعُ مع غيرِ شاكرٍ ولا أخسرَ من صانعِهِ. كما أنّهُ لا بذرَ أنقى من بذرِ

الجميل في قلوب الشاكرين ولا تجارة أربح من تجارته. ومع ذلك فإنّ المرء جدير أن يصنع المعروف إلى كلّ أحد فإنّه إن ضاع المعروف عند الناس لا يضيع عند الله. ولا سيّما إلى ذوي الشكر والوفاء كيف كانت منزلتهم فلعلّه أحتاج إليهم يومًا من الدهر فيكافئوه عليه * غير أنّ الملوك وغيرهم من ذوي العقول إذا تعمّدوا بمعروفهم أحدًا يختصّونه به ينبغي لهم أن يضعوه موضعه ولا يضيعوه عند من لا يحتمله ولا يقوم بشكره. فينبغي للملوك أن لا يصطفوا[1] أحدًا إلّا بعد الخبرة بطرائقه والمعرفة بوفائه ومودّته وشكره. فإنّ من أقدم على المشهور بالاستقامة والعفّة واسترسل إليه من غير اختبار ولا تجربة كان مخاطرًا في ذلك مشرفًا منه على هلاك وفساد. ألا ترى أنّ الطبيب الرفيق العاقل لا يكتفي في مداواة المريض بالمعاينة فقط لكنّه لا يقدم على علاجه إلّا بعد تعرّف أحواله والجسّ لعروقه ومعرفة طبيعته وسبب علّته فإذا عرف ذلك كلّه أقدم على معالجته. ولا ينبغي أن يختصّوا بذلك قريبًا لقرابته ولا أحدًا من خاصّتهم لشرفه إذا كان غير محتمل للصنيعة فإنّه

[1] بتقلده وبشكره [2] يختاروا

إِنَّمَا شَرُفَ بِتَشْرِيفِهِمْ إِيَّاهُ. وَلَا أَنْ يَمْنَعُوا مَعْرُوفَهُمْ وَجَمِيلَهُمْ عَنْ بَعِيدٍ لِبُعْدِهِ أَوْ خَامِلٍ لِخُمُولِهِ إِذَا كَانَ عَارِفًا بِحَقِّ مَا يُصْطَنَعُ إِلَيْهِ مُؤَدِّيًا لِشُكْرِ مَا أُنْعِمَ عَلَيْهِ. وَقَدْ قِيلَ لَا يَنْبَغِي لِذِي الْعَقْلِ أَنْ يَحْتَقِرَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ حَتَّى الْبَهَائِمِ وَلٰكِنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَبْلُوَهُمْ وَيَخْتَبِرَهُمْ وَيَكُونَ مَا يَصْنَعُ إِلَيْهِمْ عَلَى قَدْرِ مَا يَرَى مِنْهُمْ. فَقَدْ يَكُونُ الْخَيْرُ عِنْدَ مَنْ يُظَنُّ بِهِ الشَّرُّ وَالشَّرُّ عِنْدَ مَنْ يُظَنُّ بِهِ الْخَيْرُ

وَإِنَّ طَبَائِعَ الْخَلْقِ أَيُّهَا الْمَلِكُ مُخْتَلِفَةٌ وَلَيْسَ مِمَّا خَلَقَهُ اللّٰهُ مِمَّا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ أَوْ عَلَى رِجْلَيْنِ أَوْ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْنِ أَوْ يَسْبَحُ فِي الْمَاءِ شَيْءٌ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ. وَمَعَ ذٰلِكَ فَرُبَّمَا تَحْذَرُ الْعَاقِلُ مِنَ النَّاسِ فَلَمْ يَأْمَنْ أَحَدًا مِنْهُمْ. وَأَخَذَ ابْنَ عِرْسٍ فَأَدْخَلَهُ فِي كُمِّهِ وَأَخْرَجَهُ مِنَ الْآخَرِ وَأَخَذَ الطَّيْرَ الْجَارِحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ فَإِذَا صَادَ شَيْئًا أَبْقَى لَهُ مِنْهُ نَصِيبًا. وَمِنَ النَّاسِ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ وَمِنْ هٰؤُلَاءِ كُلُّ كَفُورٍ كَنُودٍ[1] حَتَّى لَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ الْبَهَائِمِ وَالسِّبَاعِ وَالطَّيْرِ مَا هُوَ أَوْفَى مِنْهُ ذِمَّةً وَأَشَدُّ مُحَامَاةً عَنْ حُرْمَةٍ وَأَشْكَرُ لِلْمَعْرُوفِ وَأَقْوَمُ بِهِ. وَقَدْ مَضَى فِي ذٰلِكَ مَثَلٌ ضَرَبَهُ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ. قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ

---

١ يعني كنور

ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً ٱحْتَفَرُوا رَكِيَّةً فَوَقَعَ فِيهَا رَجُلٌ صَائِغٌ وَحَيَّةٌ وَقِرْدٌ وَبَبْرٌ وَمَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ سَائِحٌ فَأَشْرَفَ عَلَى ٱلرَّكِيَّةِ فَبَصُرَ بِٱلرَّجُلِ وَٱلْحَيَّةِ وَٱلْقِرْدِ وَٱلْبَبْرِ. فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ لَسْتُ أَعْمَلُ لِآخِرَتِي عَمَلًا أَفْضَلَ مِنْ أَنْ أُخَلِّصَ هٰذَا ٱلرَّجُلَ مِنْ بَيْنِ هٰؤُلَاءِ ٱلْأَعْدَاءِ. فَقَدْ قِيلَ لَمْ يُؤْجَرْ مَأْجُورٌ بِأَعْظَمَ مِنْ أَجْرِ مَنِ ٱسْتَحْيَا نَفْسًا هَالِكَةً وَلَا عُوقِبَ مُعَاقَبٌ بِأَشَدَّ مِنْ عِقَابِ مَنْ كَفَّ عَنْ ذٰلِكَ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَلَوْ بِمَشَقَّةٍ مِمَّا خَلَا ذَهَابَ نَفْسِهِ. فَأَخَذَ حَبْلًا وَأَدْلَاهُ إِلَى ٱلْبِئْرِ فَتَعَلَّقَ بِهِ ٱلْقِرْدُ لِخِفَّتِهِ فَخَرَجَ ثُمَّ أَدْلَاهُ ثَانِيَةً فَٱلْتَفَّتْ بِهِ ٱلْحَيَّةُ فَخَرَجَتْ ثُمَّ أَدْلَاهُ ثَالِثَةً فَتَعَلَّقَ بِهِ ٱلْبَبْرُ فَأَخْرَجَهُ فَشَكَرْنَ لَهُ صَنِيعَهُ وَقُلْنَ لَهُ لَا تُخْرِجْ هٰذَا ٱلرَّجُلَ مِنَ ٱلرَّكِيَّةِ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَقَلَّ مِنْ شُكْرِ ٱلْإِنْسَانِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ ٱلْقِرْدُ إِنَّ مَنْزِلِي فِي جَبَلٍ قَرِيبٍ مِنْ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا نُوَادَرَخْتُ. فَقَالَ لَهُ ٱلْبَبْرُ[1] أَنَا أَيْضًا فِي أَجَمَةٍ إِلَى جَانِبِ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ. قَالَتِ ٱلْحَيَّةُ وَأَنَا فِي سُورِ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ فَإِنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِنَا يَوْمًا مِنَ ٱلدَّهْرِ

---

١ ببر

وَأُثْخِنْتَ إِلَيْنَا فَصَوِّتْ عَلَيْنَا حَتَّى نَأْتِيَكَ فَنَجْزِيَكَ بِمَا أَسْدَيْتَ إِلَيْنَا مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ. فَلَمْ يَلْتَفِتِ ٱلسَّائِحُ إِلَى مَا ذَكَرُوا لَهُ مِنْ قِلَّةِ شُكْرِ ٱلْإِنْسَانِ وَأَدْلَى ٱلْحَبْلَ فَأَخْرَجَ ٱلصَّائِغَ فَسَجَدَ لَهُ وَقَالَ لَقَدْ أَوْلَيْتَنِي مَعْرُوفًا فَإِنْ مَرَرْتَ يَوْمًا مِنَ ٱلدَّهْرِ بِمَدِينَةِ نُوَادِرَخْتَ فَٱسْأَلْ عَنْ مَنْزِلِي فَأَنَا رَجُلٌ صَائِغٌ وَٱسْمِي فُلَانٌ لَعَلِّي أُكَافِئُكَ بِمَا صَنَعْتَ إِلَيَّ مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ. فَٱنْطَلَقَ ٱلصَّائِغُ إِلَى مَدِينَتِهِ وَٱنْطَلَقَ ٱلسَّائِحُ إِلَى وِجْهَتِهِ[1] فَعَرَضَ بَعْدَ ذٰلِكَ أَنَّ ٱلسَّائِحَ ٱتَّفَقَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ فَٱنْطَلَقَ فَٱسْتَقْبَلَهُ ٱلْقِرْدُ فَسَجَدَ لَهُ وَقَبَّلَ رِجْلَيْهِ وَٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ إِنَّ ٱلْقُرُودَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلٰكِنِ ٱقْعُدْ حَتَّى آتِيَكَ وَٱنْطَلَقَ ٱلْقِرْدُ وَأَتَاهُ بِفَاكِهَةٍ طَيِّبَةٍ فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَكَلَ مِنْهَا حَاجَتَهُ* ثُمَّ إِنَّ ٱلسَّائِحَ ٱنْطَلَقَ حَتَّى دَنَا مِنْ بَابِ ٱلْمَدِينَةِ فَٱسْتَقْبَلَهُ ٱلْبَبْرُ فَخَرَّ لَهُ سَاجِدًا وَقَالَ لَهُ إِنَّكَ قَدْ أَوْلَيْتَنِي مَعْرُوفًا فَٱطْمَئِنَّ سَاعَةً حَتَّى آتِيَكَ فَٱنْطَلَقَ ٱلْبَبْرُ فَدَخَلَ فِي بَعْضِ ٱلْحِيطَانِ إِلَى بِنْتِ ٱلْمَلِكِ فَقَتَلَهَا وَأَخَذَ حُلِيَّهَا فَأَتَاهُ بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ ٱلسَّائِحُ مِنْ أَيْنَ هُوَ* فَقَالَ فِي نَفْسِهِ هٰذِهِ ٱلْبَهَائِمُ قَدْ أَوْلَتْنِي هٰذَا ٱلْجَزَاءَ فَكَيْفَ لَوْ أَتَيْتُ إِلَى ٱلصَّائِغِ فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ مُعْسِرًا لَا يَمْلِكُ

[1] الجهة التي يقصدها

شيئاً فسيبيع هذا الحلي فيستوفي ثمنه فيعطيني بعضه ويأخذ بعضه وهو أعرف بثمنه. فانطلق السائح فأتى إلى الصائغ فلما رآه رحب به وأدخله إلى بيته. فلما بصر بالحلي معه عرفه وكان هو الذي صاغه لابنة الملك. فقال الصائغ اطمئن حتى آتيك بطعام فلست أرضى لك ما في البيت ثم خرج وهو يقول قد أصبت فرصتي. أريد أن أنطلق إلى الملك وأدله على ذلك فتحسن منزلتي عنده. فانطلق إلى باب الملك فأرسل إليه أن الذي قتل ابنتك وأخذ حليها عندي فأرسل الملك وأتى بالسائح فلما نظر الحلي معه لم يمهله وأمر به أن يعذب ويطاف به في المدينة ويصلب. فلما فعلوا به ذلك جعل السائح يبكي ويقول بأعلى صوته لو أني أطعت القرد والحية والببر فيما أمرتني به وأخبرتني من قلة شكر الإنسان لم يصر أمري إلى هذا البلاء وجعل يكرر هذا القول. فسمعت مقالته تلك الحية فخرجت من جحرها فعرفته فاشتد عليها أمره فجعلت تحتال في خلاصه. فانطلقت حتى لدغت ابن الملك فدعا الملك أهل العلم فرقوه ليشفوه فلم يغنوا عنه شيئاً. ثم مضت الحية إلى أخت لها

مِنَ ٱلْجِنِّ فَأَخْبَرَتْهَا بِمَا صَنَعَ ٱلسَّائِحُ إِلَيْهَا مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ وَمَا وَقَعَ فِيهِ فَرَقَّتْ لَهُ وَٱنْطَلَقَتْ إِلَى ٱبْنِ ٱلْمَلِكِ وَتَرَاءَتْ لَهُ وَقَالَتْ إِنَّكَ لَا تَبْرَأُ حَتَّى يَرْقِيَكَ هٰذَا ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي قَدْ عَاقَبْتُمُوهُ ظُلْمًا. وَٱنْطَلَقَتِ ٱلْحَيَّةُ إِلَى ٱلسَّائِحِ فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ ٱلسِّجْنَ وَقَالَتْ لَهُ هٰذَا ٱلَّذِي كُنْتُ نَهَيْتُكَ عَنْهُ مِنِ ٱصْطِنَاعِ ٱلْمَعْرُوفِ إِلَى هٰذَا ٱلْإِنْسَانِ وَلَمْ تُطِعْنِي وَأَتَتْهُ بِوَرَقٍ يَنْفَعُ مِنْ سُمِّهَا وَقَالَتْ لَهُ إِذَا جَاءُوا بِكَ لِتَرْقِيَ ٱبْنَ ٱلْمَلِكِ فَٱسْقِهِ مِنْ مَاءِ هٰذَا ٱلْوَرَقِ فَإِنَّهُ يَبْرَأُ وَإِذَا سَأَلَكَ ٱلْمَلِكُ عَنْ حَالِكَ فَٱصْدُقْهُ فَإِنَّكَ تَنْجُو إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ تَعَالَى. وَإِنَّ ٱبْنَ ٱلْمَلِكِ أَخْبَرَ أَبَاهُ أَنَّهُ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ إِنَّكَ لَنْ تَبْرَأَ حَتَّى يَرْقِيَكَ ٱلسَّائِحُ ٱلَّذِي حُبِسَ ظُلْمًا. فَدَعَا ٱلْمَلِكُ بِٱلسَّائِحِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْقِيَ وَلَدَهُ فَقَالَ لَا أُحْسِنُ ٱلرُّقَى وَلٰكِنْ أَسْقِيهِ مِنْ مَاءِ هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ فَيَبْرَأُ بِإِذْنِ ٱللّٰهِ تَعَالَى فَسَقَاهُ فَبَرِئَ ٱلْغُلَامُ. فَفَرِحَ ٱلْمَلِكُ بِذٰلِكَ وَسَأَلَهُ عَنْ قِصَّتِهِ فَأَخْبَرَهُ فَشَكَرَهُ ٱلْمَلِكُ وَأَعْطَاهُ عَطِيَّةً حَسَنَةً وَأَمَرَ بِٱلصَّائِغِ أَنْ يُصْلَبَ فَصَلَبُوهُ لِكَذِبِهِ وَٱنْحِرَافِهِ عَنِ ٱلشُّكْرِ وَمُجَازَاتِهِ ٱلْفِعْلَ ٱلْجَمِيلَ بِٱلْقَبِيحِ.

ثُمَّ قالَ ٱلفَيْلَسُوفُ لِلْمَلِكِ فَفِي صَنِيعِ ٱلصَّائِغِ بِٱلسَّائِحِ وَكُفْرِهِ لَهُ بَعْدَ ٱسْتِنْقاذِهِ إِيَّاهُ وَشُكْرِ ٱلْبَهائِمِ لَهُ وَتَخْلِيصِ بَعْضِها إِيَّاهُ عِبْرَةٌ لِمَنِ ٱعْتَبَرَ وَفِكْرَةٌ لِمَنِ ٱفْتَكَرَ وَأَدَبٌ فِي وَضْعِ ٱلْمَعْرُوفِ وَٱلْإِحْسانِ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْوَفاءِ وَٱلْكَرَمِ قَرُبُوا أَوْ بَعُدُوا لِما فِي ذٰلِكَ مِنْ صَوابِ ٱلرَّأْيِ وَجَلْبِ ٱلْخَيْرِ وَصَرْفِ ٱلْمَكْرُوهِ

بابُ

ٱبْنِ ٱلْمَلِكِ وَأَصْحابِهِ

قالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذا ٱلْمَثَلَ. فَإِنْ كانَ ٱلرَّجُلُ لا يُصِيبُ ٱلْخَيْرَ إِلَّا بِعَقْلِهِ وَرَأْيِهِ وَتَثَبُّتِهِ فِي ٱلْأُمُورِ كَما يَزْعُمُونَ فَما بالُ ٱلرَّجُلِ ٱلْجاهِلِ يُصِيبُ ٱلرِّفْعَةَ وَٱلْخَيْرَ وَٱلرَّجُلِ ٱلْحَكِيمِ ٱلْعاقِلِ قَدْ يُصِيبُ ٱلْبَلاءَ وَٱلضُّرَّ * قالَ بَيْدَبا كَما أَنَّ ٱلْأَعْمَى لا يُبْصِرُ إِلَّا بِقَلْبِهِ وَلا يَمْشِي إِلَّا بِحِسِّهِ مَعَ ٱلْمَهْلِ وَٱلتَّأَنِّي. كَذٰلِكَ يَنْبَغِي لِلْإِنْسانِ أَنْ يَسْلُكَ فِي ٱلْأُمُورِ بِعَيْنِ ٱلْعَقْلِ وَٱلْبَصِيرَةِ وَٱلْعِلْمِ وَبِٱلتَّثَبُّتِ وَٱلْأَناةِ فَقَلَّ أَنْ يَعْثُرَ عَلَى هٰذا

وَٱلْقَضَآءَ وَٱلْقَدَرُ قَدْ يَغْلِبَانِ عَلَى ذٰلِكَ كَمَا قَدْ يَعْثُرُ ٱلْبَصِيرُ وَيَسْلَمُ ٱلضَّرِيرُ. وَمَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ ٱبْنِ ٱلْمَلِكِ وَأَصْحَابِهِ. قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ ٱصْطَحَبُوا فِي طَرِيقٍ وَاحِدَةٍ أَحَدُهُمُ ٱبْنُ مَلِكٍ وَٱلثَّانِي ٱبْنُ تَاجِرٍ وَٱلثَّالِثُ ٱبْنُ شَرِيفٍ ذُو جَمَالٍ وَٱلرَّابِعُ ٱبْنُ أَكَّارٍ. وَكَانُوا جَمِيعًا مُحْتَاجِينَ وَقَدْ أَصَابَهُمْ ضُرٌّ وَجَهْدٌ شَدِيدٌ فِي مَوْضِعِ غُرْبَةٍ لَا يَمْلِكُونَ إِلَّا مَا عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلثِّيَابِ. فَبَيْنَمَا هُمْ يَمْشُونَ إِذْ فَكَّرُوا فِي أَمْرِهِمْ وَكَانَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ رَاجِعًا إِلَى طِبَاعِهِ وَمَا كَانَ يَأْتِيهِ مِنْهُ ٱلْخَيْرُ. فَقَالَ ٱبْنُ ٱلْمَلِكِ إِنَّ أَمْرَ ٱلدُّنْيَا كُلَّهُ بِٱلْقَضَآءِ وَٱلْقَدَرِ. وَٱلَّذِي قُدِّرَ عَلَى ٱلْإِنْسَانِ يَأْتِيهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَٱلصَّبْرُ لِلْقَضَآءِ وَٱلْقَدَرِ وَٱنْتِظَارُهُمَا أَفْضَلُ ٱلْأُمُورِ. وَقَالَ ٱبْنُ ٱلتَّاجِرِ ٱلْعَقْلُ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَقَالَ ٱبْنُ ٱلشَّرِيفِ ٱلْجَمَالُ أَفْضَلُ مِمَّا ذُكِرَ. ثُمَّ قَالَ ٱلْأَكَّارُ لَيْسَ فِي ٱلدُّنْيَا أَفْضَلُ مِنَ ٱلِٱجْتِهَادِ فِي ٱلْعَمَلِ. فَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا مَطْرُونُ جَلَسُوا فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا يَتَشَاوَرُونَ. فَقَالُوا لِٱبْنِ ٱلْأَكَّارِ ٱنْطَلِقْ فَٱكْتَسِبْ لَنَا بِٱجْتِهَادِكَ

طَعامًا لِيَوْمِنا هذا . فَٱنْطَلَقَ ٱبْنُ ٱلْأَكَّارِ وَسَأَلَ عَنْ عَمَلٍ إِذا عَمِلَهُ ٱلْإِنْسانُ يَكْتَسِبُ فيهِ طَعامَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ فَعَرَّفُوهُ أَنْ لَيْسَ في تِلْكَ ٱلْمَدينَةِ شَيْءٌ أَعَزُّ مِنَ ٱلْحَطَبِ . وَكانَ ٱلْحَطَبُ مِنْها عَلَى فَرْسَخٍ فَٱنْطَلَقَ ٱبْنُ ٱلْأَكَّارِ فَٱحْتَطَبَ طُنًّا ١ مِنَ ٱلْحَطَبِ وَأَتَى بِهِ ٱلْمَدينَةَ فَباعَهُ بِدِرْهَمٍ وَٱشْتَرَى بِهِ طَعامًا وَكَتَبَ عَلَى بابِ ٱلْمَدينَةِ عَمَلُ يَوْمٍ واحِدٍ إِذا جَهِدَ بِهِ ٱلرَّجُلُ بَدَنَهُ قيمَتُهُ دِرْهَمٌ . ثُمَّ ٱنْطَلَقَ إِلَى أَصْحابِهِ بِٱلطَّعامِ فَأَكَلُوا ❊ فَلَمَّا كانَ مِنَ ٱلْغَدِ قالُوا يَنْبَغي لِلَّذي قالَ إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَعَزَّ مِنَ ٱلْجَمالِ أَنْ تَكُونَ نَوْبَتُهُ . فَٱنْطَلَقَ ٱبْنُ ٱلشَّريفِ لِيَأْتِيَ ٱلْمَدينَةَ فَفَكَّرَ في نَفْسِهِ وَقالَ أَنا لَسْتُ أُحْسِنُ عَمَلًا فَما يُدْخِلُني ٱلْمَدينَةَ . ثُمَّ ٱسْتَحَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَصْحابِهِ بِغَيْرِ طَعامٍ وَهَمَّ بِمُفارَقَتِهِمْ فَٱنْطَلَقَ حَتَّى ٱسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى شَجَرَةٍ عَظيمَةٍ فَغَلَبَهُ ٱلنَّوْمُ فَنامَ فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مُصَوِّرٌ وَبَصُرَ بِهِ فَأَعْجَبَهُ حُسْنُهُ أَنْ يُصَوِّرَهُ وَيَكْتَسِبَ مِنْ صُورَتِهِ إِذا عَمِلَ مِنْها صُوَرًا وَباعَها فَأَيْقَظَهُ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ لِيُصَوِّرَهُ . فَلَمَّا كانَ ٱلْمَساءُ أَجازَهُ بِمِئَةِ دِرْهَمٍ فَخَرَجَ وَكَتَبَ عَلَى بابِ ٱلْمَدينَةِ جَمالُ يَوْمٍ واحِدٍ يُساوي مِئَةَ دِرْهَمٍ

١ حزمة

وَأَتَى بِالدَّرَاهِمِ إِلَى أَصْحَابِهِ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثِ قَالُوا لِٱبْنِ ٱلتَّاجِرِ ٱنْطَلِقْ أَنْتَ فَٱطْلُبْ لَنَا بِعَقْلِكَ وَتِجَارَتِكَ لِيَوْمِنَا هٰذَا شَيْئًا. فَٱنْطَلَقَ ٱبْنُ ٱلتَّاجِرِ فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى بَصُرَ بِسَفِينَةٍ مِنْ سُفُنِ ٱلْبَحْرِ كَثِيرَةِ ٱلْمَتَاعِ قَدْ قَدِمَتْ إِلَى ٱلسَّاحِلِ فَخَرَجَ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلتُّجَّارِ يُرِيدُونَ أَنْ يَبْتَاعُوا مِمَّا فِيهَا مِنَ ٱلْمَتَاعِ فَجَلَسُوا يَتَشَاوَرُونَ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ ٱلْمَرْكَبِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ٱرْجِعُوا يَوْمَنَا هٰذَا لَا نَشْتَرِي مِنْهُمْ شَيْئًا حَتَّى يَكْسُدَ ٱلْمَتَاعُ عَلَيْهِمْ فَيُرْخِصُوهُ عَلَيْنَا مَعَ أَنَّنَا مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ وَسَيَرْخُصُ. فَخَالَفَ ٱبْنُ ٱلتَّاجِرِ ٱلطَّرِيقَ وَجَاءَ إِلَى أَصْحَابِ ٱلْمَرْكَبِ فَٱبْتَاعَ مِنْهُمْ مَا فِيهِ بِمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ نَسِيئَةً[1] وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْقُلَ مَتَاعَهُ إِلَى مَدِينَةٍ أُخْرَى فَلَمَّا سَمِعَ ٱلتُّجَّارُ ذٰلِكَ خَافُوا أَنْ يَذْهَبَ ذٰلِكَ ٱلْمَتَاعُ مِنْ أَيْدِيهِمْ فَأَرْبَحُوهُ عَلَى مَا ٱشْتَرَاهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَأَحَالَ عَلَيْهِمْ أَصْحَابَ ٱلْمَرْكَبِ بِٱلْبَاقِي وَحَمَلَ رِبْحَهُ إِلَى أَصْحَابِهِ وَكَتَبَ عَلَى بَابِ ٱلْمَدِينَةِ عَقْلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ ثَمَنُهُ أَلْفُ دِرْهَمٍ. فَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلرَّابِعُ قَالُوا لِٱبْنِ ٱلْمَلِكِ ٱنْطَلِقْ أَنْتَ وَٱكْتَسِبْ لَنَا بِقَضَائِكَ وَقَدَرِكَ فَٱنْطَلَقَ ٱبْنُ ٱلْمَلِكِ حَتَّى أَتَى إِلَى بَابِ ٱلْمَدِينَةِ

[1] الى اجل

فَجَلَسَ عَلَى دُكَّةٍ[١] فِي بَابِ ٱلْمَدِينَةِ. وَٱتَّفَقَ بِٱلْقَدَرِ أَنْ مَاتَ مَلِكُ
تِلْكَ ٱلنَّاحِيَةِ وَلَمْ يُخَلِّفْ وَلَدًا وَلَا أَحَدًا ذَا قَرَابَةٍ. فَمَرُّوا عَلَيْهِ بِجَنَازَةِ
ٱلْمَلِكِ وَلَمْ يَحْزَنْهُ وَكُلُّهُمْ يَحْزَنُونَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَكْتَرِثْ
لِمَا هُمْ فِيهِ. فَأَنْكَرُوا حَالَهُ وَشَتَمَهُ ٱلْبَوَّابُ وَقَالَ لَهُ مَنْ أَنْتَ يَا لَئِيمُ
وَمَا يُجْلِسُكَ عَلَى بَابِ ٱلْمَدِينَةِ وَلَا نَرَاكَ تَحْزَنُ لِمَوْتِ ٱلْمَلِكِ وَلَا
تَهْتَمُّ وَطَرَدَهُ ٱلْبَوَّابُ عَنِ ٱلْبَابِ. فَلَمَّا ذَهَبُوا عَادَ ٱلْغُلَامُ فَجَلَسَ
مَكَانَهُ. فَلَمَّا دَفَنُوا ٱلْمَلِكَ وَرَجَعُوا بَصُرَ بِهِ ٱلْبَوَّابُ فَغَضِبَ وَقَالَ
لَهُ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنِ ٱلْجُلُوسِ فِي هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ وَأَخَذَهُ فَحَبَسَهُ. فَلَمَّا
كَانَ مِنَ ٱلْغَدِ وَقَدِ ٱجْتَمَعَ أَهْلُ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ يَتَشَاوَرُونَ فِي مَنْ
يُمَلِّكُونَهُ عَلَيْهِمْ وَيَخْتَلِفُونَ بَيْنَهُمْ إِذْ دَخَلَ ٱلْبَوَّابُ فَقَالَ لَهُمْ إِنِّي
رَأَيْتُ أَمْسِ غُلَامًا جَالِسًا عَلَى ٱلْبَابِ وَلَمْ أَرَهُ يَحْزَنُ لِحُزْنِنَا كَأَنَّ
ٱلْأَمْرَ لَيْسَ عِنْدَهُ بِعَظِيمٍ وَتَلُوحُ عَلَيْهِ لَوَائِحُ ٱلْعِزَّةِ وَٱلشَّرَفِ فَكَلَّمْتُهُ
فَلَمْ يُجِبْنِي فَطَرَدْتُهُ عَنِ ٱلْبَابِ فَلَمَّا عُدْتُ رَأَيْتُهُ جَالِسًا فَأَدْخَلْتُهُ
ٱلسِّجْنَ مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ عَيْنًا[٢]. فَبَعَثَتْ أَشْرَافُ ٱلْمَدِينَةِ إِلَى ٱلْغُلَامِ
فَجَاؤُوا بِهِ وَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ وَمَا أَقْدَمَهُ إِلَى مَدِينَتِهِمْ فَقَالَ أَنَا ٱبْنُ
مَلِكِ فُوِيرَانَ وَإِنَّهُ لَمَّا مَاتَ وَالِدِي غَلَبَنِي أَخِي عَلَى ٱلْمُلْكِ وَقَدْ

١ مسطبة ٢ جاسوسًا

كانَ أبي عَهِدَ إليَّ[١] فيهِ فغصبني إيّاهُ فهربتُ من يدهِ حذرًا على نفسي حتى انتهيتُ إلى هذهِ الغايةِ. فلمّا ذكرَ الغلامُ ما ذكرَ من أمرهِ عرفهُ بعضُ من كانَ يغشى بلادَ أبيهِ منهم وأثنوا على أبيهِ خيرًا. ثُمَّ إنَّ الأشرافَ اختاروا الغلامَ أن يملّكوهُ عليهم ورضوا بهِ. وكانَ لأهلِ تلكَ المدينةِ سنّةٌ إذا ملّكوا عليهم ملكًا حملوهُ على فيلٍ أبيضَ وطافوا بهِ حوالي المدينةِ. فلمّا فعلوا بهِ ذلكَ مرَّ بباب المدينةِ فرأى الكتابةَ على البابِ فأمرَ أن يكتبَ إنَّ الاجتهادَ والجمالَ والعقلَ وما أصابَ الإنسانَ في هذهِ الدنيا من خيرٍ أو شرٍّ إنّما هو بقضاءٍ وقدرٍ من اللهِ عزَّ وجلَّ. وقد اعتبرَ ذلكَ بما ساقَ اللهُ إليَّ من الكرامةِ والخيرِ. ثُمَّ انطلقَ إلى مجلسهِ فجلسَ على سريرِ ملكهِ وأرسلَ إلى أصحابهِ الذينَ كانَ معهم فأحضرهم فأشركَ صاحبَ العقلِ معَ الوزراءِ وضمَّ صاحبَ الاجتهادِ إلى أصحابِ الزرعِ وولّى صاحبَ الجمالِ إحدى مصالحهِ

ثُمَّ جمعَ علماءَ أرضهِ وذوي الرأي منهم وقالَ لهم أمّا أصحابي فقد تيقّنوا أنَّ الذي رزقهمُ اللهُ سبحانهُ وتعالى من الخيرِ إنّما هو بقضاءِ اللهِ وقدرهِ. وإنّما أحبُّ أن تعلموا

[١] جعلني ولي عهده

ذٰلِكَ وَتَسْتَيْقِنُوهُ فَإِنَّ ٱلَّذِي مَنَحَنِي ٱللّٰهُ وَهَيَّأَهُ لِي إِنَّمَا كَانَ بِقَدَرٍ وَلَمْ يَكُنْ بِجَمَالٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا ٱجْتِهَادٍ وَمَا كُنْتُ أَرْجُو إِذْ طَرَدَنِي أَخِي أَنْ يُصِيبَنِي مَا يُعِيشُنِي مِنَ ٱلْقُوتِ فَضْلًا عَنْ أَنْ أُصِيبَ هٰذِهِ ٱلْمَنْزِلَةَ وَمَا كُنْتُ أُؤَمِّلُ أَنْ أَكُونَ بِهَا لِأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي حُسْنًا وَجَمَالًا وَأَشَدُّ ٱجْتِهَادًا وَأَحْزَمُ رَأْيًا فَسَاقَنِي ٱلْقَضَاءُ إِلَى أَنِ ٱعْتَزَزْتُ بِقَدَرٍ مِنَ ٱللّٰهِ * وَكَانَ فِي ذٰلِكَ ٱلْجَمْعِ شَيْخٌ فَنَهَضَ حَتَّى ٱسْتَوَى قَائِمًا وَقَالَ إِنَّكَ قَدْ تَكَلَّمْتَ بِكَلَامِ عَقْلٍ وَحِكْمَةٍ وَلٰكِنَّ ٱلَّذِي بَلَغَ بِكَ ذٰلِكَ وُفُورُ عَقْلِكَ وَحُسْنُ ظَنِّكَ وَقَدْ حَقَّقْتَ ظَنَّنَا فِيكَ وَرَجَاءَنَا لَكَ وَقَدْ عَرَفْنَا مَا ذَكَرْتَ وَصَدَّقْنَاكَ فِيمَا وَصَفْتَ. وَٱلَّذِي سَاقَ ٱللّٰهُ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْمُلْكِ وَٱلْكَرَامَةِ كُنْتَ أَهْلًا لَهُ لِمَا قَسَمَ ٱللّٰهُ تَعَالَى لَكَ مِنَ ٱلْعَقْلِ وَٱلرَّأْيِ وَإِنَّ أَسْعَدَ ٱلنَّاسِ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ مَنْ رَزَقَهُ ٱللّٰهُ رَأْيًا وَعَقْلًا. وَإِنَّمَا أَحْسَنَ ٱللّٰهُ إِلَيْنَا بِقَضَائِهِ إِذْ وَفَّقَكَ لَنَا عِنْدَ مَوْتِ مَلِكِنَا وَكَرَّمَنَا بِكَ * ثُمَّ قَامَ شَيْخٌ آخَرُ فَحَمِدَ ٱللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ إِنَّ شَأْنَ ٱلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ لَكَمَا ذَكَرْتَ. وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ أَحَدَ ٱلسُّيَّاحِ حَدَّثَ عَنْ

نفسه فقال

إني كنت أخدم وأنا غلام قبل أن أكون سائحًا رجلًا من أشراف الناس. فلما بدا لي رفض الدنيا فارقت ذلك الرجل وقد كان أعطاني من أجرتي دينارين. فأردت أن أتصدق بأحدهما وأستبقي الآخر فأتيت السوق فوجدت مع رجل من الصيادين زوجي هدهد فساومته فيهما لأطلقهما فأبى الصياد أن يبيعهما إلا بدينارين فاجتهدت أن يبيعنيهما بدينار واحد فأبى. فقلت في نفسي أشتري أحدهما وأترك الآخر ثم قلت لعلهما يكونان زوجين ذكرًا وأنثى فأفرق بينهما فأدركني لهما رحمة فتوكلت على الله وابتعتهما بدينارين. وأشفقت إن أرسلتهما في أرض عامرة أن يصادا ولا يستطيعا أن يطيرا مما لقيا من الجوع والهزال ولم آمن عليهما الآفات. فانطلقت بهما إلى مكان كثير المرعى والأشجار بعيد عن الناس والعمران فأرسلتهما فطارا ووقعا على شجرة مثمرة. فلما صارا في أعلاها شكرا لي وسمعت أحدهما يقول للآخر لقد خلصنا هذا السائح من البلاء الذي كنا فيه واستنقذنا ونجانا من الهلكة وإنا لخليقان أن

نُكافِئَهُ بِفِعْلِهِ . وإِنَّ فِي اصلِ هذِهِ ٱلشَّجرةِ جرَّةً مملوءَةً دنانيرَ أَفَلا ندُلُّهُ عليها فيأْخذها . فقلتُ لهما كيفَ تدلَّاننِي على كنزٍ لم ترهُ ٱلعيونُ وأَنتما لم تبصرا ٱلشبكةَ . فقالا إِنَّ ٱلقضاءَ وٱلقدرَ ٱلذي تسلَّطَ على ٱلقمرِ وٱلشمسِ فيكسِفهما وعلى ٱلحوتِ في قعرِ ٱلبحرِ فيصطادُ إِذا نزلَ صرفَ ٱلعيونَ عن موضعِ ٱلشيءِ وغشّى ٱلبصرَ . وإِنَّما صرفَ ٱلقضاءُ أَعيننا عنِ ٱلشَّركِ ولم يصرفها عن هذا ٱلكنزِ لتنتفعَ أَنتَ بهِ فاحتفرتُ وٱستخرجتُ ٱلبرنيةَ وهي مملوءَةٌ دنانيرَ فدعوتُ لهما بٱلعافيةِ وقلتُ لهما ٱلحمدُ للهِ ٱلذي علَّمكما مِمَّا رأَى وأَنتما تطيرانِ في ٱلسماءِ وأَخبرتماني بما تحتَ ٱلأَرضِ . فقالا لي أَيُّها ٱلعاقلُ أَما تعلمُ أَنَّ ٱلقدرَ غالبٌ على كلِّ شيءٍ لا يستطيعُ أَحدٌ أَن يتجاوزهُ

فليعرفْ أَهلُ ٱلنظرِ في ٱلأُمورِ أَنَّ جميعَ ٱلأَشياءِ بقدرِ ٱللهِ وقضائِهِ وأَنَّ ٱلإِنسانَ لا يجلبُ إِلى نفسهِ محبوبًا ولا يدفعُ عنها مكروهًا إِلَّا بإِذنِ ٱللهِ تعالى . فلتثقْ نفوسُ أَهلِ ٱلفكرِ بذلكَ وتطمئِنَّ إِليهِ فإِنَّ في ذلكَ راحةً للمبتلَى وداعيًا لمن تؤاتيهِ ٱلمقاديرُ إِلى شكرِ ربِّ ٱلعالمينَ

باب

الحمامة والثعلب ومالك الحزين

وهو آخر الكتاب

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثلا في شأن الرجل الذي يرى الرأي لغيره ولا يراه لنفسه. قال الفيلسوف إن مثل ذلك مثل الحمامة والثعلب ومالك الحزين[١]. قال الملك وما مثلهن.

قال الفيلسوف زعموا أن حمامة كانت تفرخ في رأس نخلة طويلة ذاهبة في السماء. فكانت الحمامة تشرع في نقل العش إلى رأس تلك النخلة فلا يمكنها ما تنقل من العش وتجعله تحت البيض إلا بعد شدة وتعب ومشقة لطول النخلة وسحقها[٢]. وكانت إذا فرغت من النقل باضت ثم حضنت بيضها فإذا فقست وأدرك فراخها جاءها ثعلب قد تعهد ذلك منها لوقت قد علمه ريثما ينهض فراخها فوقف بأصل النخلة فصاح بها وتوعدها[٣] أن يرقى إليها أو تلقي إليه فراخها فتلقيها إليه. فبينما هي ذات

١ طائر من طيور الماء ٢ علوها ٣ تهددها

يَوْم وَقَدْ أَدْرَكَ لَهَا فَرْخَانِ إِذْ أَقْبَلَ مَالِكٌ ٱلْحَزِينُ فَوَقَعَ عَلَى ٱلنَّخْلَةِ. فَلَمَّا رَأَى ٱلْحَمَامَةَ كَئِيبَةً حَزِينَةً شَدِيدَةَ ٱلْهَمِّ قَالَ لَهَا يَا حَمَامَةُ مَا لِي أَرَاكِ كَاسِفَةَ ٱلْبَالِ سَيِّئَةَ ٱلْحَالِ فَقَالَتْ لَهُ يَا مَالِكُ ٱلْحَزِينُ إِنَّ ثَعْلَبًا دُهِيتُ بِهِ كُلَّمَا كَانَ لِي فَرْخَانِ جَاءَنِي يَتَهَدَّدُنِي وَيَصِيحُ فِي أَصْلِ ٱلنَّخْلَةِ فَأَفْرَقُ مِنْهُ فَأَطْرَحُ إِلَيْهِ فَرْخَيَّ. قَالَ لَهَا مَالِكٌ ٱلْحَزِينُ إِذَا أَتَاكِ لِيَفْعَلَ مَا تَقُولِينَ فَقُولِي لَهُ لَا أُلْقِي إِلَيْكَ فَرْخَيَّ فَارْقَ إِلَيَّ وَغَرِّرْ بِنَفْسِكَ فَإِذَا فَعَلْتَ ذٰلِكَ وَأَكَلْتَ فَرْخَيَّ طِرْتُ عَنْكَ وَنَجَوْتُ بِنَفْسِي. فَلَمَّا عَلَّمَهَا مَالِكٌ ٱلْحَزِينُ هٰذِهِ ٱلْحِيلَةَ طَارَ فَوَقَعَ عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ. وَأَقْبَلَ ٱلثَّعْلَبُ فِي ٱلْوَقْتِ ٱلَّذِي عَرَفَ فَوَقَفَ تَحْتَ ٱلنَّخْلَةِ ثُمَّ صَاحَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ فَأَجَابَتْهُ ٱلْحَمَامَةُ بِمَا عَلَّمَهَا مَالِكٌ ٱلْحَزِينُ. فَقَالَ لَهَا أَخْبِرِينِي مَنْ عَلَّمَكِ هٰذَا. قَالَتْ عَلَّمَنِي مَالِكٌ ٱلْحَزِينُ. فَتَوَجَّهَ ٱلثَّعْلَبُ حَتَّى أَتَى مَالِكًا ٱلْحَزِينَ عَلَى شَاطِئِ ٱلنَّهْرِ فَوَجَدَهُ وَاقِفًا. فَقَالَ لَهُ ٱلثَّعْلَبُ يَا مَالِكُ ٱلْحَزِينُ إِذَا أَتَتْكَ ٱلرِّيحُ عَنْ يَمِينِكَ فَأَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ قَالَ عَنْ شِمَالِي قَالَ فَإِذَا أَتَتْكَ عَنْ شِمَالِكَ أَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ قَالَ أَجْعَلُهُ عَنْ يَمِينِي أَوْ خَلْفِي قَالَ فَإِذَا أَتَتْكَ ٱلرِّيحُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ

١ كئيبة النفس

وَكُلِّ نَاحِيَةٍ أَيْنَ تَجْعَلُهُ . قَالَ أَجْعَلُهُ تَحْتَ جَنَاحِي . قَالَ وَكَيْفَ
تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَهُ تَحْتَ جَنَاحَيْكَ . مَا أَرَاهُ يَتَهَيَّأُ لَكَ . قَالَ بَلَى . قَالَ
فَأَرِنِي كَيْفَ تَصْنَعُ فَلَعَمْرِي يَا مَعْشَرَ ٱلطَّيْرِ لَقَدْ فَضَّلَكُمُ ٱللهُ عَلَيْنَا
إِنَّكُنَّ تَدْرِينَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِثْلَ مَا نَدْرِي فِي سَنَةٍ وَتَبْلُغْنَ مَا لَا
نَبْلُغُ وَتُدْخِلْنَ رُؤُوسَكُنَّ تَحْتَ أَجْنِحَتِكُنَّ مِنَ ٱلْبَرْدِ وَٱلرِّيحِ فَهَنِيئًا
لَكُنَّ فَأَرِنِي كَيْفَ تَصْنَعُ . فَأَدْخَلَ ٱلطَّائِرُ رَأْسَهُ تَحْتَ جَنَاحَيْهِ
فَوَثَبَ عَلَيْهِ ٱلثَّعْلَبُ مَكَانَهُ فَأَخَذَهُ فَهَمَزَهُ هَمْزَةً[1] دَقَّ[2] عُنُقَهُ ثُمَّ قَالَ يَا
عَدُوَّ نَفْسِهِ تَرَى ٱلرَّأْيَ لِلْحَمَامَةِ وَتُعَلِّمُهَا ٱلْحِيلَةَ لِنَفْسِهَا وَتَعْجِزُ عَنْ
ذٰلِكَ لِنَفْسِكَ حَتَّى يَتَمَكَّنَ مِنْكَ عَدُوُّكَ . ثُمَّ قَتَلَهُ وَأَكَلَهُ * أَلْهَمَنَا
ٱللهُ أَنْ نَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْتَمِرِينَ لِمَا يَأْمُرُونَ وَٱلْمُنْتَصِحِينَ بِمَا يَنْصَحُونَ

فَلَمَّا ٱنْتَهَى ٱلْمَنْطِقُ بِٱلْفَيْلَسُوفِ إِلَى هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ سَكَتَ
ٱلْمَلِكُ . فَقَالَ لَهُ ٱلْفَيْلَسُوفُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ عِشْتَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَلَكْتَ
ٱلْأَقَالِيمَ ٱلسَّبْعَةَ وَأُعْطِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَظًّا وَبَلَغْتَ مَا أَمَّلْتَهُ
مِنْ خَيْرِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فِي سُرُورٍ مِنْكَ وَقُرَّةِ عَيْنٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ بِكَ
وَمُسَاعَدَةِ ٱلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ لَكَ . فَإِنَّهُ قَدْ كَمُلَ فِيكَ ٱلْحِلْمُ وَٱلْعِلْمُ

---
١ ضغطة ٢ كسر

وَحَسُنَ مِنْكَ ٱلْعَقْلُ وَٱلنِّيَةُ وَتَمَّ فِيكَ ٱلْبَأْسُ وَٱلْجُودُ وَٱتَّفَقَ مِنْكَ ٱلْقَوْلُ وَٱلْعَمَلُ فَلَا يُوجَدُ فِي رَأْيِكَ نَقْصٌ وَلَا فِي قَوْلِكَ سَقَطٌ وَلَا عَيْبٌ. وَقَدْ جَمَعْتَ ٱلنَّجْدَةَ وَٱللِّينَ فَلَا تُوجَدُ جَبَانًا عِنْدَ ٱللِّقَآءِ وَلَا ضَيِّقَ ٱلصَّدْرِ عِنْدَ مَا يَنُوبُكَ مِنَ ٱلْأَشْيَآءِ

وَقَدْ جَمَعْتُ لَكَ فِي هٰذَا ٱلْكِتَابِ شَمْلَ بَيَانِ ٱلْأُمُورِ وَشَرَحْتُ لَكَ جَوَابَ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ مِنْهَا تَزَلُّفًا إِلَى رِضَاكَ وَٱبْتِغَآءَ لِطَاعَتِكَ فَأَبْلَغْتُكَ فِي ذٰلِكَ غَايَةَ نُصْحِي وَٱجْتَهَدْتُ فِيهِ بِرَأْيِي وَنَظَرِي وَمَبْلَغِ فِطْنَتِي. وَٱللّٰهُ تَعَالَى يَقْضِي حَقِّي بِحُسْنِ ٱلنِّيَّةِ مِنْكَ فِي إِعْمَالِ فِكْرِكَ وَعَقْلِكَ فِيمَا وَضَعْتُ لَكَ مِنَ ٱلنَّصِيحَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ ٱلْمَنْصُوحُ بِأَوْلَى بِٱلنَّصِيحَةِ مِنَ ٱلنَّاصِحِ وَلَا ٱلْآمِرُ بِٱلْخَيْرِ بِأَسْعَدَ مِنَ ٱلْمُطِيعِ لَهُ فِيهِ* فَٱفْهَمْ ذٰلِكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللّٰهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ

إِنْتَهَى

وكان الفراغ من تمثيله على هذه الصورة وطبعه في منتصف
شهر آب سنة اربع وثمانين وثماني مئة والف
والحمد لله اولاً وآخراً

فهرس الكتاب

وهو يتضمن ذكر كل بابٍ وما وُضع لاجلهِ وخلاصة ما انطوى عليهِ والاشارة الى ما فيهِ من النصائح والمواعظ والحكم ونحوها وذكر ما فيهِ من الامثال مع بيان فحوى كلٍّ منها ومغزاهُ الذي ضُرب لاجلهِ والاشارة الى ما في بعضها من الاستطرادات والفوائد ونحوها

إصلاح غلط

صفحة	سطر	خطا	صوابه
٢	٢٠	ضبط	اضبط (مقدمة المنفح)
٢	٢٥	والسادسة	السادسة (مقدمة المنفح)
١٤	٧	وَأُجازِيكَ	وَأُجازِيكَ
١٩	٣	مُحبِسِهِ	مَحْبِسِهِ
١٩	١٢	بُجاوِرَهُ	بِجاوِرِهِ
١٩	١٤	مَبْلَغاً	مَبْلَغاً
٣٢	١٧	التحول	التحوُّل
٣٧	١٠	أَرْبَعَةَ عَشَرَ	خَمْسَةَ عَشَرَ
٣٢	٥	وَذُلِكَ ما	وَذُلِكَ أَنَّ ما
٣٢	١٠	يُزِينُهُ	يَزِينُهُ
٣٢	١٢	وَالصَّدِيقِ	وَالصِّدِيقِ
٥١	١٤	وَقُرْبَةٌ	قُرْبَةٌ
٧٨	٩	جُرْأَةٌ	جُرْأَةٌ
٩٧	٦	ظَهْرُهُ	وَجْهُهُ
٩٧	٧	وَوَجْهُهُ	وَظَهْرُهُ
٩٧	٧و٨	الشِّقّ	الشَّقّ
١٤١	٣	وَيُسَفِّهانِ رَأْيَهُ وَيُبَيِّنانِ	وَيُسَفِّها رَأْيَهُ وَيُبَيِّنا

صفحة	سطر	خطا	صوابه
١٤٤	٧ و٩ و١٦	سُلْحَفَاة	سُلَحْفَاة
١٥٠	٨	قَالَ دِمْنَةُ	قَالَ كَلِيلَةُ
١٥١	١٦	أَنْ يَكُونُ	أَنْ يَكُونَ
١٥٢	٤ و٥ و٧	أَبْنُ عُرْسٍ	أَبْنَ عِرْسٍ
١٥٢	٧	إِلَى جُحْرِ ٱلْحَيَّةِ	مِنْ جُحْرِ ٱلْحَيَّةِ
١٦٧	١٧	١ الزبل	١ تغير عن حاله ٢ الزبل
١٧٤	١٠	ٱلْتَفَتَ إِلَى ٱلْأَسَدِ	ٱلْتَفَتَ إِلَى سَيِّدِ
١٩٤	١٢	بِيَدِي	بِيَدَيَّ
١٩٦	١٤	أَنَّهُ	أَنَهُ
١٩٧	١٤	كَأَنَّهُمْ	كَأَنَّهُنَّ
٢١٦	١٦	أَتَرَاهُ	أَتُرِينَهُ
٢٣٣	١٣	مِنْهُنَّ	مِنْهُمْ
٢٣٩	٣	يَشْبَرُ	يَشْبِرُ
٢٥٨	٧	غَفْلَةٍ	دَهَشٍ
٣٠٤	١٥	انقل لفظة شِبْلَانِ من آخر السطر الى أوّله	
٣١٨	٢	وَٱلْقَضَاءَ	غَيْرَ أَنَّ ٱلْقَضَاءَ

وقد بقي بعض اغلاط طفيفة من مثل سقوط حركة وانكسار حرف او نحو ذلك لا تخفى على المطالع